البطـل
أحمد عبد العزيز
ملحمة للبطولة من الطفولة

إن أقـــصـي مـــا نـتـــمـنـاه
أن نمـوت شـــــهــــــداء ..
إن الـروح ســـلاحـنـا والجـــســـد
طـلـقـــة الـســلاح الـتـي يجب أن
نطـلقـــهـــا في أول مـنـاســبـــة
والا انـعــدمت قــيــمــة الـسـلاح
أحمد عبد العزيز

تتشرف بطبعه
مكتبة الجندي
ميدان الحسين - القاهرة - مصر
تليفون : ٥٩٠١٥١٨

رقم الإيداع : ٢٠٤٠٩/٢٠٠٦

جمع وإعداد
أبوالحجاج حافظ



البطل الشهيد

أحمد عبد العزيز



مقدمة

إن الأفذاذ والأبطال والمصلحين فى الأمم مثلهم كمثل الشموس والأقمار التى تضىء سمائها وتهدى شعوبها إلى الرفعة والسمو .

وكان البطل أحمد عبد العزيز شهاب ساطع أضاء قلوب المصريين فى ظلمات اليأس والإحباط الذى أعقب استيلاء العصابات الصهيونية على أرض فلسطين العربية .

وتعلق بشجاعته وبطولاته الكبار والصغار ، يتلهفون ما يرد من أخبار انتصاراته فى المعارك التى خاضها ضد الصهاينة ، حتى أن قوة الفدائيين المتطوعين التى شكلها وانطلق بها للقتال قبل جميع الدول العربية لقبت باسمه وسطرت أروع صفحات البطولة فى سائر الأراضى الفلسطينية من غزة حتى تحرير مدينة القدس الشريفة ، وكان مجرد ذكر اسمه أو النمر كما كان يلقب يثير الرعب فى المستعمرات الصهيونية ، ولو أعطى يوماً كما الح بشدة قبل أن توقع الدول العربية الهدنة ، لكان حرر القدس الغربية بكاملها من اليهود .

إلا أن إرادة الله قضت أن ينال مبتغاة وهو الشهادة ، فلا يعود إلى الوطن مجروح القلب بعد ان قيدته وكسرت سيفه خيانة وعمالة القادة العرب .

ولم تقتصر بطولة أحمد عبد العزيز على ميدان حرب فلسطين ، بل كشأن العظماء كانت حياته منذ الطفولة سلسلة من البطولات فى كل المجالات.

من مقاومة الاحتلال ، إلى كرة القدم ، والفروسية ، والطيران ، والأدب ، والفكر ، والإيمان . وكان متديّنا طوال حياته ، فلم يقرب الخمر وحتى السجائر ، ولم يترك فريضة، ويتحرى أن يصلى بأحسن مظهر ويقول لمن حوله : « إننا نتجمل عند لقاء رؤسائنا فكيف بلقاء ملك السماوات والأرض» .

ولم ينل أحمد عبد العزيز ما كان يستحق من تكريم كما تنبأ فى مذكراته ، ففى غمرة ما مرت به مصر من محن ، واضطرابات ، وتغييرات ،

وصراعات نسيه المسؤلون بقصد أو بدون قصد ، فلم يعطى وسامًا واقتصر على اسم شارع بالجيزة ، وتمثال نصفى بالمتحف الحربى ، وقاعة الكلية الحربية ، بل ظلت أرملته تتلقى معاش قائمقام محال للاستيداع حتى أدركت القوات المسلحة الخطأ سنة ١٩٦٤ بعد خطاب أرسلته إلى جمال عبد الناصر ، فاعطى معاشاً استثنائيًا ثم قامت بعد ذلك بسنين بدعوتها وابنه خالد للحج مع اسر شهداء حرب أكتوبر .

وفى عام ١٩٦٠ قام الأستاذ الكاتب أبو الحجاج حافظ بجمع تراث البطل وإصدار الكتاب سنة ١٩٦١ بواسطة المجلس الأعلى لرعاية الشباب فى سلسلة شباب عربى خالد .

ولمرور أكثر من أربعة عقود على أصدار هذا الكتاب بدون إعادة للطباعة فقد انتهت نسخه إلا من كتاب لدى الأسرة .

وعندما شاءت الظروف أن أعيد قراءة الكتاب بعد عدة عقود شعرت أن من واجبى كمصرى قبل أن أكون ابن شقيق البطل أن أعيد نشر الكتاب لشدة الحاجة إلى المثل العليا وقد امتلأت المكتبات بالكتب عن الممثلين والمطربين والساسة ومختلف أنواع البشر من كبرائهم حتى حثالتهم .

وإذ نقوم بإعادة نشر هذا الكتاب القيم نرجو أن يسهم فى ترسيخ القيم العليا والنبيلة والتى أصبحت نادرة فى وقتنا الحالى .

وقد أضيف بعض المعلومات البسيطة إلى الطبعة الأصلية ، علاوة على فصل عن شقيق البطل اللواء أركان حرب صلاح شريف عبد العزيز والذى سار على خطى أخيه منذ استشهاده حتى وفاته عام ١٩٧٢ مديراً لسلاح المدرعات .

عن الأسرة
ابن شقيق البطل / عقيد مهندس بالمعاش
يحيي يونس شريف صلاح شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

... ولا شك أن فى تسجيل حياة بطلنا الشهيد إبراز للمثل العليا وتسجيل للقدوة ، وإفادة من ذكرى الخالدين بدراسة معالم البطولة فى تاريخهم ، وعرض جوانب المجد من أعمالهم حتى يهتدى بها شباب الأمة العربية ، فيحققوا للقومية العربية آمالها الكبار .

جمال عبد الناصر



تقديم

بقلم

عبد اللطيف البغدادي

نائب رئيس الجمهورية ووزير التخطيط

من سمات البطولات العربية ، منذ فجر التاريخ ، ومنذ أن أذن الله للبطل الأول محمد ﷺ ، أن يهدى الناس إلى سواء السبيل ، وأن يرفع بيده المشعل المضىء نور الله ، ويضعه على أول الطريق ، ليطوى فى قبسه الظلم والظلمات ... من سمات هذه البطولات العربية أنها كانت تتجمل بسماحة العقيدة ، وقوة الإيمان ، وأصالة الروح ، ويجمع هذه الشيم الرفيعة ، ويصهرها فى بوتقه من صنع الله وحده ، الكفاح المستميت ، والتصميم القاهر، والنضال العظيم ، الذى لا يعرف فى الحق لومة لائم .

ولأمر يعرفه الله ، ويعلم وحده توقيته وتقييمه ، شاء أن تنحدر النفحات المقدسة فى أخلاق الأبطال من أبناء الإسلام ، فى كل جيل وزمان ومكان ، فلقد أبلى المقاتلون المدافعون عن حوزة الإسلام أعظم البلاء ، ذاكرين قول سيد الأنبياء ، وهو فى فجر الرسالة ، ومقتبل الجهاد : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه » ... ثم درج الأبطال على هذا السنن القويم ، من صلابة الروح فى ميادين المعارك ، وقوة الشكيمة فى مجالات القتال ، ضاربين أروع الأمثال ، وأخلد السير ، وهم بعد فى ريعان شبابهم ، وزهوة صباهم .

لقد دوخ الأبطال العرب أعداءهم فوق أرض القتال ، وفتحوا

الأمصار وأعزوا كلمة الله ، وأعلوا راية الإسلام ، حتى دخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وقد باعوا الدنيا واشتروا الآخرة .

وقد فتح شبابهم - الذى لم يتجاوز الحلقة الثانية من عمره - القارات المترامية الأطراف . وناهيك بمحمد القاسم . الشاب العربى البطل ، الذى فتح الهند والسند ، وهو فى سن السابعة عشرة من عمره ... ويطول الحديث بنا حين نستعرض الأمجاد الحربية التى سجلها خالد وطارق ، والمثنى بن حارثة الشيبانى .

وحين نستعرض تاريخنا الطويل مع الاستعمار والمستعمرين ، فنستعرض بهذا الصفحات البيض ، التى تموج بأنباء انتصاراتنا على الصليبيين حتى أسرنا ملوكهم ، كما سنطالع أنباء فتكنا بالتتار ، وتبديد شملهم وتحطيم حصونهم ، التى ظنوا أنها مانعتهم منا ، ومن تصميمنا على كسر شوكتهم ، والغلبة عليهم ، ومن خصائص القوة الروحية والبسالة العربية ، أنها هى هى فى كل زمان ومكان ، فحين عاد التاريخ سيرته الأولى وطمع شذاذ الآفاق ، فى استلاب الوطن العربى (فلسطين) ، وتم لهم ما أرادوا ، تحركت البطولات العربية ، وبدأت تضرب بسنابك خيولها أرض المعركة ، وسالت بهم الأودية والوهاد ، ومادت الأرض تحت أقدام أعدائهم ، ووثقوا أن العرب محيطون بهم إحاطة السوار بالمعصم ، إن آجلا وإن عاجلا ... وقد ضرب أبطال العرب أروع الأمثلة فى شرف التضحية ، وعظمة الجهاد ، ونبل الغاية .

وكانت حرب فلسطين هى البوتقة التى صهرت معادن الأبطال العرب - الذين تطوعوا فى سبيل نصرة الحق ، والذود عن كيان العروبة وخوض معارك القتال . تحت راية القومية العربية المنتصرة دائماً ، بزعامة

قائد الكفاح العربى ، ورائد المناضلين العرب ، وصانع تاريخنا البطولى ، الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان اسم البطل أحمد عبد العزيز ، من الأسماء التى كانت تعمر قلب الرئيس بأنبل معانى الكفاح ، وأكرم دوافع البسالة ، فقد تطوع ـ رحمه الله ـ وخاض المعركة قائداً لفرق الفدائيين العرب ، فى إيمان عميق ، وإصرار متين على النصر أو الاستشهاد ، وكانت تتهاوى تحت أقدامه حصون الضالين من الصهيونيين الغاشمين الدخلاء . وظل أحمد عبد العزيز ينتقل من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح ، حتى خر صريعًا لا بيد أعدائه فإن دمه كان حراماً على يد الخونة الجبناء ، وإنما سقط شهيداً بيد جندى من جنوده ، سبقت إرادة الله الذى لا راد لإرادته ، يد هذا الجندى ، الذى لو خير ، لافتدى قائده بكل نفس ونفيس . وبأمثال أحمد عبد العزيز سوف نلقى بهذه الشرذمة التى لا وطن لها ، فى البحر زاداً لحيوانه ، وطعماً لأسماكه ، ولن يمكن الله لهؤلاء القراصنة فى أرض فلسطين العربية جسمًا ولحماً ودماً ، وأن مبدأ رواه دم أحمد عبد العزيز وصحبه من أبطالنا العمالقة ، لسوف ينبت شجرة الحرية فوق أرض العروبة من الخليج إلى المحيط ، وسترف أغصانها المديدة فوق أرض فلسطين العربية ، طيبة الجنى ، مباركة الثمار ، وريفة الظل ، والله يؤيد رئيسنا المحبوب جمال عبد الناصر ، حارس هذه المنطقة العربية ، وقائد كفاحها المقدس وحامل رايتها المفداه .

من هو أحمد عبد العزيز؟
بقلم كمال الدين حسين

كنا جميعاً نعرف من هو أحمد عبد العزيز ..

إنه أستاذنا فى التاريخ العسكرى بالكلية الحربية ، وطالما كان الجد والصرامة فى نظرته ، وفى ملامحه العزم ، وفى مظهره التحفز للتضحية ، ولم تكن هذه النظرة من الجد والعزم ، أو تلك العبارات الحاسمة ، التى تندفع من فمه كطلقات البنادق ، لم تكن جميعها لتنجح فى إخفاء دماثه خلقه ورقة طبعه وطيبة قلبه ، وكانت تترجم هذا كله ابتسامة حلوة ترتسم على شفتيه ، فيها نبل ، وفيها شجاعة وفيها إباء ، وفيها إيمان ..

الإهـــــــداء

إلى مصر العربية ...

إلى الشبـاب العربى فى كل مكان من وطننا العربى الكبـير ، أقـدم قصة البطل العربى أحمد عبد العزيز ... قصة البطولة والشجاعة ، قصة الإيمان ، قصة البذل والتضحية ، أقصى التضحية وأسماها ، وأشرف البذل وأكرمه..

أبو الحجاج حافظ

كلمة البطل عندما وطئ أرض فلسطين

لقد جئنا إلى هنا لا رهبة من أحد ، ولا رغبة فى شىء ، إلا رضاء الله وحده ، فإذا استشهدنا ومضينا إلى جواره ، فهذا أعظم آمالنا وأحب أمانينا.

ولسوف نمضى فى طريقنا ، دون أن يثنينا أحد عن غايتنا ، سنطبق النظام والعدالة ، وسنتخذ كل وسيلة تدنينا من أهدافنا ، ما دامت فى سبيل الحق والخير ، وسنكون قساة على أنفسنا ، فنحن إنما نحارب من أجل غاية عليا ، من أجل تراث العروبة ، ومن أجل الدفاع عن كيان الدولة العربية ومستقبلها... فمن شاء أن يمضى معنا فأهلا به وسهلا . ومن شاء أن يمضى عنا فلن يرده أحد ..

أحمد عبد العزيز

مولده ونشأته

فى ٢٩ يوليو ١٩٠٧ ، ولد للسيد البكباشى محمد عبد العزيز قائد الكتيبة الثامنة مشاة ، بمدينة الخرطوم ، ابنه الثانى أحمد عبد العزيز . وكان قد نقل للعمل هناك من رئاسة الجيش بالقاهرة .

والده محمد عبد العزيز أمين نجل السيد محمد أمين نجل السيد محمد أمين ضابط مصرى تنحدر أسرته من الأصول العربية وأشراف المدينة المنورة . وقد واصل والده الترقى حتى رتبة الاميرالاى وحصل على الباكاويه .

وقد نشأ أحمد فى بيت يتميز بالطابع الايمانى والحس الوطنى العسكرى ، فقد كان والده من الضباط القلائل ، الذين كانوا يتميزون بمستوى ثقافى كبير وروح إسلامية ووطنية جياشة عارمة ، وكان جده لوالدته اليوزباشى يونس شريف ، البطل الذى استشهد فى حملة هكس المشئومة التى أبيدت عن آخرها ... وقد طلبت والدة أحمد من والده أن يسمى ابنهما الثالث باسم جده ، وسرعان ما استجاب الأميرالاى محمد عبد العزيز لهذه الرغبة - وهو القائد الذى يعرف معنى الاستشهاد ، ويقدر الأبطال - فكان اسم الابن الثالث صلاح شريف الذى كان مع أحمد وشقيقهما الأكبر عمر ، وأخوتهم البنات الثلاث يحملون هذا التراث البطولى الوطنى ، الذى يسرى فى عروقهم مسرى الدم والروح .

وشب أحمد ليستمع من والده إلى قصص الصراع الدامى ، التى خاضها الشعب العربى فى السودان ومصر ، ضد قوى الاستعمار البريطانى ومؤامراته ودسائسه وألاعيبه ، مما ترك فى نفس أحمد مرارة عميقة كان لا يخفيها طوال حياته تجاه الإنجليز وأذنابهم وعملائهم . وكان والده قد اشترك فى عدة معارك فى السودان ، دارت رحاها بين الإنجليز والشعب العربى من السودان ومصر .

وانتهت مدة خدمة الوالد فى السودان ، وعاد إلى القاهرة التى بدأ

مرجلها يغلى فى عنف تجاه قوات المستعمرين . وانتفض الشعب يدافع عن حريته وعزته وكرامته .

فكانت مظاهرات ١٩١٩ ، وكان لأحمد عبد العزيز دور كبير رغم أنه لم يكد يعدو الثانية عشر من عمره ولم يزل طالباً فى بداية المرحلة الثانوية بالمدرسة التوفيقية ، بعد أن حصل على شهادة الابتدائية من مدرسة خليل أغا، وقد ارتبطت هذه الثورة بأحمد عبد العزيز برباط قوى ، بل وكانت حوادثها نقطة تحول فى حياته أطلقت أحاسيسه وروحه الوطنية إلى أقصى حدودها ، فقد حدث فى إحدى مظاهرات ثورة ١٩١٩ أن كان أحمد عبد العزيز وبجواره شقيقه الأكبر عمر عبد العزيز ، يسيران مع جموع الشعب الهادرة فى شوارع القاهرة وطرقاتها ، يصبون نقمتهم على الإنجليز وعملائهم، وتصدت القوات الإنجليزية لهذه المظاهرة ، ووقف عمر فى بطولة وثبات فى وجهها ، وحنجرته تنطلق بالقوة والعزة مما أثار ضابطاً إنجليزياً أمامه ، فتقدم من عمر وضربه ضربة (بدبشك) بندقيته فى جنبه ، وعاود ضربه ، وعمر يهتف لبلاده ووطنه ، وأحمد عبد العزيز ـ وهو فى سن الثانية عشرة من عمره ـ يرى هذا المشهد ، وتغلى فى عروقه الدماء ويحاول أن يقف فى وجه الإنجليزى الذى استمر فى ضربه حتى سقط عمر ... وتقدم أحمد عبد العزيز ليحمل شقيقه الجريح ويلهب أحاسيس الشعب بدمه .

ودخل أحمد بشقيقه إلى بيت أسرته ، ليسجل لحظات استشهاد عمر عبد العزيز ، وكأنه يسجل على نفسه إصرار الجهاد والكفاح حتى يجلى عن وطنه هذا المستعمر ، ويحمى بدمه وروحه كل معنى للاستقلال والحرية والعزة والكرامة .

وفى نفس الوقت الذى استشهد فيه عمر عبد العزيز شهد أحمد عبد

العزيز مظهراً من مظاهر الوطنية والبطولات والفداء ، في أسرته العريقة بالمجد الوطني ، فقد قام الأميرالاى محمد عبد العزيز بإصدار الأمر لقواته بالتوجه إلى مبنى المحافظة بالأزبكية ، لإخراج طلبة المدرسة الحربية ومدرسة الشرطة الذين قبضت عليهم القوات الاستعمارية الإنجليزية في نفس هذه المظاهرة ، وهدد محمد عبد العزيز ، باقتحام المبنى حتى تم الإفراج عن شباب هذه المدرسة وأبطالها ... ولم يكن تاريخ محمد عبد العزيز في حاجة إلى هذه الحادثة ليتأكد الإنجليز من عدائه السافر الشديد لهم .

فسارع الإنجليز بتحريك أذنابهم وعملائهم ، وصدرت الأوامر للأميرالاى محمد عبد العزيز بالهجوم بالكتيبة الثامنة مشاة ، على حرمة الأزهر الشريف لكسر شوكة الثائرين من أبنائه على الاستعمار الإنجليزى وأذنابه .

ورفض الأميرالاى محمد عبد العزيز أن يجيب طلب القوات الإنجليزية المستعمرة ... واعتقد الإنجليز أنهم أكملوا حوله السلسلة التى يستطيعون بها أن يتخلصوا منه .

وتقرر نفيه إلى مالطة .

وتذكر أسرة أحمد هذه اللحظات التى كان فيها الوالد يستعد لجمع حاجياته للمنفى الذى اختاره له الاستعمار الإنجليزى ... فقد وقف أحمد وهو فى سنه المبكرة هذه - ١٢ عاماً - ليقول لوالده وصدره مرتفع وصوته جهورى عميق ، وهو شامخ فى كبرياء الوطنى المجاهد :

« بابا .... أنا رايح آجى معاك ... ما تخافش أنا حروح مالطة » .

وأحس زملاء محمد عبد العزيز ، من الأباة الأشراف بما يدبر لزميلهم الوطنى ، فأثاروا المسألة من الناحية الدينية ، وأن رفض محمد

عبد العزيز لتنفيذ الأمر العسكرى ، كان لتعلقه بحرمة الدين وحرمة الجامع الأزهر الشريف .

وأحس الإنجليز بمكرهم ودهائهم أنهم فى غير حاجة لفتح هذه الجبهة أمامهم ، فسارعوا وأوصدوها وتقرر أن يحال الأميرالاى محمد عبد العزيز إلى المعاش ، رغم أنه من النخبة الممتازة فى الجيش وممن كانوا يتمتعون بشهرة وطنية بين صفوفه .

ومرت الأيام تضفى حوادثها بذخيرة وطنية جارفة ، إلى قلب أحمد عبد العزيز ووجدانه ، فما أن جاءت ثورة ١٩٢٣هـ حتى قام الإنجليز بتقسيم القاهرة إلى مناطق مختلفة ، وحاصروا كل منطقة منها معتقدين أنهم بذلك يستطيعون - بتفرقتهم المعروفة - أن يقضوا على كل منطقة على حدة ... ولعب هنا أحمد عبد العزيز دوراً جديداً ناصعًا فى حياته الوطنية ... فقد اشترك أحمد فى الجماعات الوطنية السرية ، التى كانت تقوم بكسر الحصار الإنجليزى على هذه المناطق ، وكان دور أحمد تهريب الرصاص إلى المجاهدين فى المناطق المحاصرة بقوات الإنجليز .

وكانت طريقته فى ذلك أن يعبئ علبة سجاير فارغة بالرصاص ويكمل نصفها الظاهر بأنصاف السجاير ويمرق بين قوات الإنجليز إلى كل منطقة محاصرة .. والعجيب أن أحمد عبد العزيز لم يدخن فى حياته سيجارة واحدة ، حتى بعد أن امتد به العمر وزادت مسئوليات الحياة على كاهله . يروى لى شقيقه صلاح أنه كان يقول له : « يا صلاح لا تتصور مقدار كرهى للسجاير ، فقد ارتبطت بذهنى بالرصاص ، وكل ما أرى علبة سجاير ، أتذكر ما كنت أعانيه من تفتيش إنجليزى رهيب عندما كانوا يقبضون علىّ وأنا أحاول دخول المناطق المحاصرة ، وكانوا بعد تفتيشى لا يجدون معى

سوى علبة السجاير ولو قدر مرة وفتحها أحدهم ونبش الصف الأول من السجاير لوجد تحته الرصاص ولوجدت تحته قبرى » .

القبض على أحمد عبد العزيز

واستمرارا للنضال ضد المستعمر وفى سن ١٦ سنة كان البطل الذى يقع مسكنه بضاحية هليوبوليس بمنطقة مصر الجديدة (ميدان صلاح الدين حاليا) يقوم مع بعض زملائه المجاهدين بمهاجمة الجنود الانجليز السكارى بعد خروجهم من الخمارات ونوادى الليل ، وفى إحدى الليالى انقض هو وزميل له على ضابط أنجليزى بصحبة فتاة ليل . وقاموا بطعنه عدة طعنات أدت إلى موته ، وأقبل الإنجليز لصياح المرأة وطاردوهم وقام البطل بإخفاء السلاح قبل أن يتمكن الإنجليز من الإمساك بزميله .

وأثناء الاستجواب أصر الزميل رغم التعذيب بأنه كان فى رفقة أحمد عبد العزيز وفى الطريق إلى منزله وليس لهما علاقة بالحادث وبوطنية نادرة شهدت الفتاة بأنها غير متأكدة من شكل المهاجمين بسبب ضعف الإضاءة .

وتم حبس البطل فى سجن الأجانب ورغم وسائل الإرهاب التى اتبعها المحققون الإنجليز فلم يتأثر أو ينهار وظل هادئا متمسكا بأقواله .

وعقدت المحاكمة جلساتها ، ووصفت الصحف الصادرة فى هذا التاريخ ، أن شاباً وديعًا هادئاً ، كان يجلس فى قفص الاتهام ينقل بصره فى ثقة واطمئنان بين هيئة المحكمة وجمهور النظارة .

وكانت نظرات أحمد الوادعة المطمئنة لا تنم عن الثورة العارمة التى

تعتمل فى صدره ، وتشكل منه قوة مدمرة للعدو ، الذى يتولى محاكمته وتوجيه التهمة إليه .

واستمر أحمد فى السجن ثلاثة أشهر كان فيها مثال الوطنية والعزم والإيمان ، حتى أنه فى هذه الفترة قد أحال من حوله إلى شعلة من الوطنية الجارفة ، كادت أن تحيل السجن إلى بوتقة لإخراج مزيد من الثائرين الذين لا قبل للمستعمر بهم .

وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٣ صدر التصريح المعروف وأعقبه إفراج عن المتهمين السياسيين ، وأصدرت المحكمة قرارها بالإفراج عن أحمد عبد العزيز ، لعدم كفاية الأدلة .

وكان والده فى هذه الأثناء يقف إلى جانبه ، يشد أزره ويقوى عزيمته ، وهو الذى عرف جيداً كراهة الأحرار لقوى الاستعمار والظلم والطغيان .

كان محمد عبد العزيز ، يرى حبل المشنقة يلتف حول عنق ولده الأكبر بعد استشهاد عمر ، وكان يحاول أن يكتم أمام أحمد ما يعتمل فى نفسه، كأب بار بأبنائه عطوف عليهم ، يحمل لهم فى قلبه الحب والأمل .

وأفرج كما قلنا عن أحمد عبد العزيز ، ولكن اشترطت القوات الحاكمة فى ذلك الوقت أن يبعد محمد عبد العزيز بأولاده عن القاهرة .

وفى أوائل عام ١٩٢٤ حمل الوالد المجاهد أسرته إلى بلدته طنامل الشرقى مركز أجا محافظة الدقهلية ، حيث أملاك وبيت لزوجته وليقضى هناك ما بقى له من حياته .

والتحق أحمد عبد العزيز بمدرسة المنصورة الثانوية ، وكان قد حصل على شهادة الكفاءة فى السنة السابقة (١٩٢٣) . وقضى أحمد

عبد العزيز عامين فى هذه المدرسة ، وحصل فى سنة ١٩٢٥ على شهادة البكالوريا .

ورغم إبعاد أحمد عن القاهرة ، مركز الصراع الدموى بين أبناء مصر وقوات الاستعمار الإنجليزى ،فقد كان أحمد طوال فترة وجوده فى مدرسة المنصورة ، شعلة من الوطنية الجارفة ، ولم يتخل قط عن دوره الوطنى فى كفاح الشعب من أجل حريته واستقلاله ، ولعب أحمد عبد العزيز مع صديقه فى مدرسة المنصورة الثانوية الدكتور عبد الجليل العمرى دوره الوطنى الذى كان يقوم به فى القاهرة . اجتماعات مستمرة مع إصرار على الكفاح وتعبئة للجهود الوطنية ، وتقوية للروح الوطنية التى كانت تسود مصر فى ذلك الوقت من أقصاها إلى أقصاها .

وكان أحمد طوال فترة دراسته الثانوية كما كان قبل ذلك يحتل بسهولة ويسر ورضا ومحبة مكان الصدارة بين زملائه ، فقد كانت طبيعته القوية تضفى عليه صفات القيادة المحببة الواعية .

وكان هذا هو الخط العريض فى حياة أحمد عبد العزيز .. كفاح دائم وإصرار على النصر . وبطولة صادقة لامعة يرفض صاحبها أن يتحدث عنها، وكأنه يرى أنها أمر طبيعى فى كل مواطن ، فى هذا الوطن المكافح .

وقد روى أصدقاؤه وزملائه فى هذه الفترة أنه كان دائماً يخجل عند الكلام عن نفسه ، ولو أنه كان صامتاً بطبعه لا يحب أن يتكلم كثيراً . وكان فى نفس الوقت يسر إلى شقيقه صلاح رغبته وإحساسه الدائم ، بموت الأبطال والذى كان يأمله ويسعى إليه دائماً .

هذا وقد كان أحمد منذ نعومة أظافره يبحث دائمًا عن المسئولية

الكبيرة ليحملها فوق رأسه . كان لا يقبل قط أن يكون صغيراً حتى وهو فى فجر حياته وطفولته . كانت تصرفاته فى أسرته تصرفات الرجال المسئولين ، ولو أنه كان فى كثير من الأحيان مصدر كثير من القلق لوالدته وهو فى سنه المبكرة ، إلا أنه سرعان ما كان يعود إليها ويقبل يديها - كما كانت عادته دائمًا - ويقول لها : «إننى أدعو لك الله دائمًا لأنك تتحملين المتاعب التى نسببها لك» ، وكانت متاعب الأم تبدأ عند خروج عمر وأحمد فى مظاهرات الثورة ، وفى جماعات الكفاح الوطنى السرية .

وحصل أحمد على شهادة البكالوريا فى سنة ١٩٢٥ من مدرسة المنصورة الثانوية وجاء ترتيبه ٩٤ على المملكة مع تفوق فى جميع علومه وخاصة التاريخ والهندسة وحصل على مجموع يؤهله إلى دخول كلية الطب أو كلية الهندسة أيهما يختار .

وعرض الأب على ابنه رغبته فى إحدى الكليتين ، الطب أو الهندسة، وإذا بأحمد يصر على الدراسة العسكرية .

وكان الوالد يسعده فى أعماقه أن ينهج ابنه منهجه ، ولكنه كان يخشى أن يبطش به الإنجليز انتقامًا من والده ، كما أنه رغم براءته فى المحكمة فما زالت السلطات الإنجليزية تعتقد أنه من قام بقتل الضابط الإنجليزى، وفعلا أسر لابنه بذلك قائلا له : « الإنجليز مش ممكن حيدولك خير ، وهما فعلا المسيطرين على الجيش وعلى البلد ، وتاريخ أبوك وتاريخك معاهم حيتعبك ، والرأى لك » .

وكانت هذه الكلمات سببًا جديداً ليقتنع أحمد برغبته فى دخول المدرسة الحربية فى ذلك الوقت ، وكأنه يرد على والده ، بل إن تاريخك

معهم سيكون حافزاً لى على طردهم من جيش بلادى بل ومن أرضها وسمائها ودخل أحمد عبد العزيز إلى المدرسة الحربية بفضل زملاء أبيه من الضباط الوطنيين ورغم اعتراض الإنجليز ليسجل صفحة جديدة من حياته . صفحة تضم الخط العريض الذى تميز به البطل أحمد عبد العزيز، وتضفى عليه كثيراً من الضوء والوضوح .

فقد تميز أحمد فى دراسته العسكرية وفرضته أخلاقه وشخصيته وتفوقه على زملائه ، واشتهر أحمد فى المدرسة الحربية كطالب متميز مرموق يتنبأ له الجميع بمستقبل كبير باهر . وفعلا جاء ترتيب أحمد عبد العزيز طوال وجوده فى المدرسة فى المرتبة الأولى ، وجاء ترتيبه عند التخرج الثانى على دفعته كلها .

وخطا البطل أحمد عبد العزيز إلى ميدان العمل فى القوات المسلحة ، يضفى عليه ماضيه هالة قوية ناصعة ترنو إليها أبصار كل من يعمل معه أو يسمع عنه من أبناء وطنه ، وترهب المستعمر وتزيد من تربصه له حتى أنه حرمه من البعثة العسكرية ، التى كان يرسل إليها أوائل المدرسة الحربية فى جامعة كامبرلى العسكرية ، لا لشىء إلا لأنه البطل أحمد عبد العزيز ، الذى كان قد اتهم فى قتل ضابط إنجليزى وهو ابن البطل محمد عبد العزيز ، الذى عرف بعدائه للإنجليز . وشقيق البطل عمر عبد العزيز الذى استشهد ببنادق الإنجليز ، وحفيد البطل الشهيد يونس شريف .



الأميرالاى محمد عبد العزيز
والد البطل



وقائع حياته العسكرية

التحق البطل أحمد عبد العزيز بالمدرسة الحربية فى ١٥/١٠/١٩٢٥ وسرعان ما احتل بين زملائه وأساتذته مكانة مرموقة للمزايا العديدة التى كان يتمتع بها كما سبق أن بينا.

وقضى أحمد عبد العزيز ثلاث سنوات فى دراسته الحربية ، وكان ترتيبه فيها دائمًا الأول ، وتخرج فى ١/٧/١٩٢٨ ملازمًا ثانيًا فى سلاح الفرسان حتى ٣١/١٢/١٩٣١ عندما رقى إلى رتبة الملازم أول فى سلاح الفرسان ، ومكث به حتى ١٤/٩/١٩٣٨ عندما نقل إلى الكلية الحربية ليقضى بها الفترة حتى ٢٤/٦/١٩٤١ ورقى فى أثناء ذلك إلى رتبة اليوزباشى فى ١٥/١٠/ ١٩٣٩ وإلى رتبة الصاغ فى ١١/٢/١٩٤١ ثم نقل إلى سلاح الفرسان مرة أخرى - دبابات - فى ٢٥/٦/١٩٤١ ليقضى به الفترة حتى ٣١/١/١٩٤٢وتقدم للالتحاق بكلية أركان حرب من ١ / ٢ / ١٩٤٢ حتى ١٥/١٢/١٩٤٢ ، ونقل صاغ أركان حرب لإدارة العمليات فى المدة من ٢٦/٢/١٩٤٢ حتى ١٥ يناير ١٩٤٦ ، ورقى فى ١ /٦/١٩٤٤ إلى رتبة بكباشى (مقدم) أركان حرب ، وعاد مرة أخرى من ١٦/١/١٩٤٦ إلى سلاح الفرسان .

هذا وقد جاء أول تقرير عنه فى المدرسة الحربية ، ليقول عنه أن درجة كفاءته من الدرجة الأولى ، وجاء ترتيبه الأول على دفعته وحصل على نسبة ٨٤ فى المائة.

وجاء فى ملاحظات رئيس المعلمين بالنسبة للطالب أحمد عبد العزيز ما يلى:

« ينتظر منه أن يكون ضـابطًا نافـعًا ، قـد يكون مـدرسًا صـالحًا للمدرسة الحربية بعد تمرينه بالوحدات العسكرية ، حكم فى كرة القدم » .

وجاء فى تقرير « قومندان المدرسة » عنه ما يلى :

* أخلاقه جيدة جداً .

* رزين .

* مؤدب .

* كان دائماً يتقدم مدة سنى الدراسة .

* كفء فى الضبط والربط .

ثم وافق على انتخاب أحمد عبد العزيز كمدرس بالمدرسة الحربية فى المستقبل ... » .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٢٦/٣/١٦

* نشط .

* مؤدب .

* مجتهد .

* يميل كثيراً للشغل .

* كلما طال عليه العهد بالخدمة كلما تجلت مواهبه فى الشغل .

وجاء فى تقرير ٢٢ مارس ١٩٣٠ :

* حميد الأخلاق .

* حسن السلوك والسيرة .

* نشط وغيور .

* يجتهد فى إنجاز أعماله على الوجه الأكمل .

* يجيد قراءة الخرائط .

* يؤدى أعماله على غاية ما يرام .

* تعليمجى جيد .

وجاء فى تقرير قائده فى ٢١مارس ١٩٣١ ـ وكان أحمد عبد العزيز برتبة ملازم ثانى :

* أخلاقه وسلوكه حسن .

* أراه فى كثير من الأحيان هادئاً كثير الأدب والحياء .

* يمتاز فى أعمال الميدان بإتقان الرسم والتقارير وقراءة الخرائط .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٣٢/٣/٢٥ :

* ملازم أول سوارى جيد جداً .

* ضابط جيد .

* رياضى .

* جاء ترتيبه الأول فى امتحان فرقة الطيران .

* يغضب فى بعض الأحيان .

* مجتهد كثيراً فى فن الفروسية .

* أخلاقه وسلوكه مرضية .

* مفيد لسلاح السوارى مستقبلا .

وجاء فى تقرير بتاريخ ٣١ /١٩٣٥/٣ :

* شرف الجيش والبلاد فى مهارته فى الفروسية الأمر الذى ترتب عليه تهنئته مرتين فى الأوامر العسكرية .

* ضابط غيور جداً .

* نشيط جداً .

* مفيد للسوارى .

* ليس فيه نقائص أو عيوب إلا تشبثه بفكره فى بعض الأحيان ..

* ضابط جيد جداً من كل الوجوه .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٣٦/٤/٨ .

* أدى هذا العام أعمال يوزباشى أورطة بحالة جيدة جداً ... دلت على كفاءة تامة وميل إلى العمل المنتج كلما زادت مسئوليته (هذا علماً بأن رتبته كانت ملازم أول وكان يقوم بعمل يوزباشى) .

* لا يزال أكفأ الضباط فى الوقت الحاضر فى نط السدود العالية .

* صار حائزاً لكل الفضائل العسكرية .

* فاز فى حفلات الجيش البريطانى ، فأكسب السوارى المصرية فخراً عظيماً .. (وكان فوز ضابط مصرى على قوات جيش الاحتلال عمل لاشك عظيم فى ١٩٣٦) .

وقد كانت هذه التقارير تقصد بتشبثه بفكره وغضبه ما كان يبدو فعلا من أحمد عبد العزيز تجاه الأوضاع غير الوطنية التى كانت فى قواتنا فى ذلك العهد البغيض، ويبدو هذا واضحاً فى التقرير المؤرخ فى ٣١ /١٩٣٧/٣ .

* يتشبث بفكره .
* يكتب تقارير ضد تصرفات رؤسائه .
* معلوماته العسكرية جيدة وضابط جيد فى نط السدود .

وجاء فى تقرير مؤرخ فى ١٩٣٩/١٠/٢٤ وكان أحمد عبد العزيز مدرساً بالكلية الحربية :

* مؤهلاته العسكرية جيدة جداً .
* أخلاقه مرضية للغاية .
* مكانته الشخصية ومظهره جديران بحسن التقدير والثناء .
* ضابط جيد جداً من كل الوجوه .
* يبذل كل مجهوده لصالح العمل .
* مثل طيب جداً للطلبة فى النشاط والجد فى العمل .
* محاضر تاريخ عسكرى جيد جداً .
* سيكون ضابط أركان حرب وقائد مفيد جداً .

وكان أحمد عبد العزيز فى هذه الأثناء قد عاد لتوه من بعثة عسكرية للخارج، وكانت فى صيف عام ١٩٣٨ فى فرنسا ، لزيارة الميدان الغربى وميادين القتال الأخرى ، مع طلبة الدورة الأولى لكلية أركان حرب ، التى كان مدرسًا بها فى ذلك الوقت . كما جاء فى تقرير آخر فى ١٩٤٠/٤/٢١ ما يلى :

* محاضر جيد يمتاز بحسن الأسلوب وسلامة الألفاظ .

* ميال للاطلاع .

* يغذى مجله الجيش من وقت لآخر بمقالات عسكرية قيمة .

* ضابط يعتمد عليه .

* يبذل كل مجهوده لصالح العمل .

* مثل طيب جداً للطلبة فى النشاط .

* سيكون ضابط أركان حرب وقائد مفيد جداً .

* ضابط جيد جداً من كل الوجوه .

* يدرس مادة التاريخ العسكرى .

* نتيجة أعماله مرضية للغاية .

* مؤهلاته العسكرية عالية جداً .

* أخلاقه مرضية للغاية .

* مكانته الشخصية ومظهره جديران بالإعجاب .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤١/٥/٦ :

* شعلة من الذكاء .

* مؤهلاته العسكرية عالية جداً .

* أخلاقه مرضية للغاية .

* مكانته الشخصية ومظهره جديران بالإعجاب .

* ضابط جيد جداً من كل الوجوه .

* ميال للإطلاع .

* يعتمد عليه .

* روحه الرياضية عالية ، وكان لمجهوده أثر عظيم فى نشر الرياضة حتى أن فريق كره القدم بالكلية فاز بتوجيهه بكأسين .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤٢/٤/٢٥ :

* مظهره وأخلاقه الشخصية قدوة حسنة .

* نبيه ومحاضر جيد .

* عاد من الكلية الحربية فى ١٩٤١/٦/٢٥ وحضر بمركز التدريب واجتازها بتفوق .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤٤/٧/١ :

* قام بأعماله فى قسم الترجمة التابع لقسم التدريب بحالة مرضية جداً وناجحة .

* ضابط حازم .

* غيور .

* شديد الاهتمام بالضبط والربط .

* يحافظ على كرامته .

* فاز بالجائزة الثانية فى مسابقة الموضوعات العسكرية ، مما يدل على سعة اطلاعه وميله الشديد لزيادة معلوماته العسكرية .

* معلوماته العسكرية ممتازة .

* محاضر ممتاز .
* أخلاقه متينة جداً .
* مكانته الشخصية ومظهره مرضيان للغاية .

وجاء فى تقرير فى ١٩٤٥/٥/٣١ :

* ضابط أركان حرب ممتاز فى جميع النواحى .
* ذو معلومات عسكرية ممتازة .
* يميل لكثرة الاطلاع والدروس .
* حازم فى تصرفاته .
* له آراء سديدة جداً ومنطقية .
* يقوم بأعماله فى قسم التدريب بكل نجاح وكفاءة .
* أخلاقه وآدابه عالية جداً وممتازة .
* أمين .
* مخلص لعمله .
* محبوب من مرؤوسيه .
* مكانته ومظهره مرضيان .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤٦/٢/١٠ :

* ضابط أركان حرب ممتاز .
* معلوماته العسكرية عالية جداً .

* كثير الاطلاع .

* آراؤه سديدة .

* أخلاقه قدوة حسنة .

* آدابه عالية .

* أمين ومخلص فى عمله .

* يهتم بالضبط والربط .

* محاضر ممتاز .

* مكانته الشخصية ومظهره مرضيان للغاية .

وجاء فى تقرير ١٩٤٦/٤/٣٠ وكان أحمد عبد العزيز يشغل منصب قائد ثانى الآلاى بسلاح الفرسان :

* نقل إلى الآلاى من إدارة العمليات الحربية واستفاد كثيراً فى هذه المدة من تطبيقه العلم على العمل .

* قام بأعماله بحالة مرضية جداً .

* كثير الاطلاع .

* محاضر جيد .

* حسن المظهر والهندام .

* أنتخب ليكون ضمن فريق التدريب للجيش .

* أعماله جيدة جداً .

* له دراية بأعمال المكتب .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤٧/٥/٢٨ :

* ضابط نبيه شغال .
* يؤدى عمله فى هدوء .
* يحافظ على كرامته .
* قائم بأعماله بحالة مرضية جداً .
* كثير الاطلاع .
* متين الأخلاق .
* مؤدب .
* حسن المظهر .
* له مكانة شخصية محبوبة .
* ضابط أركان حرب كفء .
* ملم بالقوانين .
* حسن الإدارة .
* يليق لتولى قيادة أكبر .
* يعتمد عليه .

وجاء فى تقرير بتاريخ ١٩٤٨/٦/١٢ :

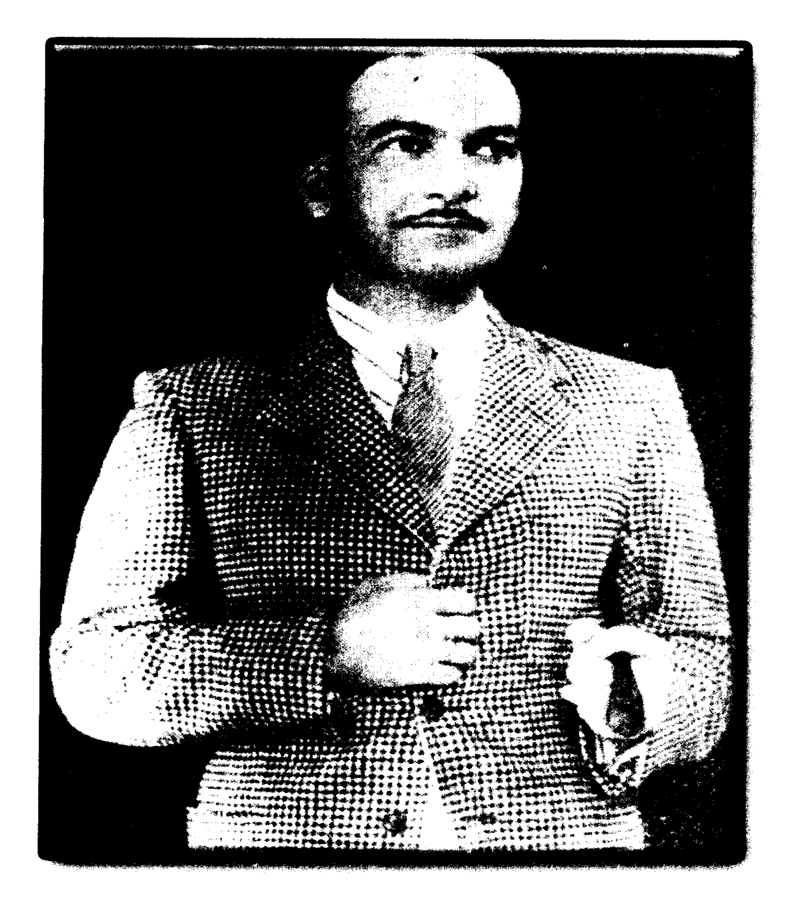
* ضابط ممتاز .
* أخلاقه الشخصية حسنة ومظهره جيد ومكانته حسنة بين مرؤوسيه .
* قام بأعمال قيادة آلاى الخيالة على ما يرام من حيث الكفاءة والأعمال الإدارية .

* قام بأعماله بحالة مرضية للغاية .

* صالح للقيادة .

وكان هذا آخر تقرير ضمه ملف خدمة البطل بعد أن تقدم فى ١٩٤٨/٤/٢٠ بطلب إحالة إلى الاستيداع للاستعداد لمعركة فلسطين وهذا نصه :

« أنا البكباشى أ . ح . أحمد عبد العزيز من سلاح الفرسان ... ألتمس إحالتى على الاستيداع لمدة ستة أشهر » .



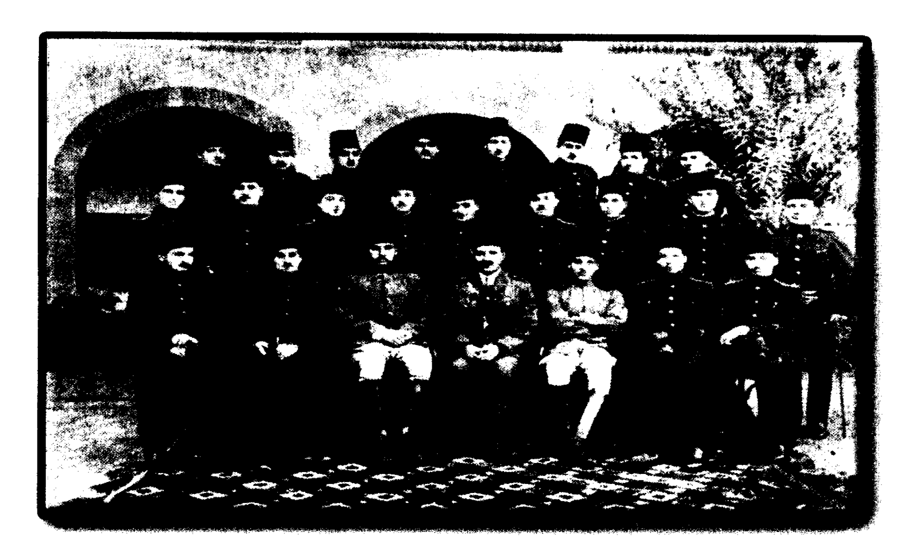
صورة طريفة لأحمد عبد العزيز فى صدر شبابه



أحمد عبد العزيز عندما كان برتبة يوزباشى فى الفرسان



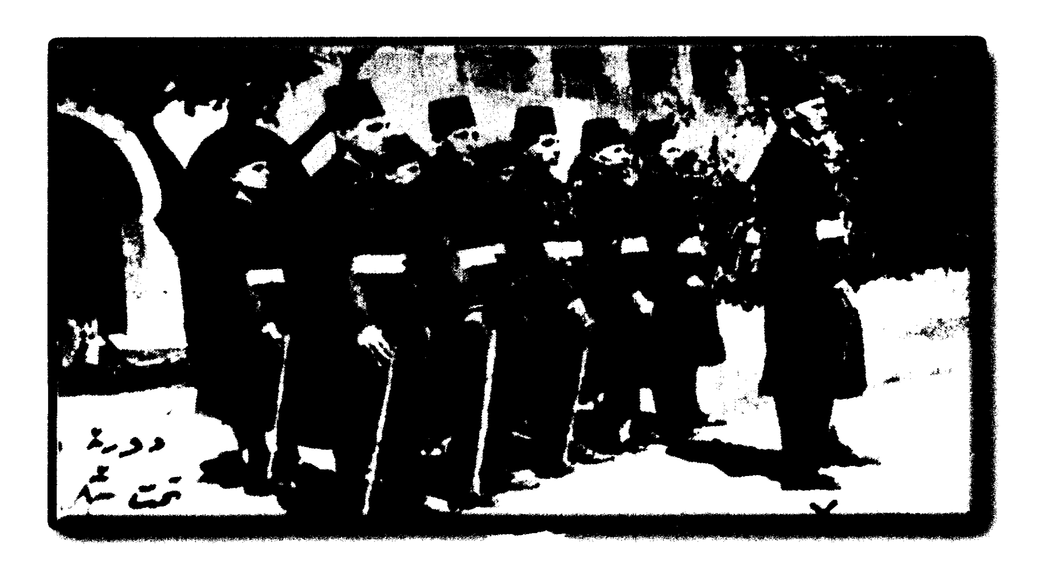
فى الكلية الحربية



فى الكلية الحربية







الفقيد عندما كان جاويشا عام ١٩٢٧ وقد كتب بنفسه خلف الصورة:
"أنا .. أنفى متدلية، الشرائط مائلة. مغيب .. ينقصه شنب ويصبح
كشارلى . العيال المستجدين خايفيين يظهروا نفسهم فى الصف الخلفى!"



أحمد عبد العزيز الطالب فى الكلية الحربية

أحمد عبد العزيز
يطلب الخدمة في الصحراء

وهذا ومما يلفت النظر حقاً هذا الطلب الذى تقدم به البطل الشهيد فى ١٩٤٥/١٠/٣١ إلى رئاسته يصر على طلب الخدمة فى الصحراء ويضع لذلك مبررات المواطن الواعى والضابط المحنك ...

قال أحمد عبد العزيز فى طلبه هذا :

« إن القائد السوارى الذى لا يخدم فى الصحراء ولا يلم بها جيداً لا يكون مفيداً لسلاحه الفائدة المرجوة مهما كان ذكياً أو مجتهداً ، ومهما حصل عليه من خدمة ممتازة فى القاهرة .

إن هذه الحالة تشعرنى بالخجل والضعف رغم ما أشعر به من الميل للخدمة فى الخارج وخاصة فى الصحراء .

وستكون خدمتى فى الصحراء ذات فائدة علمية وعسكرية لى وللجيش معًا وذلك لشغفى بالتاريخ العسكرى والجغرافيا العسكرية وقد نلت جائزتها وأنا طالب بالكلية الحربية . كما كنت مدرساً فيهما بالكلية الحربية .

وهذا مما يعزز طلبى للخدمة فى الصحراء ..

إننى أطلبها من تلقاء نفسى فى سبيل المصلحة العامة التى ذكرتها » .

كانت هذه روح أحمد عبد العزيز ... وكان هذا وعيه العسكرى والوطنى . وفى نفس الوقت الذى كان فيه أحمد عبد العزيز يحصل على كل هذه التقارير ويسجل كل هذه الصفحات كان يصر على اكتساب مزيد من المعرفة والعلم ..

فقد حصل على شهادة فرقة الحملة بالقسم الطبى فى ١٦/٨/١٩٣٠ وشهادة فرقة البندقية مرتين فى ٣/٨/١٩٣١ وفى ٣/٩/١٩٣٢ وكان ترتيبه (الأول بامتياز) ، ثم شهادة فى فرقة المدفعية فى ١٩٣٣ ، ثم شهادة قيادة السيارات (عادية) و (فى الصحراء) فى ٢٤/٨/١٩٣٧ وكان تقديره ممتاز، ثم شهادة فرقة صيانة فى ١/٨/١٩٤١ ، وشهادة فرقة مدفعية فى ٤/٩/١٩٤١ وحصل على ٩٠ فى المائة من مجموع الدرجات وتقدير الامتياز وتقرير يقول : « ممتاز ... ميال للبحث ... قام بواجبه على أكمل وجه » .

وكان أحمد عبد العزيز يخطو فى طريقه الصاعد فى أنفة وكبرياء يحافظ على كرامته إلى أبعد الحدود ، وقد كان هذا سببًا فى ذلك إلى وضع كثير من الحواجز أمامه ... ومن الغريب أن البطل أحمد عبد العزيز رقى إلى رتبة القائمام - العقيد - فى ٢٠/٨/١٩٤٨ ومنح معها رتبة البكوية فى ذلك الوقت ، أى قبيل استشهاده بيومين اثنين .

آخر تقرير

وفى أغسطس ١٩٤٨ بعد أن سجل أحمد عبد العزيز آخر صفحة من صفحات حياته الزاخرة النابضة كان ملف خدمته يطوى بعد أن أرفق به آخر تقرير عنه هذا نصه :

« كان له أكبر الفضل فى نجاح معركة القدس وغيرها من المعارك التى خاض غمارها وقاد فيها رجاله بشجاعة وبسالة ومقدرة فائقة فى جولته الموفقة من غزة إلى بير سبع ثم الخليل ثم بيت لحم فمعركة القدس مجابها العدو بعزم صادق وبأس شديد ، فأضرم فى صدور المجاهدين نارا لا تخمد وأوقد فى قلوبهم شعلة لا تهدأ ، وملأها بحب التضحية والفداء مما جعله محل تقدير الوطن » .

الفارس أحمد عبد العزيز

كان البطل أحمد عبد العزيز منذ فجر حياته يشتهر بحبه للرياضة وخاصة ما كان منها يتطلب مجهوداً كبيراً يعتصره عصراً . فلم يكن أحمد عبد العزيز كطبيعته يقبل فى أى أمر يتصل به القلة أو الصغر ، فكان دائمًا يجنح بطبيعته إلى كل أمر شاق وعظيم .. فكانت من هواياته الرياضية الملاكمة والمصارعة وكرة القدم ... كما اشتهر أحمد عبد العزيز بأنه فارس الجيش ... ولاغرو فقد ظل أحمد عبد العزيز البطل الأول فى جيشنا منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٦ وهو يفوز دائماً بالمرتبة الأولى المتفوقة ... ولم يتخل أحمد عن حبه للفروسية لحظة واحدة من حياته ، ولم يكن فى نفس الوقت يأخذ من الفروسية رياضة جسدية فقط ، بل كانت جميع تصرفاته وأعماله تتسم بطابع الفارس الشجاع وما يتميز به من خلق كريم وتصرفات شريفة لامعة نابضة بالحياة والعزة والكرامة والشموخ .

وكان أحمد عبد العزيز مشتركاً فى جميع كتب الفروسية والسدود التى تصدرها المكتبات فى العالم كله ... وكان يدرس دائماً بل ويبتكر ويبتدع فى هواياته هذه كما كانت عادته فى عمله وتصرفاته دائماً ... كما كان أحمد يتخذ من حبه للفروسية وبطولته فيها ميداناً وطنيًا خاصًا هو الذى دفعه فى إصرار إلى الاشتراك فى إحدى الحفلات التى أقامتها القوات الإنجليزية فى عام ١٩٣٥ ، وكانت لهذه الحفلة بالذات قصة أرويها ...

فى عام ١٩٣٥ قررت القوات العسكرية الإنجليزية إقامة حفلة للفروسية واجتياز السدود فى ميدان محطة مصر بجوار مقر البوليس الحربى الإنجليزى فى ذلك الوقت عرضًا لعضلات الاستعمار وصورة من صور الإرهاب والإذلال ... وكان المشتركون فى هذا الحفل من الضباط الإنجليز فى سلاح الفرسان عندهم وكلهم كما كان معروفًا من الأسرة الملكية واللوردات الإنجليز ..

وأرسلت القوات الإنجليزية ورقة إلى سلاح الفرسان المصرى .... فى حالة رغبة الاشتراك فى الحفل الإخطار بأسماء الضباط المصريين الذين ترون اشتراكهم ... ورأى القائد المصرى أن يمنع هذا الاشتراك لسببين ... لدى القوات الإنجليزية خيول مطهمة يبلغ ثمن الواحد منها ثلاثة آلاف جنيه على الأقل .. وثانيًا لأن مظهر هذه الخيول الإنجليزية وسروجها تدل على مستوى خاص من الثراء لا يضارعه ماعليه الخيول المصرية هذا إلى جانب مسألة التفوق ... وفوجئ القائد بالضابط أحمد عبد العزيز يتقدم للاشتراك فى هذه المباراة الإنجليزية ويصر على حضور هذا الحفل ، على أن يتحمل هو وحده جميع النتائج ومنها طبعاً سخرية الإنجليز ...

ولم يعد أحمد عبد العزيز لمنزله فى هذه الليلة إلا للحظات قصيرة .. إذ توجه إلى حصانه (فهد) وأخذه فى أعنف تدريب قام به أحمد واستمر طول الليل ثم عاد إلى بيته لحظات ليخرج فى الفجر يواصل تدريبه الشاق المتواصل... ومما يذكر أنه كان يضع قطعة من ذات الخمسة قروش بين رجله وبين سرج الحصان حتى إذا انتهى من تدريبه وحان موعد نزوله من فوق حصانه سقطت القطعة الفضية ذات الخمسة قروش ليأخذها خادم الحصان... وحان موعد الحفل ... وبدأت الخيول الإنجليزية تدخل إلى المكان تحمل فوقها الضابط الإنجليزى فى خيلاء وكبرياء... وكان الحفل يحضره الضباط الإنجليز ، وكبار رجال الدولة فى ذلك الوقت المظلم من حياة الوطن...

وفجأة دخل أحمد عبد العزيز ...

وفجأة كذلك امتلأت الأسوار المحيطة بالمكان بأصوات تصفيق صادر من المارة المصريين الذين كانوا قد بدأوا يتجمعون حول مكان الحفل...

خارج الأسوار ... فما أن رأوا شاباً مصرياً يدخل بحصانه إلى الحفل حتى انطلقوا يهتفون لمصر ويصفقون لفتاها الفارس ، وجلس شقيق البطل بين صفوف النظارة ويده على قلبه وشفتاه تتمتمان الدعوات لشقيقه حتى يستمر تصفيق هؤلاء المصريين الذين تجمعوا وهم لا يعرفون أحمد شخصياً ولكن يعرفون فقط أنه منهم وأنه دخل هذا الحفل ليرفع رؤوسهم .

وبدأ أحمد يقفز السدود الإنجليزية ...

والتهبت الأكف بالتصفيق ... أكف أبناء عمومته ووطنه ... أما ضباط الإنجليز وأذنابهم فقد عقدت ألسنتهم المفاجأة ... وبدأت أيديهم تحاول أن تعطى للفارس المصرى حقه الذى انتزعه من أيدى فرسان الإنجليز .

وفى كل مرة يتفوق فيها أحمد تنطلق حناجر الشعب : « ينصر دينك ... إديهم » ... وانقلبت الهتافات فى طريقها الطبيعى إلى الهتاف للقومية التى تربط أبناء الشعب بعضهم ببعض : « تحيا مصر ... يحيا الاستقلال .. مصر حرة قوية » ... وانقلب المكان إلى مظاهرة وطنية وفاز أحمد عبد العزيز ... واجتمعت رؤوس الإنجليز وأذنابهم .. إن أحمد يجب أن يفوز بالمرتبة الأولى ... ولكن الحفل إنجليزى والمشتركين إنجليز .. وأعلنت النتيجة وفاز أحمد بالمرتبة الثانية ، ولكن كان فى نفس الوقت قد أعلن الشعب المحيط بمكان الحفل فوزه بالمرتبة الأولى ... فقد تناثرت ألوف الطواقى والطرابيش تشكل فوق رأس البطل أكليل الغار والبطولة ...

وتقدم أحمد ليتسلم أعز كأس ظل طوال حياته يرمقه ويروى ذكرياته ويتولى بنفسه العناية به رغم عشرات الكئوس التى حصل عليها أحمد عبد العزيز فى مباريات أخرى عديدة ... وكان أحمد يقول لأسرته : « لقد حصلت على هذا الكأس على حساب أعصابى » .. وقدم أحمد فى هذا اليوم

مزيداً من السكر إلى حصانه الأصيل (فهد) ، الذى كان يحبه أحمد حبّا كبيراً ويحتفظ له فى جيبه دائمًا حتى فى حلته العسكرية بقطع السكر والحلوى... وكان فهد يعرف أحمد ويحس قدومه ساعة أن تطأ قدمه أرضه فيسرع إليه ..

ومن العجيب أن فهد رفض بعد أن نقل البطل أحمد عبد العزيز من سلاح الفرسان إلى العمليات الحربية ، رفض أن يسمح لأى ضابط أن يعتلى صهوته بعد بطله وقائده .

وقد كرم زملاء أحمد عبد العزيز حصانه فهد بعد استشهاده فتركوه دون أن يقتلوه حتى قضى حياته ومات موتة طبيعية بعد قائده ...

وفى نفس هذا العام طلبت الجهات المسئولة تحت ضغط القوات الإنجليزية أن يقوم أحمد عبد العزيز بسرية خيالة بالهجوم على المتظاهرين فى مدينة المنصورة ، وأن تستعمل فى ذلك (المزاريق) للقضاء على هذه الروح الوطنية .

وجاء الأمر إلى أحمد عبد العزيز ...

وفى نفس اللحظة جاءت الإجابة من أحمد عبد العزيز : « لا ... إننى أرفض تنفيذ هذا الأمر ومن المستحيل أن أهجم على هؤلاء الناس وليس لهم ذنب أو جريمة » ... وحذر أحمد عبد العزيز من نتيجة هذا العمل مؤكداً أن عدد القتلى سيكون كبيراً جداً ... وسرعان ما وجد هذا الأمر من يقبل تنفيذه ... ومن الغريب حقًا صدق حدث البطل حيث المتظاهرون ما يبيت لهم فأعدوا فى طريق الخيالة أسلاكاً تربط بين شجرتين متقابلتين ، وفاجأت الخيول وهى تأخذ طريقها إلى المتظاهرين لترتطم بهذه الأسلاك الفرسان بخسارة كبيرة .

ولم تجرؤ القيادة على عقاب أحمد عبد العزيز لرفضه الانصياع إلى أوامر مهاجمة المتظاهرين .

الطيار أحمد عبد العزيز

ومن الصفات التى اشتهر بها البطل أحمد عبد العزيز والتصقت به طوال حياته ... صفة الفروسية ... فقد كان فارسًا كما شاهدنا لا يشق له غبار ... وصفة الفدائية . وكان تلاميذه وضباطه ومساعدوه يطلقون عليه فى فلسطين (النمر) لما كان يرتسم على وجهه ساعات المعارك التى خاضها من ملامح (النمر) ونظراته وتحفزه وانقضاضه ... إلا أن القليلين فعلا الذين يعرفون أن البطل أحمد عبد العزيز كان نسراً قبل أن يكون نمراً ... فقد ألحق أحمد عبد العزيز بعد تخرجه من المدرسة الحربية بسلاح الطيران ومكث فيه عام ١٩٢٩ .. وكان من الطبيعى أن يصبح أحمد عبد العزيز طياراً من ألمع الطيارين فى العالم .. وهذا هو ما اكتشفه فيه قواد هذا السلاح من الإنجليز المستعمرين فى ذلك الوقت ورأوا فى أحمد عبد العزيز خطراً على هذا السلاح وأسراره التى كان يعتبرها الإنجليز ملكاً خالصاً لهم ، ومنطقة نفوذ لا يجوز لعربى أن يطأها ويعرف أسرارها أو يبرز فيها ويكون حرباً عليهم ...

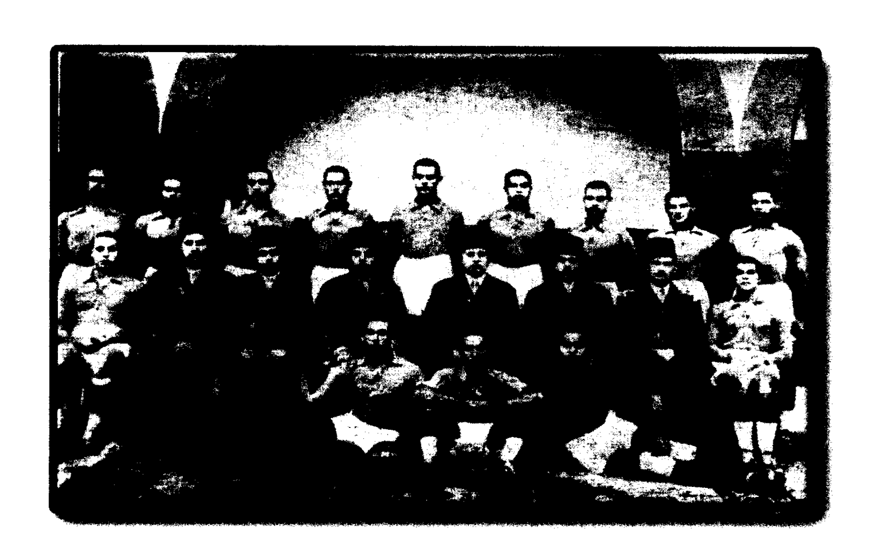
وقد سجل أحمد عبد العزيز كما روى زملاؤه القلائل فى هذه الفترة أنه كان يطير بطائرته وكأنه يمسك فى يده هراوة يود أن يطيح بها أعداءه ، وأن يلوح بها لأولئك المستعمرين لأرض وطنه ومقدراته ... وكان يستعمل طائرته بطريقة تلفت النظر وتشير إلى أن القائد بطل شجاع مغوار وجسور لا يهاب شيئاً ويحاول أن يفعل دائماً كل شىء ...

وخوفًا من تكرار بطولة الفروسية بتفوق أحمد عبد العزيز على الطيارين الإنجليز .

فقد صدر القرار من المستعمر بتحويل أحمد عبد العزيز إلى سلاح الفرسان .



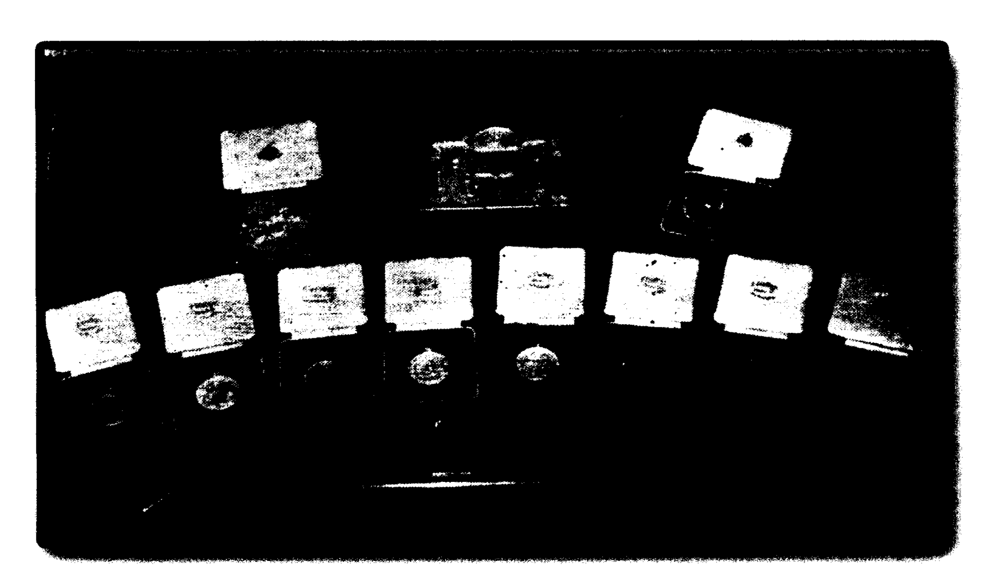
دائماً الكئووس الرياضية



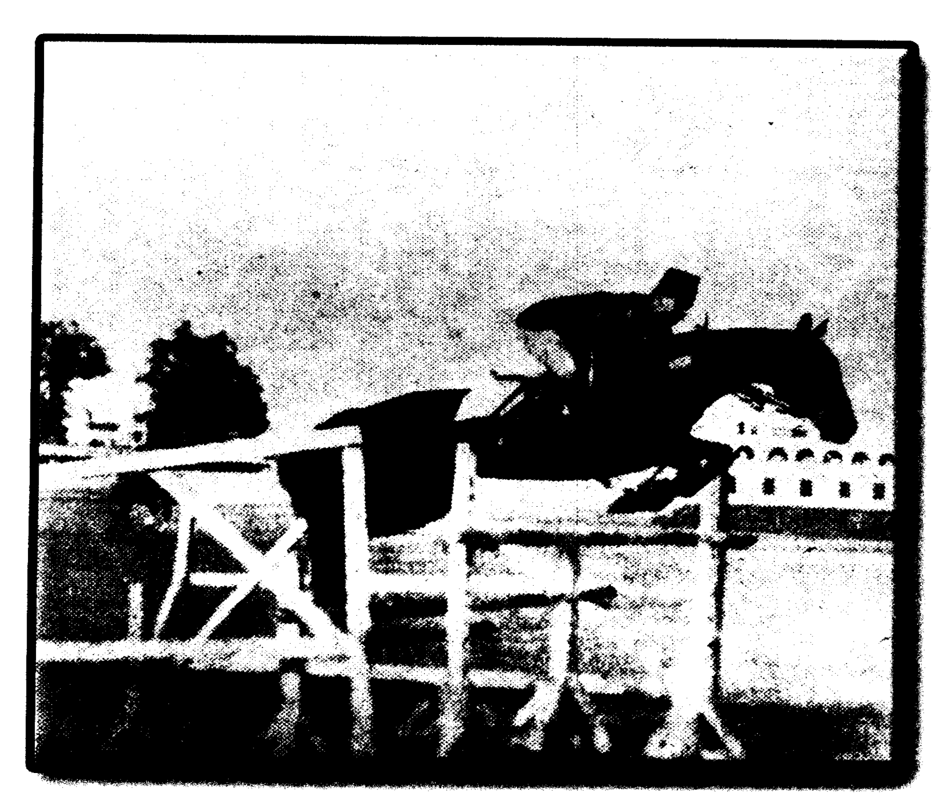
فريق كرة القدم الذى كان يرعاه أحمد عبد العزيز



صورة لم تنشر من قبل للبطل أحمد عبد العزيز وإلى جانبه الكئووس والجوائز
التى فاز بها فى مباريات الفروسية



مجموعة من ميداليات أحمد عبد العزيز الرياضية



أحمد عبد العزيز فوق صهوة جواده



لقطة رائعة للبطل أحمد عبد العزيز



الكأس الذى حصل عليه أحمد عبد العزيز فى مباراته المشهورة مع الجيش البريطانى



أحمد عبد العزيز مع مجموعة من الكئووس التى حصل عليها
فى مبارياته الرياضية



قفزة أخرى رائعة للبطل



الفارس أحمد عبد العزيز مع حصانه

أحمد عبد العزيز

المدرس والأستاذ

عرف أحمد عبد العزيز وهو ملازم صغير فى الجيش بحبه للقراءة وشغفه بالاطلاع الدائم إلى جانب قسوته فى التدريب لجنوده ، فقد كان من المعروف أن يقوم برش الأرض بالماء ثم يطلب من جنوده أن ينبطحوا فوق الأرض فى تدريب عسكرى يعلن بمجرد انتهائه أنه سيقوم بعد نصف ساعة بالتفتيش عليهم .

وعندما انتقل أحمد عبد العزيز للتدريس فى الكلية الحربية احتل مكانة مرموقة بين تلاميذه تلتف حولها قلوبهم وأرواحهم .

كانت له لهجة خاصة فى محاضراته تتسم بالحزم ، وكانت دائمًا حاسمة قاطعة وقد عرف عنه ـ كما ذكر تلاميذه وزملاؤه فى هذه الفترة ـ عسكريته (الناشفة) وكانوا يراقبونه وهو يحيى رؤساءه فى وقفة عسكرية صحيحة سليمة وتحية عسكرية قوية ، والويل لمن لا يرد هذه التحية بنفس طريقتها .. ولم يذكر مرة واحدة أن طالباً أدى له التحية إلا ورد عليه أحمد عبد العزيز بعسكريته التى تميز بها ...

هذا إلى جانب تمسكه الشديد بالتقاليد العسكرية العربية ... ومما يروى عنه فى هذه الفترة ... شقيقه (صلاح شريف) كان طالباً فى الكلية الحربية ، فكان يتعمد أحمد عبد العزيز أن يزيد من قسوته عليه ليضرب المثل به أمام تلاميذه ... وكان زملاء صلاح يتندرون بهذه المعاملة وكانوا يقولون له : « أظن أحمد عبد العزيز فى البيت لما تتغذى معاه كان طول ما إنته بتأكل يقولك اقعد ثابت » ..

والحقيقة أن أحمد عبد العزيز فى حياته الخاصة كان يعيش فى هذه التقاليد العسكرية ... ولم يذكر قط أن أحمد عبد العزيز شوهد فى أى مكان من أماكن اللهو بل حتى فى دور السينما لم يشاهد أحمد عبد العزيز إلا عند عرض رواية عسكرية أو قصة من قصص البطولة والفداء ...

كما يروى أنه كان يسكن فى شارع دسوق بمصر الجديدة وكان يسكن أمامه أحد (الباشوات) فى قصر خاص ... وكانت من عادة أحمد أن يدخل إلى حجرة مكتبه كل ليلة ساعات طويلة ليقرأ أو يطلع . وفى إحدى الليالى استمر نباح (كلب الباشا) طول الليل مما دعا أحمد لإرسال بطاقة منه للباشا يرجوه أن يمنع هذا الكلب وخاصة وأنه لا يوجد ما يدعو له ... ولم يلتفت (الباشا) لبطاقة الضابط الصغير ... واستمر الكلب فى نباحه ... فأعاد أحمد الكرة وأرسل بطاقة أخرى للباشا صاحب الكلب ... وقال له : « إننى حينما أدخل لبيتى فأنا فى حاجة إلى الراحة، وفترة راحتى يجب أن أقضيها فى راحة كاملة لأنها فترة قصيرة » . ولم يسأل عنه (الباشا) واستمر كلبه فى النباح ... فما كان من أحمد إلا أن حمل مسدسه ونزل إلى قصر الباشا وأطلق ثلاث رصاصات فى الهواء ثم عاد إلى بيته ، وهاج (الباشا) وأبلغ البوليس ... وفى قسم مصر الجديدة وقف أحمد عبد العزيز ليفاجأ بهم يطلبون منه تسليم سلاحه ... وابتسم البطل وقال فى ثقة واطمئنان وعزم : « معنى ذلك أن أخرج من هنا ميتًا .. فأنا ضابط ، وإذا تخليت عن سلاحى فكأنما تخليت عن حياتى وسمعتى وشرفى » ... وأصر أحمد ، وازداد النقاش والأخذ والرد .. وكانت كلمات أحمد عبد العزيز الحاسمة القاطعة تؤكد النتيجة التى وصل إليها عندما خرج ومعه سلاحه كما قرر ...

ثم سوى الأمر بعد اتصال تم بين أحد أقارب أحمد والباشا ...

ولقد كان البطل أحمد عبد العزيز يقوم بتدريس مادة التاريخ العسكرى والجغرافيا العسكرية على طلبة الكلية الحربية ... وكانت لحظات محاضرة أحمد عبد العزيز من أمتع اللحظات التى يهرع إليها طلبة الكلية ...

فقد كان أحمد يمزج التاريخ بقصص وروايات عن أبطاله وعن مثله فى لهجة محببة ونغمة ترتاح لها النفوس وتسكن إليها ... كان يصف المعركة الحربية ثم يبرز فى سير حديثه البطولات التى حدثت فيها ... وكان هذا يتطلب منه دراسة وبحثًا دائمين ... وكان أحمد ينطلق فى محاضراته بتحضيرات ممتازة وخرائط دقيقة وبدون مرجع واحد أمامه ، فكل ما يقوله محفوظ فى ذاكرته منمق فى طبيعته المنمقة الأنيقة .

ولم يحدث قط كما روى تلاميذه أن تذكر أحدهم أنه مل من محاضرة لأحمد عبد العزيز أو سرح بعقله فى إحداها أو تمنى أن تنتهى لحظاتها ... بل كان بعد تدريس المنهج يغلق باب قاعة المحاضرة ويقول بعد ان انتهينا من المقرر لنعرف تاريخ وطننا الحقيقى .

وكان أحمد عبد العزيز يغرس فى نفوس طلبته الروح العسكرية الحقة.. كان يفرض عليهم أن لا يفكروا إلا فى الشئون العسكرية ومن الأمثلة التى ضربها لهم مرة .... أن (فون شليفن) القائد الألمانى كان يسير مع أركان حربه ساعة الغروب عندما قال له الأركان حرب وهو يشير إلى الغروب : «إن هذا منظر جميل» . وإذا (بفون شليفن) يرد عليه قائلاً : «إن القبة التى هناك تتحكم فى كل هذا الموقع الذى أمامنا ... إن لها موقعاً حربياً هاماً» .

وكان يقول لطلبته : «أنتم ضباط حرفتكم القتال الذى يجب، أن يكون هدفكم دائماً التفوق فيه على عدوكم» .

وكان طلبته ينتظرون منه دائمًا أن يأمرهم بالصعب من الأمور ، وقد عودهم على ذلك وربى فيهم هذا الاتجاه .

وفى نفس الوقت الذى كان أحمد عبد العزيز يلقى دروسه العسكرية الشيقة لم ينس أن يعبئ تلاميذه تعبئة وطنية جارفة ...كان يحدثهم عن دور بلادهم فى معركتها ضد الاستعمار وضد الإنجليز وضد الصهيونية وكان دائماً يردد أمامهم : « إن شعبنا قوى ... إحنا حنكون كويسين » .

وكان أحمد عبد العزيز يؤمن إيماناً عميقاً بالله وبقوة العرب وكان يقول : « إذا ما اتحد العرب فإنهم سيكونون قوة قادرة وعظيمة » .

وكان أحمد يضع على مكتبه دائماً لوحة كتب عليها : « أن من أخطأ فى حق وطنه مرة واحدة حقت عليه اللعنة » .

وكان أحمد إلى جانب هذا كله ينمى فى طلبته حب الرياضة البدنية ويشجعها إلى أقصى حد ممكن ... وكان يشرف بنفسه على تدريب فريق كرة القدم بالكلية وقد حصل هذا الفريق طوال مدة إشراف أحمد عبد العزيز عليه على جميع الكؤوس فى المباريات التى اشترك فيها .

وبعد أن أتم دراسته فى كلية أركان حرب بتفوق ظاهر ، ولم يتخل قيد أنملة عن تقاليده ومبادئه .. فقد حدث فى يونيو ١٩٤٢ أن قررت العمليات الحربية استخدام خريجى كلية أركان حرب ليكونوا ضباط اتصال بين القوات البريطانية والهيئات المدنية فى محافظات الإسكندرية والبحيرة والغربية ، وذلك لتنسيق أعمال النسف والتدمير التى قررها الجيش البريطانى لعرقلة تقدم روميل بعد دحره الحلفاء حتى مرسى مطروح ..

وفوجئ المسئولون فى ذلك الوقت برفض أحمد عبد العزيز الاشتراك فى هذا العمل مما تسبب عنه إلغاء إلحاق هؤلاء الضباط كلهم وإلغاء المأمورية بالكامل.

أحمد عبد العزيز الكاتب والمفكر

وكان أحمد يتابع أنباء الحرب العالمية الثانية لحظة بلحظة . وكان يضع فى غرفة مكتبه خرائط عسكرية دقيقة يسجل عليها بقلمه كل التحركات باستماعه إلى محطات الإذاعة المختلفة وقراءة الصحف والمجلات واستنباط الحقائق بإلهاماته العسكرية وخبرته واطلاعه الخاص الذى كان يدله على ما تطويه بلاغات الطرفين المتحاربين من حقائق ومغالطات ... وكان أحمد عبد العزيز يعتبر فى ذلك الوقت من أكفأ الضباط الذين يتحدثون فى الحوادث الحربية (لأقرب تاريخ ممكن) .

ولقد كانت مكتبة أحمد عبد العزيز تضم مئات المراجع العسكرية والتاريخية والعلمية ، ولم تكن تضم كتاباً واحداً تافهاً ، أو يضم بين ضفتيه قصة متميعة أو حادثة توحى بانحراف أو شذوذ ... وكان ينمى فى طلبته وزملائه هذه الروح ، وكان دائماً يغذى الضباط الذين يتوسم فيهم الرغبة فى القراءة والاطلاع بالكتب والمراجع ويدلهم على ما يقرأونه ثم يناقشهم فيه ...

وقد وجدت فى أوراق القائد الأستاذ مجموعة كبيرة من أصول مقالات ومحاضرات له كما تذخر مجلة الجيش بمقالاته وأبحاثه ، هذا كله إلى جانب كتابه العتيد (المفاجأة) وكانت الطابع المميز لحياة بطلنا الشهيد .. وإننى سأحاول هنا أن أجمع بعض المقتطفات من مقالاته العسكرية التى كان لها طابع وطنى خاص ... أول ما وقع يدى عليه مقال تحت عنوان (الروح الحربية الكامنة فى الشعب المصرى) وكان بالقلم الرصاص ولم يتم شهيدنا كتابته ... وفوجئت بما فى هذا المقال من عمق ووعى ووطنية . ...

كان أحمد عبد العزيز يرد على الأكذوبة الكبيرة التى رسبها الاستعمار عندنا وهى أننا شعب زراعى ... وأضاف إليها أكذوبة أخرى تقول: « إننا شعب وديع مسالم » .

وبدأ أحمد عبد العزيز يفند هاتين الأكذوبتين ... ويثبت فى ثقة وإيمان قدرات هذا الشعب وعظمته وقوته ....

وإننى أورد هنا هذه المقالة التى (لم تتم) ...

مقدمة:

اليوم أدرك المصريون حقيقة الأكذوبة القائلة بأن مصر دولة زراعية فقط ، وأن الصناعة لم تخلق لها ... كان جديراً بهم أن يفهموا هذه الأكذوبة ويقضون عليها من أمد بعيد ، وخاصة وأن تاريخ مصر الطويل يثبت بوضوح أنها كانت على مر العصور فى مقدمة الأمم الصناعية ، وأن الصناعة فيها لم تهدم ، وأن الروح الصناعية لم تضمحل إلا فى أيام الاحتلال الأجنبى وتحت وطأة هذه الدعوى الباطلة التى نشرها الأعداء وأعوانهم النفعيون ...

ولولا أن مصر تصلح للصناعة حقًا ، ولولا أن المصرى أهل لها جدير بها ، ولولا أن فى مصر موارد عظيمة للصناعة أيضًا ، لما اهتم أى غاصب بنشر هذه الأكذوبة فى كل مكان حتى فى دور العلم والعرفان .

ومن العجيب أن هناك أكذوبة أخرى ترافق دائمًا هذه الأكذوبة ، ولا تقل خطورة عنها ، وهى أن الشعب المصرى شعب وديع مسالم غريب عن الروح الحربية شأنه فى ذلك كشأن جميع سكان السهول والوديان .

ولكن أيضًا لولا أن فى المصريين روحًا حربية كامنة ، ولولا أن هذه الروح قوية حقاً كما سجلها التاريخ من قتال الجيوش المصرية ومن كفاح

الشعب المصرى خلال العصور المتعاقبة ، ولولا أن هذه الروح قد تضعف أحياناً ولكنها لا تموت أبداً ، لما برزت هذه الأكذوبة أيضًا وخاصة فى دور العلم والعرفان .

إن انتشار هذه الأكذوبة وعدم اقتلاعها من جذورها يفسد الروح الحربية وتخمد جذوتها كما ينزع الثقة ويثبط العزيمة ... وأن فساد الروح هو ضياع كل شىء ، كما أن الإقدام على عمل بدون توفر الروح اللازمة له هو الخطر الأكبر وهو الفشل المحقق .

لذلك كان من أهم الواجبات الوطنية المفروضة على قادة الفكر من عسكريين ومدنيين أن يهتموا بالروح ذاتها وكل ما يؤثر عليها ... فعليهم أن يطهروا روح الشعب من مثل هذه الأكاذيب بالقول والعمل قبل أن تتمكن من التسلط على أى طبقة من طبقاته ، عليهم أن يثابروا على إزالة الرماد الذى يطمس جذوة الروح الحربية ، وهو الرماد الذى تحمله عادة العواصف التاريخية السوداء التى تهب على الشعوب من وقت إلى آخر ، وعليهم أن ينفخوا فى تلك الجذوة بكل قوة حتى تبدو للشعب المصرى كحقيقة ناصعة تبهر أنظاره وتلهب مشاعره وتحيى إيمانه بنفسه ، وتبعث ثقته بروحه الحربية وجدارته للنهوض والارتقاء ، والوقوف من جديد فى مصاف الدول الحربية العظيمة .

واللحظة التى يؤمن فيها الشعب بروحه ويدرك حقيقة جوهره ويثق بنفسه ومستقبله هى لحظة حاسمة فى تاريخه ، هى لحظات الانتقال من اليأس إلى الأمل من الموت إلى الحياة ، من الخمول إلى الكفاح .

ولكن يجب أن يعلم أن مثل هذه الواجبات الوطنية المفروضة على القادة نحو الشعب هى عمل شاق لا يليق به ، ولا يستطيع المضى فيه إلا من

امتلأ قلبه بإيمان قوى صحيح ... ولن يكون هذا الإيمان قوياً صحيحًا إلا إذا كان قائمًا على حقائق دامغة صادرة عن معرفة صحيحة بتاريخ الشعب وأخلاقه وعن تفسير وطنى مضبوط لمجموعة حوادثه التاريخية القديمة والحديثة ، وليس لمجرد حالات خاصة مظلمة أو علل وقتية زائلة فى حياته الطويلة المستمرة .

إن جميع الظواهر البارزة فى تاريخ مصر الكبير تشهد بأن نهضتنا التاريخية تمتد فى كل العصور ، وأن هذه النهضات تمتاز دائمًا بالسرعة والمفاجأة ، وتزدان بالجرأة والبسالة وتتكلل بالفتوحات الرائعة .

وإن دلت هذه الظواهر على شيء فإنما تدل على أن هناك روحًا كامنة متوثبة، وهبها الله إلى هذا الشعب لتساعده فى الارتقاء بسرعة فى كل نهضة من نهضاته . وهذا التاريخ الطويل الذى تستأثر به مصر دون الأمم قاطبة ينبهنا من ناحية ويحضنا من ناحية أخرى على فهم حقيقة هذه الروح التى تربض فى صدورنا ، والتى سوف تدهش العالم من جديد إن عاجلا أو آجلا .

لذلك كله كان هذا الموضوع من الأبحاث الحيوية التى يحتم على الشعب المصرى أن يفهمها وأن لا ينساها ، وخاصة فى المحن والشدائد عندما يكون فى مسيس الحاجة إلى الثقة بنفسه والإيمان بمستقبله .

وقبل أن نبدأ هذا الموضوع أود أن أذكر القارئ بأن هناك قوى ومزايا طبيعية كامنة فى قرارة كل شعب من الشعوب .. وإذا حجبتها الظروف فى أى وقت ولأى سبب ، فإنها تظل باقية فى الشعب تعمل عملها وتنتج ثمارها على قدر قيمتها وحسب الظروف المحيطة بها .

حقيقة أن التربية الحربية والقيادة الماهرة هما الوسيلة العملية المباشرة لخلق الروح الحربية وتهذيبها ، ولكنهما مع ذلك تعترفان صراحة بالأهمية العظيمة للروح المتأصلة فى الشعب ، وهى الروح التى تظهر قيمتها دائماً فى الظروف الحرجة والمواقف العصيبة حيث تلعب الغرائز دوراً رئيسياً خطيراً .

والتربية الحربية ذاتها تتأثر بالروح الكامنة فى الشعب كما تتبدل تبعاً للعوامل السياسية المختلفة ...أما الروح الحربية الكامنة فى الشعب فهى نواة صحيحة معروفة لا تتغير ولا تتبدل ولا تفنى ولا تموت ... فهى لذلك ثروة عظيمة لن يفطن إليها ويعرف كيف يقودها ويستخدمها استخداماً صحيحاً .

ولكى يسهل فهم هذا الموضوع على وجه صحيح شامل ، سأقسمه إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : وسأشرح فيها الروح الحربية وأهميتها والأسس التى تقوم عليها والتى يمكن بها قياسها والحكم عليها حكماً صحيحاً ، ثم العوامل التى تثيرها وتذكيها .

المرحلة الثانية : وسأشرح فيها بالتفصيل حقيقة الروح الكامنة فى الشعب المصرى .

والمرحلة الثالثة : وسأبين فيها كيفية النهوض بهذه الروح فى الشعب المصرى.

ولطول هذا البحث وأهمية كل مرحلة من مراحله الثلاث سأتناول كل واحدة منها فى رسالة خاصة من رسائل الثقافة العسكرية .

والآن لنبدأ بالمرحلة الأولى : « ... ... ».

وهنا وقف قلم القائد العربى البطل ..

كما وجدت بحثاً آخر تحت عنوان « السياسة الواجب إنتاجها للنهوض بقوات الدفاع المصرية وزيادتها مع مراعاة مساحة مصر وعدد سكانها وثرواتها وموقعها الجغرافى » .

وسلسلة من المقالات تحت عنوان : « مصر والسودان إقليم واحد لا يتجزأ يربطه النيل برباط وثيق من المصالح الحيوية ، دفاعية واقتصادية وثقافية » . وقد تقدم بها لمسابقة الموضوعات العسكرية وفازبالجائزة الأولى وقد بدأها بهذه العبارة:

« ما أطول تاريخ مصر وما أوفر محصوله وأغزر عظاته وإرشاداته.. ولكن ما أكثر الأيدى العابثة التى شوهت صفحاته ، والنفوس المغرضة التى حرفت معانيه وطمست حقائقه ، حتى اختفت عنا أصول المعرفة ، والتبس على الكثيرين طريق الحق والرشاد ، وعجز قادة مصر أنفسهم عن رسم الخطوط المستقيمة الصحيحة اللازمة لتوجيه تاريخنا الوطنى » .

المفاجأة

ومن الكتب الهامة التى كان البطل الشهيد قد بدأها منذ أن كان أستاذاً حتى استشهد فى الميدان كتابه عن (المفاجأة) . وقد نشر منه مقالات فى المجلة العسكرية وتقول مقدمة الكتاب الكبير :

« اتفق العسكريون على أن المفاجأة هى أهم مبادئ الحرب ... ولو تأملنا جيداً فى هذه المبادئ لرأيناها كلها تدور حول المفاجأة ... هذه الأهمية العظيمة للمفاجأة تحتم علينا دراستها دراسة فنية وافية .. ومثل هذه الدراسة لا تتحقق إلا إذا بحثنا المفاجأة على حدة أولاً كفن قائم بذاته حتى يمكننا التعمق فى تحليلها إلى عناصرها الأصلية وفهم أصولها وعواملها وأسرارها .. فالإنسان لا يدرك حقيقة أى فن أو مبدأ إلا إذا درسه أولا على حدة ليلم بكل نواحيه .. وأما علاقة الفن أو المبدأ بغيره من الفنون والمبادئ فهى آخر مراحل الدراسة وأبسطها هى النهاية أو المظهر وليست الأصل أو الجوهر .

لذلك لن أتعرض هنا لعلاقة المفاجأة بغيرها من مبادئ الحرب فقد درسنا ذلك كثيراً فى معارك التاريخ وسأقصر بحثى هنا على المفاجأة وحدها.. سأحللها أولاً مبينًا كيف يجب أن نفهمها وعلى أى أساس يجب أن ندرسها ونعلمها ونعدها ونطبقها ـ ثم سأشرح أنواعها والعوامل التى تضمن نجاحها ، وكيف نأمن جانبها كل ذلك من الناحيتين العلمية والعملية فى السلم والحرب .

ولا أكون مغاليًا إن قلت إننا إذا فهمنا المفاجأة تمامًا فهمنا الحرب كلها.

أحمد عبد العزيز وكمال الدين حسين

إن الحديث عن أستاذية أحمد عبد العزيز تدفعنا بلا شك إلى تناول تلك العلاقة القوية التى نشأت بينه وبين أحد تلاميذه فى الكلية الحربية ، الذى أصبح بعد ذلك قائداً لمدفعيته فى معركة فلسطين عندما كانت القومية العربية تسجل لأبطالنا الفدائيين من الشباب العربى أروع صفحات التضحية والبذل والفداء ...

وإننى أترك الحديث فى هذا الجزء للسيد كمال الدين حسين الذى سجل بقلمه أول لقاء تم بينه وبين البطل أحمد عبد العزيز فى مذكراته الهامة عن أسرار حرب فلسطين .

قال السيد كمال الدين حسين :

« فى صيف سنة ١٩٤٧ كان ابن خالتى بهجت حلمى رمضان مريضاً ، ويقضى فترة العلاج بمستشفى الدكتور عبد الرءوف حسن بباب اللوق ، وبينما أنا فى زيارته ذات يوم قال لى إن ضابطاً بالجيش نزل الغرفة المجاورة له ، وأنه يدعى الملازم أول صلاح شريف وهو شقيق البكباشى أحمد عبد العزيز الضابط بسلاح الفرسان .

وكنت أعرف البكباشى أحمد عبد العزيز من قبل جيداً ، فقد كان مدرسى بالكلية الحربية ، وكنت أعتز به أستاذاً ومثلاً فى القيادة والمهارة والشجاعة ، فضلاً عن أنه كان الفارس الأول فى الجيش .

أما شقيقه الملازم أول صلاح شريف ، فقد كنت كلما قابلته ذكرت معه حادثاً طريفاً كان مدعاة للتندر بيننا نحن الضباط ويتلخص فى أنه ذهب

يوماً لزيارة قريته وراق له أن يمتطى حماراً ، وما كاد يهم به حتى سقط من على ظهره ، ولما علم أحمد عبد العزيز بهذه (الواقعة) ذهب يؤنب أخاه قائلاً :

« مش عيب تبقى أخو أحمد عبد العزيز وتقع من على الحمار ؟ » .

ووجه العيب هنا أن أحمد كان وقتئذ بطل سلاح الفرسان الأول ، بل ومن أبطال الفروسية المعدودين فى العالم .

وحتى ذلك الوقت لم أكن قد اجتمعت بالفارس الأول فى جلسة خاصة وإن كنت وغيرى من تلاميذه الضباط نتناقل أنباءه فى مجالسنا ، وكان بينها النادرة مع شقيقه صلاح .

ورأيت الواجب يقتضينى أن أزور الزميل الضابط الراقد فى الغرفة المجاورة لقريبى فذهبت إليه ذات ليلة وإذا البكباشى أحمد عبد العزيز يدخل علينا ثم يجلس ويدور بيننا حديث عجيب بالنسبة للمكان والظروف التى دار فيها .

لم يتحدث أحمد عبد العزيز فى المسائل العابرة على عادة المتحدثين حول فراش المريض ، وإنما طرق باب الوطنية ، ومضى فى طريق الجهاد والمجاهدين ، وعرج منه على الحالة التعسة التى انتهت إليها البلاد وقتئذ ، وما يقتضيه هذا من حشد الجهود والبذل بسخاء والتضحية والفداء وقال :

« أجل ... لابد من التضحية وتلك هى الوسيلة الوحيدة حتى يعيش المواطن منا حراً عزيزاً كريماً ، أو يموت وقد كسب الشهادة وفاز بالجنة التى وعد الله بها عباده المجاهدين » .

بهذه العبارة ومثلها مما لا يحضرنى ذكره الآن ، كان أحمد عبد

العزيز يقوى من روح شقيقه صلاح المعنوية ويثير فيه حب المقاومة وعدم الاستسلام للمرض ويزيل ما قام لديه من خوف العملية الجراحية المنتظرة ... وكان أسلوبه مبتكراً فذاً استطاع به أن يقضى على مخاوف شقيقه ويبث فى صدره أملاً قوياً ، وكان هذا الأمل فى طليعة العوامل التى ساعدت على نجاح العملية الجراحية الدقيقة التى أجريت له .

وخرج بهجت من المستشفى وغادره أيضًا الملازم أول صلاح شريف بعد أن شفى تمامًا ، وفى تلك الأثناء صدر قرار تقسيم فلسطين ، ونشب القتال بين العرب والدخلاء على بلادهم من العصابات الصهيونية ، ودارت عملية إفناء سالت فيها الدماء العربية ، بينما الضمير الإنجليزى الذى أوقد تلك النار لا يحس المسئولية ، والضمير العالمى لا يشعر بها ... ودخل الصراع فى مراحله الجديدة وجعل يتخذ شيئًا فشيئًا صورة حرب حقيقية ، واعتدى الصهيونيون على الأماكن المقدسة ، ونشطت عملية إبادة واسعة النطاق .

وفى بيت جمال عبد الناصر اجتمع أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، وجلسنا نستعرض الحالة فى فلسطين واتفقنا على ضرورة مشاركة إخواننا العرب شرف الدفاع عن الوطن العربى ، وبعد أيام كان الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين يحمل رغبتنا فى العمل مع جيش المقاومة العربى إلى رئيس الحكومة ، وكان وقتئذ محمود فهمى النقراشى ، ولكنه رفض الموافقة .

ومرت الأيام ، وتفاقمت الأحوال فى الأرض العربية ونحن نكاد نتمزق أسى ونحترق غيظاً ، وكنت وقتئذ مدرسًا بمدرسة المدفعية برتبة يوزباشى ورأيت مع جماعة من الزملاء أن نتابع إلحاحنا فى السفر إلى

فلسطين مرة أخرى ، فتقدمنا بطلبات تطوع للجهاد فى الأرض المغتصبة ، وبعد أيام فوجئت بإدارة الجيش تبحث فى طلبى .

وهناك وجدت نفراً من الزملاء الضباط الذين دفعتهم النخوة العربية إلى إبداء الرغبة فى التطوع ... وفى ذلك اليوم قال لنا المسئولون فى إدارة الجيش أنهم سينظرون فى إيفاد بعض الضباط على رأس قوة من المتطوعين المصريين للقيام بعمليات فدائية جنوب فلسطين .

ومرت الأيام التالية ونحن نتحرق شوقاً إلى يوم السفر .

ومن القصص التى رواها كمال الدين حسين عن البطل أحمد عبد العزيز تدل على أستاذيته وطريقة معاملته لجنوده وتلاميذه هذه القصة : «انتهت الإغارة على مستعمرة (بيت ايشل) وعدنا إلى قواعدنا فى بئر السبع وتناولنا الغداء فى معسكرنا بالمدرسة ثم خرجنا إلى الشرفة وجلسنا على سلمها نتجاذب أطراف الحديث ، وحانت منى التفاته إلى برج يواجه المدرسة فطلبت من أحد الحاضرين أن يقدر المسافة بيننا وبين هذا البرج ، فقال إنه بين مائة ومائتى ياردة .

وتصادق أن مرت أمامنا جماعة من المتطوعين فاستوقفهم قائدنا (أحمد عبد العزيز) وطلب من أحدهم أن يقدر المسافة بيننا وبين البرج فقال واحد إنها ٥٠ ياردة وقال آخر ١٠٠ ياردة ، ثم قلت أنا : المسافة تزيد على مائتى يادرة ... ولكن القائد عارضنى : إنها أقل من ٢٠٠ ياردة .

وراهنى أحمد عبد العزيز ، فقبلت الرهان على ذلك ، وانضم إلى رأيه ضابطان وانضم إلى أحد الضباط ، وكان على خاسر الرهان أن يشترى بالمبلغ المتراهن عليه شيئاً يأكله الجميع .

وكلفنى القائد أن أقوم بقياس المسافة بالخطوة وإذا هى تبلغ نحو ٢٠٠ ياردة .

وخسر أحمد عبد ا لعزيز الرهان .

ربما كانت الواقعة شيئًا عابراً لا يثير الاهتمام ، ولكنها تركت فى نفسى أثراً عيمقاً ، لا لأننى كسبت الرهان ، وإنما لأنها كشفت لى عن ناحية جديدة فى شخصية أحمد عبد العزيز وأظهرت لى مدى تواضعه الجم ، ومعاملته لجنوده كأنهم إخوان له ، وتبسطه فى الحديث معهم ومحاولة تدريبهم على تقدير المسافة بطريقة بسيطة مرحة .

بهذه الروح الطيبة السمحة روح التواضع الجم اكتسب أحمد عبد العزيز قلوب ضباطه وجنوده ، فالتفوا حوله وجعلوا من أفئدتهم حصوناً تفتديه .

أحمد عبد العزيز

كوالد ورب أسرة

تزوج البطل أحمد عبد العزيز فى ٣ سبتمبر ١٩٤٠ من كريمة القاضى على مبارك نجل البطل الوزير على (باشا) مبارك ... ورزق بأول أبنائه خالد فى ٥ ديسمبر ١٩٤١ ثم رزق بعده بخمس سنوات بنجله الثانى محمد (وليد) .. ولقد كان أحمد عبد العزيز مثاليًا فى معاملته لأسرته ... فكان زوجاً مثالياً كما كان أباً مثالياً .

وكانت طريقة تربيته لأولاده العطف الشديد المقرون بالمهابة والاحترام وكان يغرس فى ابنه خالد تحمل الألم ، وأن لا يظهره مهما كانت وطأته ... وفعلا شب خالد على ذلك وأصبحت هذه النصيحة خطاً فى حياته... وكان يدعوه وهو طفل عندما يقع على الأرض فى لعبه أن يقف فوراً .

وكان أحمد عبد العزيز يقضى دائمًا وقته فى بيته ، ويعطى وقت فراغه بعد عمله وقراءاته لأولاده وأسرته ... وكان أحمد عبد العزيز فى كل تصرف من تصرفاته فى منزله يقدر تماماً إعطاءه المثل لأولاده .

هذا وقد كانت رسالته لزوجته فى حالة غيابه عن بيته فى عمله ، أو عندما كان فى معركة قصيرة ، تضم كل ما يريد أن يقوله فى عبارات قليلة... وهذه كانت دائماً عادة البطل الشهيد ، فقد كان يؤمن تماماً بأن خير الكلام ما قل ودل .

أحمد عبد العزيز

المواطن العربى والخطاب الوطنى

إلى جانب آراء البطل أحمد عبد العزيز فى النواحى العسكرية والتاريخية فقد كان لأحمد عبد العزيز آراء سياسية واجتماعية وإنسانية خاصة تتسم بروحه الثائرة ووطنيته الصادقة وعروبته القوية العميقة الخالصة ... وسيرد بعض هذه الآراء فى الجزء الخاص بمعركة فلسطين وخطبه للمتطوعين .

كما تضمنت آراء البطل العسكرية مقالاته العديدة فى مجلة الجيش المصرى فى ذلك الوقت والتى اشتهر بها أحمد عبد العزيز كباحث ومعلق وأستاذ عسكرى يتسم بعمق البحث وسرعة الاستنتاج وصوابه ... كما كان البطل يعد كتابه الحربى الهام عن (المفاجأة) وسنورد مقتطفات مما جاء به فى نهاية هذه الكلمة إلى جانب دراسات وأبحاث عسكرية خاصة لم تنشر كبحث القائد عن « السياسة الواجب انتهاجها للنهوض بقوات الدفاع المصرية وزيادتها مع مراعاة مساحة مصر وعدد سكانها وثروتها وموقعها الجغرافى » .

كما كان للبطل الفارس آراء عديدة فى الفروسية وتربية الخيول وتدريبها ... آراء مبنية على الدرس والاطلاع والتجربة .

ومما وجد فى أوراق البطل الشهيد كلمة وطنية صادقة كتبها بخط يده بعنوان (الوطن فى خطر) ويقول أحمد عبد العزيز فى كلمته هذه :

« إن العناصر الهدامة التى سهلت لبريطانيا احتلال مصر ، ومنعت الشعب من تحقيق ما كان ينشده من الإصلاح ، وشاركت الإنجليز فى الاستبداد به وسلب حقوقه وموارده وتحطيم قواه وجهوده - هذه العناصر

المتألبة على الشعب منذ القدم وما زالت إلى اليوم تعمل عملها وتنفذ أغراضها بالطرق التى تكفل نجاحها ... فبالأمس كان تنفيذ أغراضها على أيدى الطبقة الحاكمة من الباشوات الأتراك واليوم يجرى التنفيذ على أيدى الباشاوات والوزراء المصريين الذين امتلأ تاريخهم بخيانة الشعب المصرى وتضليله والتفريط فى مصالحه وحقوقه ، والتسليم للإنجليز والأجانب فى كل مطالبهم ، استرضاء لهم فى سبيل أبهة الحكم المصرى العجيب المجرد من الحساب والعقاب ، والممتلئ بالصفقات والشهوات والاحتفالات .

هذه الطبقة الحاكمة هى سماسرة العدو الذين لا كسب لهم ... ولن يتيسر لهم الكسب إلا بخداع الشعب أو التنكيل به إذا اقتضى الأمر ، لمساعدة أسيادهم الإنجليز وتحقيق رغباتهم وتحسين مركزهم الاستعمارى الدولى وتأمين استغلالهم للشعب المصرى ، تأميناً لرفاهيتهم وطمأنينتهم فى استغلال مصر من جميع النواحى » .

ويقول أحمد عبد العزيز فى كلمته الوطنية :

« لقد أبدع العدو فى توجيه هذه الطبقة نحو المظاهر الجوفاء فى كل ناحية من نواحى الحياة حتى افتتنت بها وانقادت إليها وأسرفت فى تضليل الشعب وإرهاقه بها إلى أن مجها وأدرك بعدها عن الحقيقة والحق وانطوائها على الخديعة والشر ، ويتيسر للإنجليز والأجانب الحصول على معين لا ينضب من الأنصار المصريين بإغرائهم بشتى الأساليب ، وضمان الطمأنينة والغنى والجاه لهم ...

وخلق الشعور فيهم بأن السعادة المحققة والنصر الأكيد فى التعاون معهم ، وهذا الشعور أهم أسباب نجاحهم ، وكما أفلح الإنجليز فى أثناء الحرب الأخيرة فى جعل ديجول وأشباهه أقطاباً فى السياسة والحرب ، تحقيقًا

لمصالحهم ، كذلك أفلحت خطط الإنجليز والأجانب فى مصر فى جعل أعوانهم وتلاميذهم المصريين أبطالا فى السياسة والاقتصاد والحرب ، بل وفى الزعامة ذاتها ، زعامة مصر الدولة العربية ذاتها ، فأمكنهم بذلك توجيه الشعب توجيهاً خاطئاً فى كل ناحية فى مختلف الميادين ، وسد الطريق أمام أبطاله الحقيقيين الذين لا حيلة لبريطانيا فى قهرهم أو خداعهم ، فحرموا الشعب من القيادة العملية الوطنية ، واستطاعوا أن يلقموا مصر على أيدى هؤلاء الأعوان فى كل لعبة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أخلاقية .. إلخ.

حتى هوت مصر إلى الحضيض وأصبحت فى الواقع مهزلة المهازل وأضحوكة العالم ، لأن هيئاتها الحاكمة خنازير بشرية تمثل الأدوار السياسية وتتقن مظاهر القوة والحرية ، وهى فى الواقع تابعة ذليلة لإنجلترا التى تتباهى بها على مسرح التمثيل السياسى ، وتضلل بها المصريين وتفسدهم كما تضلل بها الأمة العربية وتفسدها ... ومع ذلك لم يغفل الإنجليز عن اتهام الحكومات المصرية فى الظروف المناسبة بإهمال شئون الشعب المصرى وظلمه ، ولم يغفل الحكام المصريين أيضاً عن التظاهر أحياناً بالوطنية ونسبة هذا الإهمال إلى التدخل الإنجليزى وغيره ... وهذه كلها أساليب استعمارية لا تخفى على العقلاء لأنها فى مصلحة هذه العناصر النفعية المناوئة للشعب المصرى .

يجب أن لا نخدع بعد الآن حتى لا تذهب جهودنا وتضحياتنا هباء... يجب أن نفهم أولا وضعنا الصحيح على أساس تاريخى صحيح ... ويجب أن ندرك مصائبنا وأسبابها على حقيقتها حتى نبتعد عنها ولا نعود إليها ثانية ... يجب أن نعرف حقيقة أحوالنا وفداحة الأخطار التى تهدد كياننا ومستقبلنا على أيدى هذه العناصر المضللة التى ما زالت تعمل ضدنا منذ بداية نهضتنا ومن قبل الاحتلال الأجنبى .

حينئذ يمكننا أن ندرك واجبنا الحتمى الوطنى ، ونؤمن برسالتنا المقدسة فى هذه الحياة الدنيا ، وعندئذ تسمو نفوسنا وتصبح أعمالنا جريئة صحيحة .

هاكم الحقائق فى أوضح صورها ، أقرؤوها بإمعان ، واذكروها على الدوام ، واستعينوا بها فى العمل والجهاد ، فهى كفيلة بتحريك ضمائركم وشحذ إرادتكم وتسديد خطاكم » .

ويقول أحمد عبد العزيز :

« ثم تأمل أيها العربى فى حالة الجنوب القريب منك ، وفى حالة الصعيد التى تتوالى عليه الأمراض والأوبئة فى كل عام ، فتحصد الكثير من سكانه حتى أصبح مصيرهم إلى الزوال محتوماً إذا استمرت هذه الحالة قليلاً .

ألا ترثى لهذا الجزء من وطنك الذى كان أقدس الأراضى المصرية وأنشطها عملا ... انظر إلى أبناء الصعيد الأقوياء العاطلين وهم يتسللون إلى الشمال بلا انقطاع طلبًا للرزق والعمل وفراراً من الجوع والمرض فلا يجدون أمامهم غير المهن الفقيرة ومطاردة الشرطة لهم وعسف الجميع بينما حكومات مصر المتعاقبة لم تبذل شيئاً يذكر لإنقاذ الجنوب وإحيائه سواء بمشاريع الرى والزراعة أو باستغلال موارده الصناعية المختلفة أو بتيسير العمل لسكانه المحتاجين ، كل ذلك لأن الأغنياء وأصحاب المصالح والأجانب وعلى رأسهم الحكومات المصرية يحصرون اهتمامهم فى المشاريع المفيدة لهم المناسبة لبيئتهم المجاورة لأراضيهم الإقطاعية فى الشمال ويضنون بأبسط المساعدات على الطبقات العاملة الفقيرة وصغار الملاك . هذه المؤامرة الوحشية ضد الجنوب تخفيها الطبقة الحاكمة بأكاذيب ومظاهر العطف كجمع التبرعات وتقديم الأغذية والأقمشة والأدوية وإرسال الأطباء والمتطوعين والمتطوعات

فإذا ما أدى المرض رسالته ووريت الضحايا التراب عاد المجرمون إلى لهوهم العلنى بالعاصمة فى الحفلات والولائم ووسط ثناء النواب والجرائد . وهذا كله يدفع هذا الشقاء المستمر بل منع الشعب من الثورة لإخوانه الذين يموتون ظلماً وجوعًا وهيأ للطبقة الحاكمة العابثة ألقاب المروءة والإحسان التى أصبحت تهواها كما تهوى الحفلات والمأكولات .

على هذه الصورة الباطلة عملت هذه العناصر المدمرة على ستر جرائمها ضد الوطن والإنسانية عن أعين الشعب حتى يظل ضعيفًا جاهلاً محتاجاً .

ولكن أيها المصرى إن الإنجليز الماكرين يختفون وراء هذه الأرزاء ، فهم الذين يكرهون الصعيد لأسباب سياسة كثيرة ويخشون عمرانه وارتقاءه لأنه قلعة متطرفة خطيرة من قلاع مصر التاريخية ولأنه حلقة الاتصال بين مصر والسودان ، وهم الذين دفعوا الحكومات المصرية أثناء الحرب إلى جمع الحبوب من المزارعين لينعموا هم وليجوع الفقير ، فيضطر إلى العمل معهم فى الصحارى والمصانع وغيرها أو يمرض جوعًا وبمساعدة الحكومة لهم نجحوا فى سياستهم الاجتماعية الى جربوها بنجاح فى الهند وغيرها فوجدوا من يخدمهم ويرفه عنهم من الأغنياء المتنعمين فى ظلهم ومن الفقراء المضطرين لحاجتهم ومات هناك فى أقصى الجنوب من لم يقدر أو يقوى على ذلك ... وسوف تتكرر هذه المأساة فى صور جديدة عندما يتم تسريح الإنجليز لحوالى مليون فاعل وصانع من المصريين الذين سينقلون من شر مساعدة العدو إلى شر آخر هو من نتائج خطط العدو الاستعمارية ومن ثمرات انتصاره الذى شقوا فى العمل من أجله .

إن المشاريع والوسائل اللازمة للحياة الشريفة التى ننشدها متيسرة فى بلادك الغنية ثم إنك لفى مقدمة الشعوب الممتازة بالذكاء والكفاءة ولكن الأبواب مغلقة فى وجهك وفى وجه من يعمل من أجلك ومفتوحة للأجانب ومن يعمل من أجلهم ، والتطويق الاقتصادى الذى ضربه الإنجليز والأجانب من الداخل والخارج والتعليم الاستعمارى الخاطئ الذى وضعوا بذوره فى المدارس يسممان الأفكار بأسوأ المبادئ التى تفسد سياسة مصر الزراعية والصناعية والتجارية والعسكرية والأخلاقية وغيرها وتهدم أساس العمل المجدى والإنتاج النافع والقوانين الضارة والضغط والتعجيز المختلفة تتركز فى المشاريع الوطنية المثمرة وتنشر فى النفوس العاملة لكى تحجم عن المشاريع الهامة والحكومات المصرية تبت وتشرع فى مسائل سياسية وتجارية واقتصادية واجتماعية كبيرة بصورة تتفق مع صالح الإنجليز والأجانب وفئة من أعوانهم المصريين ولا تتفق مع مصالح الشعب الحقيقية . كل ذلك والشعب المصرى يتخبط فى الظلمات والبؤس لا يدرى حقيقة ما يدور حوله بينما ساسته ونوابه وقادة الفكر والعلم منصرفين عن واجبهم الوطنى نحو هذه الحالة، منشغلين بما يعود عليهم بمنفعة خاصة .

وليست هذه الحالة بنت اليوم ، بل هى مستمرة منذ أمد بعيد تهدد مستقبل الشبيبة الشعبية وتوصد أبواب الرزق الحلال أمامها وتضيع عليها زهرة الشباب وتقضى فى النهاية على حيويتها ونشاطها وأخلاقها ... أما مشاريع الإصلاح التى يرددها الحكام فهى حيل خادعة لن توصل الشعب إلى أهدافه قطعاً لأنها أعمال يصممها الطغاة الظالمين والخونة المجرمين الذين لن يقبلوا أن يخرج الشعب عن عبوديتهم أو يرتفع عن مرتبة الخادم لهم ، فلا خير إذن فى طريقهم ولا بركة من أياديهم .

إن أخطر ما فى هذه المأساة التى غمرت حياتنا الوطنية هو ذلك الفساد الخلقى الذى انتشر فى البلاد تحت ستار المدنية بحماية الحكام وتشجيعهم ، فجرف الكثير من أمامه إما قهراً تحت ضغط الحاجة أو الإغراء ، وإما طوعاً للغايات والشهوات التى يسر الحكام وسائلها وأسبابها ، فانهار صرح الأخلاق وتقوضت دعائم الدين ومات الضمير وامتد هذا الطوفان إلى الأسر الشريفة يهددها بالانحلال العاجل والدمار الأكيد وأصبحت جميع المصالح لا تقضى إلا بالوسائط وأصبحت القوانين والوظائف والحقوق والواجبات بل وسياسة البلاد ذاتها ألعوبة فى أيدى الفاسدين والفاسدات والمتملقين والمتملقات، فتلاشت القيم الصحيحة والكفاءات الحقيقية والمثل العالية من حياتنا القومية . وأصبح الكذب والافتراء فناً راقياً يمتاز به الساسة والحكام وكبار الموظفين ، فهم يكذبون جيداً على الله والشعب وعلى عائلاتهم وذويهم وعلى أنفسهم ويعبثون بالأصول المقدسة ويتفننون فى محاربة المصلحين والحط من قيمهم وأعمالهم . فإذا هتف هاتف بالإصلاح قالوا هذا شيوعى خائن تدفعه دولة أجنبية ، أو أنه متعصب متطرف يضر القضية المصرية ، أو أنه جاهل بالسياسة وأصولها ، بعيد عن الحكمة وفنونها لأنه يغضب السادة والإنجليز والأجانب .

فيا أيها المصريون الذين لم يتلوثوا بعد ...

إن مصر على مفترق الطرق والأخطار الجسيمة تحيط بكم وبذويكم من كل اتجاه ، وتهدد سعادتكم الحقيقية فى الدارين ، وإن تبعاتكم أمام الله والوطن عظيمة للغاية ، فاعملوا فوراً على دفع هذه الأخطار والقضاء عليها نهائياً بالاستعداد جيداً للخلاص من هذه الآثام والأرزاء بتأسيس عقائدكم على ضوء الحقائق الثابتة والتجارب الكافية وبتقوية إيمانكم الصحيح بنبل رسالتكم وقداسة غايتكم وشرف جهادكم وسامى أخلاقكم ونعيم آخرتكم ...

اشحذوا إرادتكم وانزعوا الجزع والقلق من قلوبكم ... وغذوا حقدكم الدفين وكراهيتكم الشديدة واحتقاركم المتناهى للعدو وأعوانه الظالمين أعداء الله والشعب والوطن .

أما أنتم يا معشر الخونة المضللين الجبناء فتمادوا فى غيكم وطغيانكم وخونوا بنى أوطانكم بتعاونكم مع عدونا وعدوكم الذى عرف كيف يفتنكم ويخدعكم ويفتح أبواب الجحيم لكم ، افتنوا أنتم ونساؤكم وأبنائكم وبناتكم بنعيم هذا الإفك والضلال والإثم والعار وتربصوا حتى يقضى الله بأمره فإن الإنسانية لا ترحمكم والشعب المصرى لن يصفح عنكم والله تعالى المطلع على أعمالكم ونواياكم لن يهملكم وإن أمهلكم .

قال البطل أحمد عبد العزيز عن المبادئ :

« رجل المبادئ قد يهزم كسائر البشر ، ولكنه لا يخدع ولا يقبل العار فهو يفشل فى معركة شريفة .

أما الرجل المادى التجارى فهزيمته ونصره لا شرف فيهما ... » .

ويقول أحمد عبد العزيز :

« الروح وتهذيب الروح دائماً موضع الإهمال لأن الاتجاه العام دائماً إلى الماديات لأنها ظاهرة فى حين أن الروح تكون خافية وحقيقتها لا تعرف تماماً ولا تختبر حقيقتها إلا فى الشدة » .

وإننى أورد هنا بعض الكلمات التى استطعت جمعها من أوراق البطل الشهيد والتى تدلنا بوضوح على آرائه ومعتقداته .

* من فقد الإيمان فى شعبه كان عدواً له .

* الوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت .

* لا يمكن لإنسان أن ينهض من رقاده إلا بقوة تقيمه على قدميه... وكذلك الجيش لا ينهض إلا بقوة رافعة .

* الدولة التى لا رسالة لها تكون ذيلا فى الحياة وليست أصيلة ... ورسالة الدولة هى خير الإنسانية ولابد من القوة حتى تفرض هذه الرسالة ، وخير الإنسانية هى ما شرعه الله ....

ولن يكون للأمة رسالة لخير الإنسانية إلا إذا قامت هذه الرسالة على أسس روحية سامية من عدل وإخاء ورحمة وعطف وعفاف وشرف وعزة وكرامة .

ولن تؤدى أمة هذه الرسالة لخير الإنسانية إلا إذا اتصف بها واعتنقها اعتناقاً عملياً وآمنت بها إيمان يقين لا ريب فيه .

* إننى أحس بالواجب الوطنى يفرض على أن أتطوع فوراً لخدمة فلسطين فعلا يدفعنى إلى ذلك رغبتى الأكيدة فى مشاركة العرب فى الجهاد .

* إن الخطر الصهيونى يهدد الشرق الأوسط ، وإذا استفحل أمره وقويت شكيمته فإنه سيهدد مصر وسيكون من الصعب القضاء عليه .

* على كل حكومة تريد النهوض بالجيش أن تعلم قبل كل شىء أن الشعب يقبل التضحية فى سبيل الإصلاح متى رأى حاكمه قاسيًا على نفسه كقسوته على الشعب فى سبيل تحقيق الأغراض الوطنية والعكس بالعكس .

لكى تحصل على هذا الجيش الصالح للدفاع عن الوطن يلزمنا الإرادة أولا ثم الخطة السليمة لبناء هذا الجيش القوى ثم المال اللازم لذلك .

* إن حضور الأسلحة وبناء المصانع قد لا يستغرقان وقتاً طويلاً ... أما خلق الجنود والتمرين على القيادة السليمة فيستلزمان وقتاً طويلاً لا حد له .

* سواء آمنوا أو لم يؤمنوا بحقيقة الروح الحربية الكامنة فى الشعب ، فإن ذلك لا ولن يغيرالحقائق التاريخية ، ولن يبدل روح الشعب المصرى ولن يطفئ الشعلة المستديمة التى وهبها الله لأبناء هذه الأرض المقدسة ... مصر العظيمة الخالدة .

شعب زراعي وشعب مسالم

ولولا أن مصر تصلح للصناعة حقاً ولولا أن المصرى أهل لها جدير بها ولولا أن فى مصر موارد عظيمة للصناعات أيضًا لما اهتم أى غاصب بنشر هذه الأكذوبة فى كل مكان حتى فى دور العلم والعرفان .

ومن العجيب أن هناك أكذوبة أخرى ترافق دائمًا هذه الأكذوبة ولا تقل خطورة عنها وهى أن الشعب المصرى وديع مسالم غريب عن الروح الحربية شأنه فى ذلك كشأن جميع سكان السهول والوديان » .

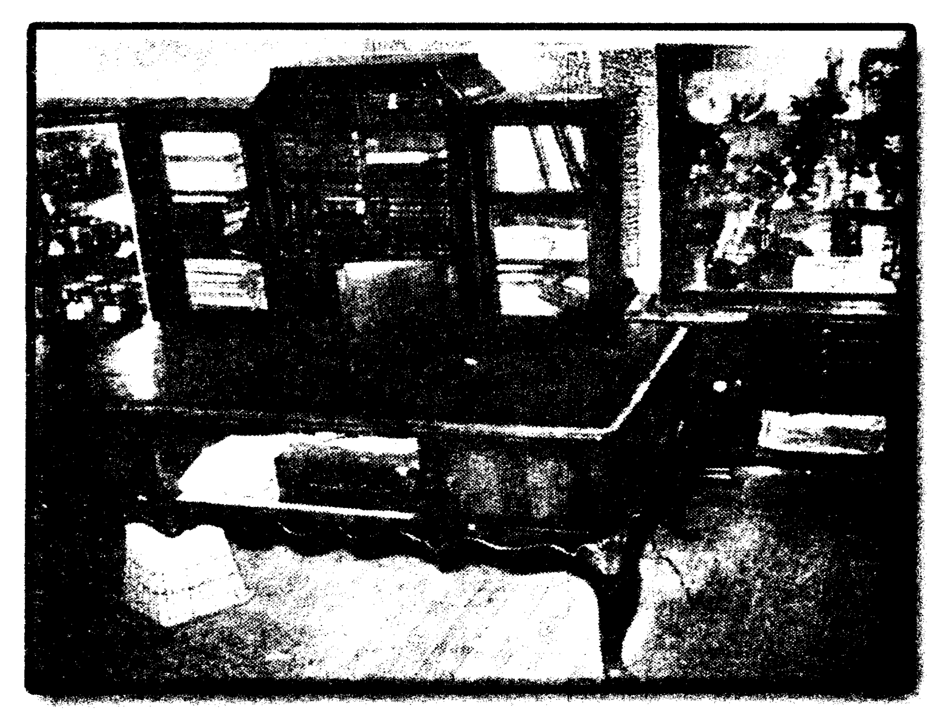
* يجب أن نفكر دائمًا فى عقول القواد وحياتهم وأخلاقهم وطبيعة أفكارهم وندرسها بعمق واعتناء فهذا أحسن ما يرشدنا إلى شكل قيادتهم وحقيقة أفكارهم وأعمالهم ومآربهم فى السلم والحرب .

* إن ميزان الشهادات فى أثرها وليس فى ذاتها .

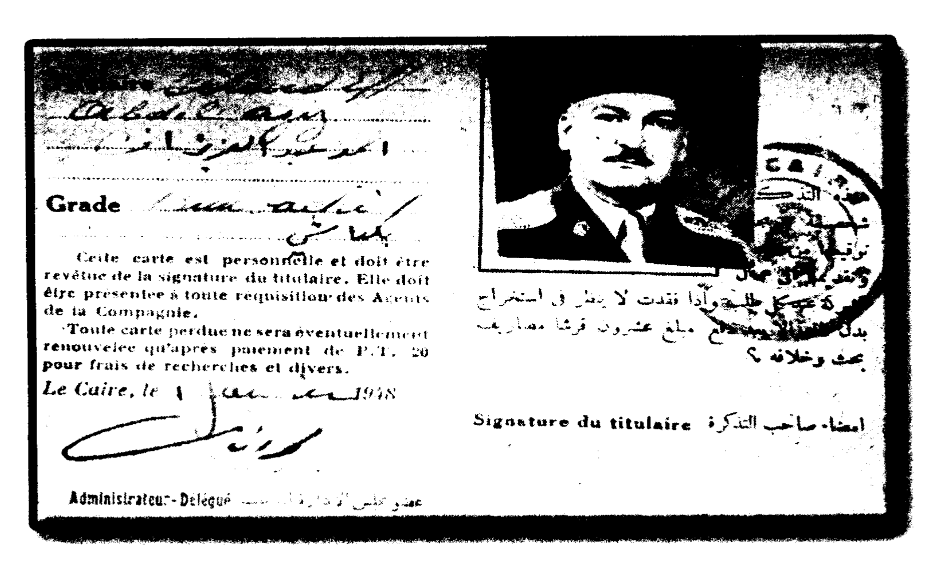
* إن أغلبية الناس محافظون عقولهم ميالة إلى الراحة يحبون القديم الذى يعرفونه ويكرهون الجديد الذى يجهلونه ولذلك لم يحصل ولن يحصل أى تطور فى أية دولة إلا بعد نضال قاس ينتصر فيه أصحاب العقل الناهض على أنصار العقل الجامد والنظام القائم .

* إن جميع المفاجآت التاريخية العظيمة هى من عمل الإنسان وليست من عمل الملائكة أو الشياطين .

* أجدادنا فاجأوا العالم مراراً فى الحروب والفنون والعلوم وكان ذلك عندما كان شعارهم « العزيمة تخلق الوسيلة » .



حجرة مكتب البطل كما تركها



Grade

Cette carte est personnelle et doit être revêtue de la signature du titulaire. Elle doit être présentée à toute réquisition des Agents de la Compagnie.

Toute carte perdue ne sera éventuellement renouvelée qu'après paiement de P.T. 20 pour frais de recherches et divers.

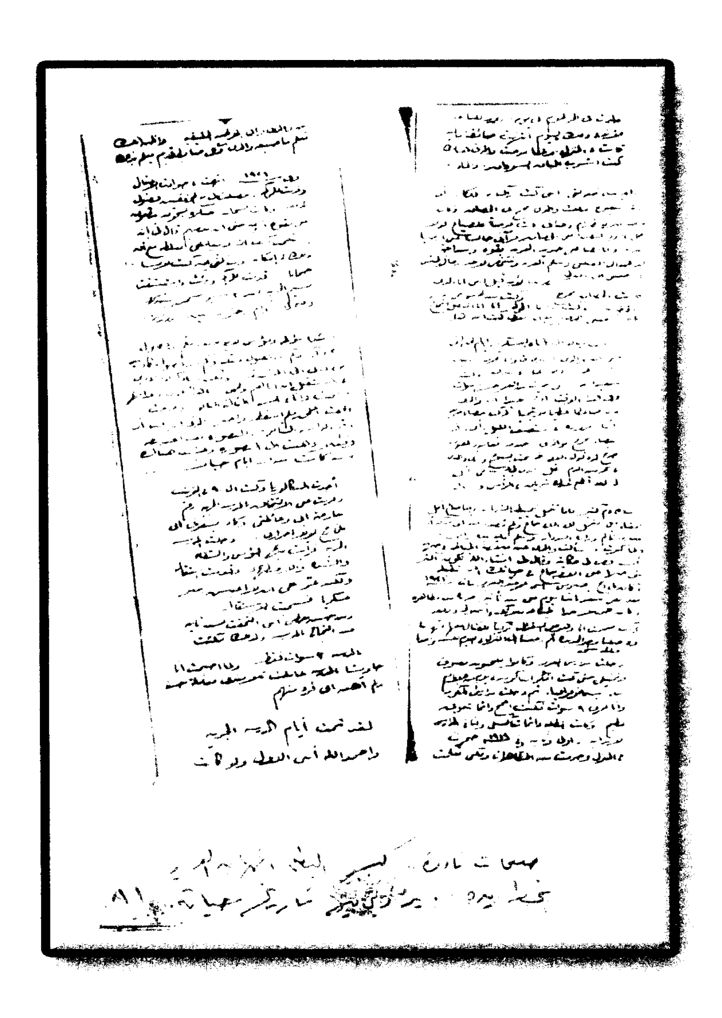
Le Caire, le 1948

Administrateur-Délégué

Signature du titulaire امضاء صاحب التذكرة

بطاقة البطل الشخصية

خطوات وطنية كتبها أحمد عبد العزيز



لقد تمت أيام الرحلة الجميلة

أحمد عبد العزيز
في معركة فلسطين
المرحلة الأولى
قبل دخول الجيش المصري

فى إبريل ١٩٤٨ اقتحم الفدائيون المصريون أرض فلسطين بقيادة البطل أحمد عبد العزيز ليسجلوا أروع صفحات البطولة والتضحية والفداء ولتدور بينهم وبين عصابات إسرائيل معارك حامية سطروا فيها صحائف خالدة فى سجل البطولة والشرف .

وقد كان لدخول الفدائيين المصريين أرض فلسطين قصة ...

عندما تفاقمت الأحوال فى فلسطين العربية والاستعمار يحمى عصابات الصهيونية فى مؤامراتها لسرقة الأرض العربية وتشريد أهلها العرب كانت البلاد العربية يغلى مرجل الشباب فيها تعطشاً لمعركة تصفع الاستعمار وصهيونيته وتعيد الحقائق ثابتة واضحة أمام العالم كله بعد محاولات الاستعمار الصهيونية طمسها لارتكاب أبشع الجرائم وأقذرها .

وكان الشباب فى مصر يكاد أن يتمزق أسى ويحترق غيظاً ودفعت النخوة العربية الصادقة عدداً من ضباطنا لإبداء رغبتهم فى التطوع للسفر إلى فلسطين .

وتقدم هؤلاء الضباط المرة تلو المرة للتطوع للجهاد فى الأرض التى تغتصبها الصهيونية من أصحابها العرب ، وكانت هناك فى القاهرة تيارات

عديدة أكثرها بعيد عن الواقع العربى تكفيه مصالح مختلفة وتجذبه رغبات مستوردة .

واضطر المسئولون فى إدارة الجيش إلى إعلان عزمهم على « النظر فى إيفاد بعض الضباط على رأس قوة من المتطوعين المصريين للقيام بعمليات فدائية جنوب فلسطين » .

ومنذ هذه اللحظات ظهر فى الأفق اسم البطل أحمد عبد العزيز الذى أسندت إليه قيادة المتطوعين ، إلا أن علاقة البطل بالقضية الفلسطينية كانت بلا شك علاقة قديمة وطيدة تؤجج نيرانها دائمًا تلك الروح العربية الأصيلة التى كانت تلف أحمد عبد العزيز وتسيطر على تصرفاته كلها ...

ومنذ أعوام سابقة عديدة على عام ١٩٤٨ وأحمد عبد العزيز يسجل دائماً وطنيته وعروبته ويحس إحساس العربى الصادق فى كل عمل من أعماله وكان يعد نفسه للحظات خاصة ... وكأنه يصرعلى تسجيل بطولة عربية فذة كتلك البطولات التى طالما وقف يدرسها لطلبته فى الكلية العسكرية وكان أحمد عبد العزيز يتابع فى شغف ولهفة أخبار فلسطين وتلك الجرائم البشعة التى كانت عصابات اليهود ترتكبها بين ربوع الوطن العربى ...

وتذكر عائلته كيف كان يعود أحمد عبد العزيز إلى بيته فى الليالى التى تصل فيها أخبار عصابات صهيون واعتداءاتها على النساء والأطفال فى القرى العربية الآمنة لبث الرعب فى النفوس ودفع العرب إلى ترك بيوتهم وأرضهم هربًا من التنكيل والمؤامرات والقتل والتشريد ... وتسير عصابات الصهيونية فى خطتها الإرهابية تحميها قوات الإنجليز وعملاء الاستعمار .

كان أحمد عبد العزيز يغلى بالثورة والغضب ...

كان يقضى ليلته كلها يقظاً يحترق شوقًا للانتقام . وعندما وافقت رئاسة الجيش على قبول متطوعين .... كان أحمد عبد العزيز أول المتطوعين.

كتب فى ٢٠ إبريل سنة ١٩٤٨ طلباً لإحالته إلى الاستيداع قال فيه :

« أنا البكباشى أ . ح أحمد عبد العزيز من سلاح الفرسان ، ألتمس إحالتى على الاستيداع لمدة ستة أشهر » .

وكان قبل هذا الطلب قد تقدم بعدة طلبات أخرى ... وكان لذلك قصة ... قصة صراع عجيب ليحقق البطل رغبته فى التطوع ... طلبات منه .... وعقبات منهم ...

وهنا يجب أن نذكر قصة هذا الصراع الذى قام به أحمد عبد العزيز من أجل قبول تطوعه للعمل فى أرض فلسطين العربية المغتصبة مع نصوص الطلبات والعقبات .

لقد وجدت فى أوراق البطل الشهيد صفحات ناصعة للوطنية والبذل والفداء وإيمان عميق بقوميته العربية تجلت فى هذه الرسائل التاريخية التى كتبها أحمد عبد العزيز بخط يده يطلب فيها التطوع فى صفوف المجاهدين .

وإننى أورد هنا نصوص هذه الرسائل التاريخية الهامة ....

أول رسالة تقدم بها البطل الشهيد للتطوع كانت فى ٦/١/ ١٩٤٨ وكان قائداً للآلاى الأول خيالة بسلاح الفرسان ، يطلب فيها التطوع ويقول :

« حضرة صاحب المعالى الفريق محمد حيدر باشا

وزير الدفاع الوطنى

أتشرف برفع التماسى هذا إلى معاليكم للتكرم بالنظر واتخاذ ما ترونه ...

يشعر الشرق قاطبا والمصريون عامة وضباط الجيش خاصة بالعطف على قضية فلسطين وعلى كفاح العروبة من أجلها .

وأن ضباط الجيش المصرى ليؤمنون بالمكانة السامية التى تحظى بها مصر بين سائر الأمم العربية وأنهم لعلى استعداد لتدعيم هذه المكانة والسمو بها بدمائهم وأرواحهم ...

إن الخطر الصهيونى يهدد الشرق الأوسط وإذا استفحل أمره وقويت شكيمته فإنه سيهدد مصر وسيكون من الصعب القضاء عليه .

ولذلك فإنى أحس بالواجب الوطني يفرض علي أن أتطوع فوراً لخدمة فلسطين فعلاً ، يدفعني إلى ذلك هذا الشعور الذي ذكرته ثم رغبتي الأكيدة في مشاركة العرب في الجهاد ثم إيماني بمقدرتي على تقديم المساعدة التي تليق بضابط مصري أركان حرب.

وإنى واثق كل الثقة بأن تطوعى - إن تحقق - سوف يرضى « جلالة قائدنا المعظم » ، وسوف تستفيد منه مصر والجيش المصرى والعروبة ذلك لأنى على كامل الاستعداد والتصميم لتقديم كل تضحية ومجهود فى سبيل هذا العمل الجليل .

وإن فلسطين لفى حاجة إلى هذه الرغبة والمجهود وخاصة فى هذا الوقت العصيب الذى تبدأ فيه الاستعدادات الهامة والتنظيمات الأساسية التى يتوقف عليها أغلب النجاح فى المستقبل .

وإننى لعلى يقين بأنى لن أكون مفيداً لمصر وللجيش المصرى فى الوقت الحاضر بقدر فائدتى لهما وأنا متطوع بفلسطين أعمل وأكافح من أجل مصر الخالدة والعروبة المقدسة .

وأدعو إلى الله أن يوفق معالى وزير الدفاع الوطنى إلى مساعدتى فى هذا التطوع وإزالة أى مانع فى سبيل تحقيقه ... »

وأرفق أحمد عبد العزيز بطلبه هذا رسالة إلى قائد سلاح الفرسان يقول فيها :

« أتشرف بتقديم طلبى المرفق طيه للتطوع إلى فلسطين لرفعه بالصورة القانونية إلى حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى ـ راجيًا مساعدتى بالتوصية لأداء هذا العمل الذى يتفق مع ميولى واستعدادى ..

وإنى مستعد للرد على أى رأى يقف فى سبيل تطوعى أو لا يبرره » .

وبعد ١٩ يوماً ركن فيها المسؤلون طلب أحمد عبد العزيز أخبروه بأنه أخطأ فى تقديم طلبه ... وفى نفس اليوم كتب أحمد عبد العزيز رسالته المؤرخة ١٩/٢/ ١٩٤٨ :

« **حضرة صاحب العزة قائد سلاح الفرسان الملكى .**

أتشرف بإفادة عزتكم بأننى استلمت اليوم ١٩ الجارى خطابى

المرسل إلى عزتكم بنفس الرقم وبتاريخ ١٤ الجارى والمعاد إلى بكتاب عزتكم رقم سرى ١٩٤٨/١/١ بخصوص تطوعى لفلسطين .

وحيث إننى مازلت مصممًا على رفع تطوعى إلى معالى وزير الدفاع الوطنى لشدة إيمانى بضرورته لى بصفتى الشخصية ، فإنى ألتمس من عزتكم رفع طلبى هذا بالطريقة القانونية إلى حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى وخاصة وإنى أعتقد أن معاليه سيقدر موقفى الشخصى وأهميته بالذات فى هذه المأمورية التى سوف تكون مفيدة ومشرفة للجيش وللوطن لأنها خدمة شخصية وتضحية وطنية فى سبيل الله والوطن » .

وفى ١٩٤٨/١/٢٧ تلقى أحمد عبد العزيز من قائد سلاح الفرسان خطاباً يقول فيه :

« حضرة المحترم البكباشى (أ . ح) أحمد عبد العزيز أفندى - قائد آلاى الخيالة .

معاد لحضرتكم بالتالى الطلب المقدم بتاريخ ١٩٤٨/١/٦ بخصوص الموضوع عاليه رجاء تغييره ليكون باسم صاحب العزة قائد السلاح وليس باسم حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى - كتعليمات إدارة قسم القاهرة المبلغة إلينا تليفونياً » .

(بالأمر)

وتكشفت أمام أحمد عبد العزيز ألاعيب التعطيل وبوادر الرفض ومحاولات تمييع طلبه ...

وتناول أحمد عبد العزيز قلمه ليرد على هذه الرسالة ويقول :

• حضرة صاحب العزة قائد سلاح الفرسان الملكى .

أتشرف بإفادة عزتكم بأننى اطلعت على خطاب رئاسة السلاح رقم ١٩٤٨/١/١ بتاريخ ١٩٤٨/١/٢٧ الذى تسلم إلى اليوم ... وفيه أنه بناء على تعليمات إدارة قسم القاهرة المبلغة تليفونياً ، يصير تغيير طلب تطوعى بحيث يكون معنوناً باسم حضرة العزة قائد السلاح وليس باسم حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى .

وحيث إننى قد قدمت طلبى مرفقًا بخطاب إلى عزتكم راجيًا رفع الطلب بالطريقة القانونية إلى حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى .

وحيث إننى أرغب فى عرض هذا الطلب على الجهة التى فى يدها الأمر والسلطة فقد وضعته فى مكاتبة خاصة أرفقتها بالالتماس المرفوع إلى حضرة صاحب العزة قائد سلاحى . ويمكن اطلاع حضرة صاحب السعادة قائد قسم القاهرة عليها أو إرفاقها بالطلب.

وإننى لم أعنون المذكرة أو الطلب الذى أرجو رفعه إلى معالى الوزير باسم معاليه إلا لمعرفتى أن لى الحق برفع المذكرة أو الطلب إلى معاليه بالطريقة القانونية.

وقد التمست من رئاستى رفعه إلى معاليه بالطريقة القانونية ، ولذلك لا أجد ما يبرر تقييد عنونة المذكرة المرفوعة إلى معالى الوزير.

وختامًا أرجو مساعدتى فى نهى هذا الموضوع الذى طال عليه الأمد، حتى أعلم النتيجة بالرفض أو القبول فينتهى الأمر .

بكباشى أ . ح

(أحمد عبد العزيز)

قائد الآلاى الأول خيالة

وانتظر أحمد عبد العزيز مرة أخرى ...

وفاض به الأمـر ... فكتب رسالة قاسيـة لقائد سلاح الفرسان قال فيها:

أتشرف بتقديم التماسى هذا لرفعه إلى الجهة المختصة للبت فيه .. قدمت طلبًا للتطوع إلى فلسطين وقد دارت عدة مكاتبات بخصوص تطوعى هذا الذى تمسكت به ... ولكنى انتظرت للآن مدة قاربت على الثلاثة شهور دون أن أعلم نتيجة لهذا الطلب .

وحيث إننى قد قدمت هذا الطلب بغية خير الجيش والوطن ومع ما أجده فى نفسى من الاستعداد والحماسة لهذه الخدمة الجليلة ...

لذلك إذا كـان هناك مـانـع لتحـقـيق طلبى ، فـأرجـوا عـرضـى مع موضوعى على الرئاسة العليا للنظر حتى لا يضيع الوقت وتذهب الفرصة أو تخمد الجذوة التى قد تنطفئ نتيجة الركود والإهمال .

وتفضلوا ...

وفى النهـاية .. وأمـام التـيـار الوطنى العـربـى الجـارف اضطرت الحكومة إلى قبول التطوع .

وكـان أحـمـد عبـد العزيز فى هذه اللحظات قد قرر أن يموت بطلاً يعطى المثل الأعلى للتاريخ ويكون القوة الدافعة للمعركة ...

وهذا ما كان قد قرره فعلا قبيل استشهاده عندما صمم القيام بقواته كلها بهجوم فذ يحقق حياة لبطولة تكون تراثاً خالداً لقضية فلسطين العربية ..

وعندما أعلنت قيادة أحمد عبد العزيز لقوات المتطوعين كان لهذا النبأ رنة فرح شديد عند الضباط المتطوعين ...

وهنا يقول السيد كمال الدين حسين (الفدائى الذى قاد مدفعية أحمد عبد العزيز فى معارك فلسطين الخالدة) .

« وحتى تلك اللحظة لم نكن نعرف من الذى سيقودنا إلى المعركة ، وكل ما كنت أتمناه فى هذا الشأن أن يتولى قيادتنا ضابط متطوع مثلنا ، يتفق معنا فى شرف الغاية ونبل الهدف ..

وذات يوم جاءنا من يحمل إلينا هذا النبأ ...

لقد أسندت قيادة المتطوعين إلى البكباشى أحمد عبد العزيز ...

وكم كانت فرحتنا شديده ، بهذا النبأ فقد كنا جميعًا نعرف من هو أحمد عبد العزيز ..

إنه أستاذنا فى التاريخ العسكرى بالكلية الحربية ، وطالما كان يلقن طلبته كراهية الاستعمار والمستعمرين ، وكان فى نظرته جد ، وفى ملامحه عزم ، وفى مظهره تحفز ...

ولم تكن هذه النظرة من الجد والعزم ، أو هذا المظهر من مظاهر التحفز أو تلك العبارات الحاسمة التى تندفع من فمه كطلقات البنادق لم تكن جميعها لتنجح فى إخفاء دماثة خلقه ورقة طبعه وطيبة قلبه ... وكانت تترجم هذا كله ابتسامه حلوة ترتسم على شفتيه ، وفيها إباء ، وفيها إيمان ...

وبدأ أحمد عبد العزيز عمله فوراً ...

كان هناك اجتماع طلبه رئيس هيئة أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت (عثمان المهدى) ... وتحدد موعد الاجتماع يوم الثلاثاء ٢٠ إبريل ١٩٤٨ .

ودار الحديث فى هذا الاجتماع حول وضع الضباط المتطوعين فى الجيش بعد طلب إحالتهم إلى الاستيداع ومدى صلتهم بالجامعة العربية ... وحرر الضباط طلباتهم وخرجوا من هذا الاجتماع ليفاجأوا بقائدهم أحمد عبد العزيز ينطلق إلى معسكر الها كستب ليجتمع بالمتطوعين الذين قدموا أنفسهم من مختلف الطوائف والهيئات ووهبوا أرواحهم ودمائهم للوطن العربى المعتدى عليه ... وكان أحمد عبد العزيز تواقًا للعمل السريع رغم ما كان يقدره من خيانات تحيط بالعالم العربى .... وكان يردد دائماً كلما ثارت أمامه عقبة خلقتها مؤامرة وخيانة ...

ما دام الله معنا فستكون أرواحنا وحماستنا أقوى من أن يجرفها اليأس ...

ووقف أحمد عبد العزيز وسط الفدائيين ... وسط تلاميذه الذين أحبوه من اللحظة وإلى الأبد ...

وقف ليلقى بينهم أول كلمة له ... كانت عباراته شواظاً تبعث اللهب والوطنية ... ويقول تلاميذ البطل أحمد عبد العزيز ...

كانت كلماته فى هذه المرة تجعلنا نحس أننا سنحقق أعظم الغايات والأهداف التى يتمناها المرء على دهره ، عندما ينالنا شرف الاستشهاد فى المعركة ...

وكان من قوله في هذه المرة:

« إنكم الآن تسطرون أروع صفحات التاريخ أيها الأبطال ...

وهذه الصفحات يجب أن تكون بيضاء ناصعة مشرقة بنور

الإيمـان ... وكل ما أطلبه منكم أن تطيعوا قائدكم وتثقوا فيه بعد ثقتكم فى الله ورسـوله ... فـإن كـل شـىء يتـركـز فى تلك الطـاعـة وهـذه الثـقـة وينبـنى عليهما ... وأن جزاء المجاهدين فى سبيل الله إحدى الحسنيين ...

ومن ذلك اليـوم أيضًا وزع أحـمد عبـد العزيز العمل بين ضبـاطه ، فحدد مهمة كل منهم واختار كمال الدين حسين ليكون أركان حرب القوة ...

وفى مـذكـرات البطل أحـمـد عـبـد العـزيز أورد وصـفًا للقـائه الأول بالمتطوعين الفدائيين قال فيه :

التـقـيت بفـرقـتنا الأولى لأول مـرة ... ومـررت فى صـفـوف هؤلاء الأبطال وقـد اصطفوا فى طابور الاستـعراض ، وأخـذت أتفرس فى وجـوهـهم وأحاول أن أستـشف خـلال التقاطيع الصـارمـة روح الإيمان المتـدفق ثم بدأت أتحدث إليهم ...

حدثتهم عن مهمتنا ولماذا نحارب ... وشرحت لهم هدفنا من القتال، وقبل أن أتركهم طلبت منهم أن يكونوا على استعداد تام ... فنحن قد نتحـرك فى أى وقت .

قلت لـهم : إننى من المؤمنين بالمفـاجـأة وأنا أحلم بمفـاجـأة من نوع غير سار للعدو ، وأعـتـقد أن نجاحنا يتوقف على قوة هذه المفاجأة ،فـهى فى رأيى الوسيلة الأولى لنجاح كل غاية أو مبدأ ...

وانتظر أحمد عبد العزيز السلاح ليتحرك مع قواته ...

وبدأت تتكشف الحقائق الرهيبة ...

الحقيقة الأولى ... أن المسؤلين فى القاهرة كانوا غير جادين فى الأمر .. وأن مسألة قبول متطوعين وفدائيين كانت للاستهلاك الداخلى المحلى ... وأنهم كانوا لا يريدون أن يزجوا بأنفسهم فى ميدان قد يصيبهم منه رشاش يؤثر على أناقتهم أو تمس مقاعدهم الوثيرة الناعمة ...

الحقيقة الثانية ... أنه حتى لو دخل المتطوعون إلى فلسطين فلن تكون فى أيديهم سوى أسلحة صغيرة قديمة فاسدة .

الحقيقة الثالثة .. أن حصيلة هذه القوات ستكون فقط وعود سخية كثيرة ، وأنها يجب أن تعتمد على أنفسها فقط ...

وحتى الاجتماع الذى عقده اللواء محمد عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش مع أحمد عبد العزيز والضباط المتطوعين فى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الثلاثاء ١٩٤٨/٤/٢٠ فقد رفض أن يتعهد كتابة بما تعهد به مشافهة بالنسبة لمعاملة أسر المتطوعين فى حالة استشهادهم ، وقد وجدت هذا مكتوباً بخط يد البطل الشهيد أحمد عبد العزيز فى محضر يضم تفاصيل ما دار فى هذا الاجتماع ويقول :

أورى الضباط أن الظروف فى إدارة الجيش والدولة تتغير ويتبدل الأشخاص ... وربما يأتى أشخاص تختلف وجهات نظرهم عن الموجودين الآن مما قد يوثر على هذه التعهدات ، لذلك التمس المتطوعين من سعادته إعطائهم هذه المساعدات كتابة للاستناد عليها إذا اقتضى الأمر فى المستقبل ، فأورى سعادته بأنه لا داعى لكتابة تعهدات ثم دار نقاش انتهى إلى قوله بأن محضر الاجتماع سيكون بمثابة التعهد المطلوب ...

الأسلحة والمعدات الفاسدة

وإلى جانب هذا كله وجدت فى أوراق الشهيد رسالة خطيرة هامة موجهة منه إلى عبد الرحمن عزام وكان أميناً للجامعة العربية عن المعدات والمهمات التى تقدم للمتطوعين العرب من الأموال التى تبرع بها أبناء الأمة العربية من كل جزء من الوطن العربى الثائر ، وهى إلى جانب قصة الأسلحة الفاسدة المعروفة تشكل الإطار الذى كان على الفدائيين الأبطال أن يعملوا فيه، مضحين بأرواحهم ودمائهم معتمدين على إيمانهم وشجاعتهم فقط ...

تقول هذه الرسالة الهامة المؤرخة فى ٣٠ إبريل ١٩٤٨ :

حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن عزام باشا

الأمين العام للجامعة العربية

أتشرف بإفادة سعادتكم بما يأتى :

تقرر سفرى يوم السبت ٢٤ إبريل لاستكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين بعربتين جيب ـ ولكن تأخر شراء العربتين ، وعند استلامهما لم يكن بهما إستبن ، ولما ألححت فى ضرورة سفرى يوم الأحد والمحال مغلقة فى ذلك اليوم اضطر حضرة البكباشى حسين أفندى أحمد مصطفى أن يعطينى بدلا من الإستبن عجلتين من عربته الجيب التى اشتراها لمعسكره مع هاتين العربتين .

ولكن كانت عدة العربتين ناقصة ولا يوجد بهما منفاخ ، أى إذا نفد

البنزين تقف العربة ،كما أن كريك رفع العربة من نوع ردىء جداً ، هذا علاوة على أن عدادات السرعة والمسافة لا تشتغل فى أحد العربتين ـ وهذا أمر خطير جداً فى السفريات عموماً وفى العمل المطلوب منا خصوصاً .

وحيث إننى اضطررت إلى تأخير سفرى يومًا بسبب تأخر شراء العربتين وإحضارهما ، فقد جازفت بالسفر فى اليوم التالى لكى لا أعطل استكشافى أكثر من ذلك فقمت على هذه الحالة بالاستكشاف وقطع مسافات طويلة فى مناطق عسكرية خطيرة بفلسطين .

ياصاحب السعادة:

لقد لمست بنفسى رغبتكم الأكيدة فى الحصول على نتائج سريعة من القوة قيادتى ، وإنى أشارك سعادتكم فى هذه الرغبة ، ولكنى للأسف الشديد وجدت إجراءات لجنة الشراء تتنافى مع السرعة المطلوبة ، علاوة على إهمالها فى الشراء وعدم تقديرها لخطورة عملها وأهميته الحيوية .... فلا أتصور أن تشترى اللجنة عربات الجيب هذه بثمنها الفادح جداً (٦٥٠ جنية للعربة) كما علمت ، وتكون ناقصة كما ذكرت ، مع علم اللجنة بأن هذه السيارات اشتريت لتستخدم فى ميدان القتال ، وأن أى نقص فيها يعرض سلامة راكبيها للخطر ، وعملهم للفشل .

ولم يقتصر إهمال اللجنة على شراء هذه العربات ، بل إنها لا تهتم بشراء أهم ما يلزم للقوة بالرغم من إلحاحى فى طلبها ـ كعربة الإسعاف مثلا التى تعتبر من أهم لوازم القوة ، وغيارات الميدان وغير ذلك .

لذلك أقترح للحصول على كافة لوازمنا بالسرعة المطلوبة أن نشتريها

من سلاح مهمات الجيش بالثمن الذى اشتريت به ، وعند الجيش من الوقت ما يسمح له بشراء غيرها وخاصة وهى كميات بسيطة لا تؤثر على موقف الجيش ... هذا وإنى ألتمس من سعادتكم صدور أمركم بتغيير الشخص المسئول عن شراء عربات الجيب .. للملاحظات التى ذكرتها حتى يشعر الباقون بشىء من المسؤلية فى عملهم الخطير .

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول أسمى الاحترام ».

بكباشى (أ . ح)

أحمد عبد العزيز

القاهرة فى ٣٠ إبريل ١٩٤٨ .

وبدأت مراوغة المسئولين للمتطوعين والفدائيين ، بينما اشتعلت روح القومية العربية فى صفوف أبناء الشعب وقواته المسلحة ، وتقدم العديد من مختلف الطوائف ومن الجنود والضباط بطلب التطوع مع قوات أحمد عبد العزيز ... وقبلت طلباتهم ومع ذلك تركت رئاسة الجيش هذه القوات تعانى مرارة الانتظار ... وضاق أحمد عبد العزيز بهذا الجمود الذى حكموا به على قواته ...وقام بالسفر إلى فلسطين لاستكشاف أرض المعركة التى ستدور فيها عملياته بعد أن حصل من الرؤساء على تأكيد بإعداد الأسلحة قبل عودته من فلسطين .

وعاد أحمد عبد العزيز ... ولكن شيئًا من الأسلحة لم يسلم لقواته ، فذهب غاضباً حانقاً ثائراً لمقابلة المسئول فى إدارة الجيش . وفى اليوم التالى

تلقى أحمد عبد العزيز وأبطاله كمية من الأسلحة والعتاد والمدافع الخفيفة فى حالة يرثى لها .

وذهب كمال الدين حسين ليصارح القائد بما رآه بعد أن تولى فحص هذه الأسلحة ... وهنا نظر إليه أحمد عبد العزيز فى مرارة وأسى ثم قال له :

نحن مضطرون لقبول الأمر الواقع خشية أن يتردد المسئولون مرة أخرى وتقوم العقبات فى سبيل سفرنا ... وغداً نتحرك إلى العريش .

وما دام الله معنا فستكون أرواحنا وحماستنا أقوى من أن يجرفها اليأس ...

أول منشور للمتطوعين

وفى هذا اليوم وزع أحمد عبد العزيز على المتطوعين أول منشوراته وقال فيه :

« من القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين إلى المتطوعين .

أيها المتطوعون :

قبل أن نتحرك إلى جبهة القتال يجب أن نؤمن تماماً بالغاية النبيلة التى نحارب من أجلها .

إننا سنقاتل اليهود بفلسطين لأنهم قوم جحدوا نعمة الله عليهم وإحسان المسلمين إليهم ، الذين تركوهم بينهم ينعمون فى بلادهم ويثرون ويتكاثرون حتى إذا ما أنسوا فى أنفسهم بعض القوة غدروا بالمسلمين فى اغتصاب أقدس ما لديهم وهو وطنهم العربى وتراثهم الإسلامى .

لقد بدأ اليهود غدرهم بشراء قطع متناثرة من الأراضى الفلسطينية بدعوى الحياة فيها فى سلام ووئام . ولكنهم أخذوا يشيدون الحصون عليها ويحشدون قواتهم فيها حتى إذا تكاثر عددهم واشتد ساعدهم انقلبوا على سكان البلاد ، يريدون محوهم وتدمير فلسطين وإنشاء دولة يهودية على أنقاضها تحتل مركزاً متوسطاً بين بلاد الجامعة العربية ، وتهدم الوحدة الجغرافية والتاريخية للبلاد العربية.

فنحن نحارب دفاعًا عن تراث العروبة ، ودرءاً لخطر جسيم يهدد كيان الدول العربية ومستقبلها ...نحن نحارب فى سبيل الله لأننا لا نبغى

استعماراً ، بل نريد أن نمنع أشنع خيانة وأفظع نوع من أنواع الظلم الذى لم يجد التاريخ مثيلا له.

نحن نحارب عدواً غادراً خائناً خبيثاً يقتل ويمثل بالأبرياء الذين آووه وتسامحوا معه كثيراً .

نحن نحارب لحماية بلادنا وأولادنا وأحفادنا وأعراضنا وآمالنا فى المستقبل من خطر اليهود لا يضاهيه أى خطر فى الشرق .

أيها المتطوعون :

إن حرباً هذه أهدافها هى الحرب المقدسة وهى الجهاد الصحيح الذى يفتح أمامنا أبواب الجنة ويضع على هاماتنا أكاليل المجد والشرف . فلنقاتل العدو بعزيمة المجاهدين ، ولنعلم أن أبناء وطننا ينتظرون سماع أخبار انتصاراتنا وأعمالنا المجيدة التى تحيى آمالهم فى المستقبل .

ولا تنسوا أن هذه الأراضى التى سنحارب عليها قد حارب أجدادنا عليها فى عصور مختلفة ، وسجلوا لنا مجداً عظيماً خالداً ، فلنزد هذا المجد الأبدى ، ولنخش غضب الله وحكم التاريخ إذا نحن قصرنا فى أمانة هذا الجهاد العظيم ...

الحدود المصرية فى أول مايو ١٩٤٨

القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين

وفى اليوم التالى سافر الفوج الأول للعريش ... وكان بين المودعين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ...

وفى العريش ... عقد أحمد عبد العزيز اجتماعاً مع ضباطه وجنوده

الذين سجلوا على أرض فلسطين العربية أروع معارك البطولة والتضحية والفداء .

وكان أحمد عبد العزيز يعبئ الجهود والقوى كلها للعمل السريع ... وفى هذا الاجتماع بحث أحمد عبد العزيز الموقف ... ثم وجه سؤاله إلى كمال الدين حسين قائد مدفعية الفدائيين :

« هل من الممكن يا أبو كمال أن تدفع المدفعية بأسرع ما يمكن من القوة لخان يونس ؟ » ..

وجلس أبو كمال يستعرض الظروف من حوله ...

ونظراً لأهمية أول خطوات البطل أحمد عبد العزيز ورجاله فى أول معركة لهم ، فالتالى هنا نص هذه اللحظات التاريخية كما كتبها كمال الدين حسين فى مذكراته « أسرار حرب فلسطين » حيث تقول :

« وجلست أستعرض الظروف من حولنا ....

لم يكن مرخصاً للقوات المسلحة وقتئذ بالدخول من الطريق العام لفلسطين ، أما الطريق الثانى وهو الطريق السلطانى فقد كان فى حالة غير صالحة للمرور ، وخصوصاً إذا عبرته عربات المدفعية فإن عجلاتها تتعرض للغوص فى الرمال .

إذن ما العمل ؟

ومضينا نستعرض مجموعة من الأفكار والمقترحات ... اقترح بعضهم فك المدافع ونقلها على الطريق الرئيسى تحت أحمال من المؤن أو المهمات ... وكانت فكرة طيبة ، ولكن ماذا يكون الأمر إذا قام رجال الجيش البريطانى بتفتيش أمتعتنا ؟

إنهم إذا عثروا فيها على أجزاء المدافع فلن يسمحوا لنا بحملها ، مما تسفر عنه خسارة جزء أو أجزاء من المدفعية .

ثم هناك مشكلة أهم ... فإن السيارات التى سافرنا بها من القاهرة وكان عددها نحو ٣٢ سيارة بلغت العريش فى حالة سيئة تحتاج معها إلى صيانة وإصلاح دقيقين ، وهذا يقتضينا البقاء عدة أيام حتى نعدها للسير ...

وعدنا نتساءل : « ما العمل ؟ » .

واستقر الرأى على أن نقوم أولاً باستكشاف المنطقة التى سنعبرها من جميع المسالك ثم نقرر بعد ذلك الوسيلة التى نلجأ إليها فى دخول فلسطين .

وفى اليوم التالى نفسه قمنا إلى « خان يونس » وسلكنا الطريق الرئيسى المؤدى إليها بعد أن خلعنا علامات الرتب العسكرية حتى لا نثير الشك حولنا . وفى خان يونس التقينا بالجاويش « خالد أبو الوليد » كما يسميه المواطنون هناك ، وهو أقدم المسئولين فى قسم البوليس ، فضلاً عن أنه وطنى مخلص ، ثم دار بيننا وبينه حديث شعرنا بعده بالاطمئنان إلى وطنيته، فحدثناه بالمشكلة التى تعترض سبيلنا ، وكم كانت دهشتنا عندما عرض علينا فكرة وجدناها بعد البحث أحسن وسيلة تخرج بنا من المأزق ، قال لنا :

« لم لا تدخل قوة المدفعية وما تحمل من معدات وما يصاحبها من مشاه عن طريق الخط الحديدى ، حيث لا رقابة من الإنجليز وحيث الأرض بطبيعة الحال صلبة تحت القضبان ، فضلا عن أن أحداً لا يتوقع مرور أى شخص على قضبان خط السكك الحديدية ؟ » .

كانت فى الحق فكرة مذهلة مع ما بها من صعوبة ... فنحن إذا

أخذنا بها ومضينا عن طريق الخط الحديدى فسوف تضطر السيارات للمرور فى « قول » طويل بطئ كل عربة وراء الأخرى ، وإذا توقفت إحداها فستضطر العربات من ورائها للتوقف ، فضلا عن المشقة التى سنصادفها ونحن نحاول إدخال إطارات السيارات بين القضبان ، والضرر الذى ينتظر كاوتشوك العجلات فى تلك العملية ...

ولكن لم يكن هناك أحسن من هذا الحل ، ولذلك قررنا أن نأخذ به على أن يكون دخولنا فجأة وفى وقت لا ينتبه فيه أحد ...

وأسرعنا فى تهيئة معداتنا ...

وفى يوم انطلق الجانب الأكبر من قوة المشاة إلى خان يونس عن طريق الدرب السلطانى ، بينما مضينا نحن فى طريقنا إلى رفح فوصلناها بعد آخر ضوء ...

وحركنا العربات على شريط السكة الحديدية ، وسارت فى المقدمة جماعة من المشاة وفى الوسط المدفعية وفى المؤخرة جماعة من المشاة أيضاً .

وأمام هذه القوة كان أحمد عبد العزيز ...

كان بسيارته الجيب وقد جلس بجانبه دليلنا الجاويش خالد أبو الوليد .

وكانت ليلة لا تنسى ، بذلنا فيها جميعاً جهداً جباراً حتى استطعنا أن نصل إلى غايتنا بعد أن قطعنا المسافة من رفح إلى خان يونس فى سير حذر بطىء على الخط الحديدى .

وفى الساعة الخامسة صباحًا بلغنا خان يونس ومعنا ٨ عربات من مجموعة واحدة ، أما العربات الأخرى فقد توالى وصولها فرادى فى اليوم التالى وقد وجدنا أن الفرقة التى سبقتنا قد عسكرت فى المدرسة القائمة هناك ،

فانضممنا إليها ، وبعد أن تم توزيع العربات والأفراد حاول كل منا عبثًا أن يأخذ نصيبه من الراحة ، بينما انطلق قائدنا أحمد عبد العزيز فى عملية استكشاف .

كنا فى شغل بالاطمئنان إلى العربات والجنود ، فى حين كانت الدماء تغلى فى قلوبنا ، وقد طال بنا الشوق إلى الاشتباك مع العصابات الصهيونية .

وبعد أن وصلنا بقليل جائتنا الأنباء بأن إحدى المستعمرات المجاورة قد اتخذتها العصابات الصهيونية مركزاً من مراكزها المسلحة ، تشن منها الهجمات على العرب فى تلك المنطقة ، ورؤى أن يبدأ العمل فوراً ، فقامت جماعة مسلحة ببنادق « بويز » لضرب مجموعة الدبابات اليهودية المصفحة القائمة عند مدخل تلك المستعمرة .

وانطلقت الجماعة إلى المستعمرة ونشبت المعركة ، وبعد الظهر بقليل جاءتنا الأنباء **باستشهاد أول متطوع من الفدائيين وهو « فتحى الخولي »** ، ولعل أحداً لم يسمع باسمه حتى هذه اللحظة ، كما أصيب آخرون بجراح ، ومع هذا فقد ذعر اليهود من هول المفاجأة ، فلم يدر فى خلدهم يومئذ أن هناك جماعة منظمة مسلحة جاءت تضع حداً لعدوانهم الغاشم على الآمنين وانطلقوا هاربين من المستعمرة بسياراتهم المصفحة .

وعندما عاد القائد أحمد عبد العزيز من عملية الاستكشاف احتفل بدفن أول جندى شهيد احتفالا عسكرياً ، وظهر على أحمد التأثر الشديد وهو يرثيه بعد أن واريناه التراب ...

وأقام العرب فى خان يونس احتفالا كبيراً بهذه المناسبة ، حيا فيه

خطباؤهم الشهيد المصرى المتطوع الذى جاء يبذل دمه راضياً فى سبيل حرية الوطن العربى ، وكان إحساسهم بعملنا ظاهراً فى حفاوتهم بنا وإخلاصهم الشديد لنا ...

وحول جثمان الشهيد الأول بدأت ترتسم أمام أفراد قواتنا الترجمة الحقيقية لتطوعهم للدفاع عن فلسطين والقتال فى سبيل العروبة والأمة العربية، وأن العملية أصبحت دماء وشهداء بعد أن كانت تدريبًا وتحركات وخيالات .

وكم سمعنا عن متطوعين فى ذلك اليوم يغمطون الشهيد فتحى الخولى حظه فى الشهادة وظفره بشرف الحصول على لقب أول الشهداء ...

كان أهم ما يشغلنا فى ذلك اليوم هو الدفاع عن « خان يونس » وتفادى أية مفاجأة لنا ، وقد مررنا مع القائد أحمد عبد العزيز بجميع مداخل البلدة ، وصادفنا بعض الاستحكامات البدائية التى كانت قائمة ، وحددنا القوة اللازمة للحراسة ثم عدنا إلى المعسكر ووزعنا الجنود على مناطق المراقبة ، وعندما انتهينا من تلك العملية كانت خيوط الفجر قد ظهرت فى الأفق .

ثم بدأنا عمليات حفر الخنادق وإقامة المواقع والاستحكامات واختيار أماكن الدفاع ومراكز المراقبة ، وغير ذلك من الاستعدادات العسكرية التى جعلت من البلدة حصناً حصيناً .

ونشطت عمليات تدريب المتطوعين على القتال فى حين لم نغفل عن تنظيم مسائل الإعاشة والتموين ، وقد لقينا مساعدة طبية فى هذا من الأستاذ سامى أبو شعبان ناظر المدرسة الأميرية للذكور التى أقمنا معسكرنا فيها ... وكنا قد بعثنا العيون والأرصاد حول الأماكن الحيوية فى المنطقة

الجنوبية لفلسطين ، وحدث بعد يوم من وصولنا إلى خان يونس أن جاء من يقول لنا إن الإنجليز يتأهبون لإخلاء مركز البوليس فى « عراق سويدان » ، وأن مركز العرب يحتاج لتدعيم فى تلك المنطقة ، فأسرع القائد إلى إصدار أمر بإرسال قوة من المتطوعين مسلحة بالرشاشات والبنادق المضادة للدبابات إلى هناك ، حتى تكون على استعداد للانقضاض على المركز واحتلاله بمجرد أن يغادره الإنجليز . وأسند قيادة القوة لزميلى اليوزباشى محمد سالم عبد السلام وكان من ضباط سلاح المدفعية ...

وقبل أن تتحرك القوة أمر اليوزباشى محمد سالم عبد السلام بأن تسبقه جماعة من الأخصائيين فى بث الألغام حتى تباشر مهمتها فى المناطق القريبة من مركز البوليس الذى يراد احتلاله ، وهى التى تنشط فيها مصفحات اليهود ، كما تعد تلك الجماعة كمائن للإيقاع بالعصابات الصهيونية .

وبعد هذا انطلق الزميل الضابط بقوته للقيام بالعملية ، بينما اتفقنا نحن على مهاجمة اليهود فى المستعمرات المجاورة ، لكى لا نترك لهم فرصة المبادأة وحيث لا نفاجأ بهم ينقضون علينا فى خان يونس .

وتنكرت مع نفر من الزملاء فى ثياب العرب ، وانطلقنا للقيام بعملية استكشاف لمستعمرة دير البلح « كفار ديروم » والطرق المؤدية إليها ، واختبرنا طبيعة الأرض من حولها وعدنا إلى المعسكر وقدمنا تقريراً إلى قادة الوحدات الفرعية ، ليستكشفوا المنطقة بأنفسهم وليدرسوها بطريقة أكثر تفصيلا .

ومنطقة دير البلح تقع بين غزة وخان يونس ، وهى مستعمرة تتحكم فى المواصلات الرئيسية بين غزة وخان يونس ورفح ، وتعتبر مصدر قلق وإزعاج للأهالى العرب ، حيث يتعرض المارة عندها لعدوان العصابات الصهيونية المسلحة ، وبدأ القائد « أحمد عبد العزيز » فى رسم خطة الهجوم .

واشتركنا معه فيها ، وعلى الرغم من أن المدة المحددة لبدء العملية لم تكن كافية لكى تستعد المدفعية الاستعداد الذى يجعلها تؤدى الغرض منها ، وبالرغم من سوء وسائل النقل وعدم وجود اتصال تليفونى أو لاسلكى بين مقر الرئاسة فى خان يونس والقوات الهاجمة فى منطقة العمليات ، فقد أسرعت إلى تحديد مواقع المدافع وأصدرت أمر بالاستعداد .

وفى الساعة ٢٤ر٠٠ تحركت القوة المهاجمة من المعسكر وانطلقت إلى نقطة التجمع حيث وقفت تنتظر الأمر بالهجوم ، وكنا قد سلكنا طريقًا فرعياً أدى بنا إلى دير البلح « كفارة ديروم » دون أن ينتبه إلينا أحد .

كانت الخطة تعتمد على هجوم أساسى تقوم به فرقة أحد الضباط وهجوم آخر « تثبيتى » يتولاه بعض قوات المشاه بمعاونة المدفعية ، أى أن الفرقة كانت تنقسم إلى قسمين : القسم الأول انطلق به الضباط بعيداً عن موقعنا منتظراً اللحظة المناسبة ليهاجم العدو من الجنب ، بينما عسكرنا نحن فى بقعة تواجه المستعمرة ، لنقوم بالهجوم التثبيتى .. والهجوم « التثبيتى » يعنى أن نشتبك مع العدو فى معركة شديدة بالمدفعية والرشاشات فيحشد كل قواه لصد هجومنا والدفاع عن نفسه ويتجمع فى مكان واحد وقد صرف كل همه إلينا ، وعندئذ تنتهز فرقة الهجوم الأساسى الفرصة ، فرصة ثبات العدو فى المنطقة المواجهة لنا وتنقض عليه فجأه من الجنب فيجد العدو نفسه بين نارين ولا يلبث حتى يستسلم لنا ...

وبدأت المعركة واشتعلت النيران فى المستعمرة وأصيبت أهداف كثيرة من نيران المدفعية ، وانتظر الهجوم التثبيتى إشارة الاقتحام من الهجوم الرئيسى حتى يكف عن إطلاق النيران ، ولكن لسوء الحظ لم يقدر لهذه الإشارة أن تنطلق لجملة اعتبارات كانت إحدى الدروس المستفادة من هذه

المعركة ، وكانت عوناً لنا فى المستقبل لتقرير طبيعة علمياتنا التى يجب أن تتسم بالسرعة وخفة الحركة ومفاجأة العدو واقتناصه فى العراء كلما أمكن ذلك، وقطع خطوط مواصلاته وعدم إعطائه فرصة للراحة أو الاستقرار .

وبالرغم من ذلك فقد تقدمت القوات القليلة التى كانت مخصصة للهجوم التثبيتى لعلها تصل إلى أهدافها ، ولكن انكشاف مواقعها جعلها تتحمل خسائر كبيرة .

ولم يكن هناك مبرراً لتحمل خسائر أكبر ، فأمر القائد بالانسحاب بالرغم من الشجاعة الفائقة التى كانت تتحلى بها القوات ، وإقبالها على التضحية والاستشهاد .

وعادت قواتنا إلى خان يونس ...

وفى نحو الساعة ٣٠ر٩ صباحًا جاءنا أحد قادة فرقة المقاومة العربية، وقال لنا إن عدداً من رجاله سقط متأثراً بجراحه أمام مستعمرة «كفارديروم» ، وطلب منا معاونته لإنقاذ هؤلاء الجرحى ...

وتطوع أحد الزملاء على رأس فصيلة للقيام بالمهمة بصحبة زميلنا حسن فهمى ، وكان معهم مدفعان ٢ رطل . ومضت ساعات الصباح وحان وقت الظهيرة ونحن لا نعرف شيئاً عن أنباء الفصيلة ، فداخلنا القلق وخصوصاً عندما جاءنا من أنبأنا بأنها وجدت مقاومة شديدة من العصابات الصهيونية أمام المستعمرة وأنه وقعت بعض الخسائر بين قواتنا ...

أسرعت إلى أرض المعركة حتى أرى الموقف ، وفى طريقى التقيت بزميلى حسن فهمى عائداً إلى المعسكر ، وأنبأنى بالحاجة إلينيران المدفعية فأحضرت المدافع بالقرب من المستعمرة ، وبالتنشين المكشوف بدأنا نضرب حتى يتسنى سحب الجرحى من أرض المعركة .

وهناك دارت بيننا معركة حامية ، وكنت على مسافة قريبة جداً من العدو ، فانهالت عليهم قذائفنا كالأمطار ، وأبدى جنودنا شجاعة فذة ، وتصاعدت دماء الوطنية الحارة إلى رؤوسهم ، واختلط العرق بخيوط الدم التى أحدثتها الشظايا المتطايرة فى أبدانهم ، وكنت أطلق المدافع بنفسى إذا حدث ما كان يعيق أحد أفراد الطاقم عن العمل . وتحولت أرض المعركة إلى جحيم وفعلت المدفعية فعلها فى خطوط الأعداء ، فأشعلت النيران فى المرافق وهدمت المبانى ودمرت دفاعات العدو .

ولكن حدث أن انفجرت قنبلة مدفع على مقربة من المدفع الذى كنت أقف وراءه ، فقتلت جندياً من طاقمه وأصابت آخر إصابة خطرة وأصابتنى أنا وعدداً من زملائى الجنود بجراح مختلفة .

وعندما وجدت الدماء تنزف من كتفى وساقى بغزارة أمرت الزميل أنور الصيحى أن يتولى قيادة المدفعية ، بينما حملت أنا إلى نقطة الإسعاف حيث أجريت لى بعض الإسعافات ثم نقلت بعد ذلك إلى مستشفى غزة .

وفى الطريق وجدتنى أتساءل :

- هل نجحت العملية ؟

وأجابنى أحمد عبد العزيز بينما أنا ألمح طيف ابتسامة على شفتيه بعينى نصف المغمضتين :

- تمت العملية بنجاح وسحبنا جرحانا والفضل للمدفعية ..

- ورحت فى إغماء طويل .

وتركنى القائد فى المستشفى وعاد مرة أخرى إلى أرض المعركة .

لقد أقسم أن ينتقم لجرحانا وأراد أن يكون انتقامه كبيراً فى الوقت الذى يظن فيه الصهيونيون أن الفدائيين لن يفكروا فى معاودة الهجوم على مستعمراتهم تلك مرة أخرى ، ولم تمض ساعات على المعركة الأولى .

وأمر القائد زميلنا اليوزباشى معروف الحضرى بأن ينطلق بقوة من المشاة لاقتحام المستعمرة تحت ستار من نيران مدفعيتنا ، فانطلق معروف إلى المستعمرة وكانت نيرانها قد صمتت فجأة ، وعندما أصبح على مسافة قصيرة منها ألقى قنبلة يدوية حتى يجعل من دخانها ساتراً له ورجاله ، ولكن أحد القناصة الصهيونيين أطلق عليه رصاصتين استقرت إحداهما فى رأسه والثانية فى مؤخرة عنقه .

وهم أحد الجنود بأن يحمل ضابطه إلى مواقعنا ولكنه فوجىء به يصيح فيهم أن يتقدموا دون أن يبالوا به بينما هو يحاول أن يزحف أمامهم .

وأدرك قائدنا أحمد عبد العزيز - الذى كان رابضًا يراقب القوة المتقدمة بالمنظار المكبر - ما حدث لمعروف فبعث من رجاله نفراً يذهب ليحمل الضابط الجريح إلى مقر قيادتنا ، بينما أصدر أمره للمدفعية لكى تشدد نيرانها على مواقع الأعداء ، حتى يتمكن الجنود من الانسحاب تحت ستار من دخانه الكثيف .

وعاد معروف وهو بين الحياة والموت وعلى سواعد الجنود ، وتبين أن إصابته خطرة فنقل إلى القاهرة حيث أجريت له عملية جراحية لاستخراج الرصاصتين وأفلت من الموت بأعجوبة .

ومرة أخرى تأكد لدينا أن عمليتنا يجب أن تقتصر على اقتناص العدو فى العراء دون مهاجمته فى المستعمرات وقطع خطوطه ومواصلاته وعدم إعطائه فرصة للراحة والاستقرار .

ولما جاء القائد لزيارتى فى المستشفى علمت منه أن المعركة ظلت مستمرة مع مستعمرة « دير البلح » بعد الاستيلاء على المصفحات اليهودية ، واستطاعت قواتنا أن تدك حصون اليهود وتنسف استحكاماتهم وتطهر المستعمرة تماماً من العصابات الصهيونية .

وبعد أن اطمأن القائد علىَّ هم بالانصراف ولكنه فوجئ بى أرتدى وأصر على مغادرة المستشفى للعودة إلى الميدان فى ذلك اليوم وخرجت معه فعلا .

وفى طريقنا مررنا بمدينة غزة ، واجتمع القائد بأعضاء البلدية وألقى فيهم كلمة وطنية حاثا إياهم على التضامن والتضحية فى سبيل الهدف الأسمى الذى نسعى إليه جميعاً .

وكان خطابه حماسياً رائعاً ألهب مشاعر الحاضرين وجعل المتخاذلين بينهم يخجلون من موقفهم والمتنابذين يمدون أيديهم بالصلح والوئام والسلام .

واختتم خطابه قائلا :

« إننى لن أتحدث بعد اليوم ولن تسمعوا منى كلامًا وسوف تتولى المدافع مؤونة الكلام بطريقتها الخاصة » .

وغادرنا مبنى البلدية فى طريقنا لاستكشاف مداخل غزة ومواقعها الطبيعية واتفقنا على خطة الهجوم المقبلة ، ومضينا إلى المعسكر حتى نعد المدافع ونجهز القوات اللازمة للعملية .

وفى الطريق سألت القائد عما يعنيه من أن المدافع هى التى ستتولى الكلام بعد اليوم ، فابتسم وقال :

- غداً يدخل الجيش المصرى المعركة رسمياً .

وأخيراً وليس آخراً ، فقد روى تلاميذ أحمد عبد العزيز وزملاءه أن الفدائيين والمتطوعين كان قد فرغ ما كان معهم من سجاير ولم تصل إليهم إمدادات ...

ووقف أحمد عبد العزيز بين رجاله متحدثاً وخطيباً ... وبعد عشرة دقائق كانت الفرقة قد آمنت بالامتناع عن التدخين نهائياً ...

بل وحدثت مفاجأة .

من كان معهم سجائر أخرجوها وأتلفوها ...

قصة من الميدان

وفى نفس الوقت الذى كان أحمد عبد العزيز يقود المتطوعين فى نجاح وإيمان وعزم ... كان أحمد عبد العزيز يضرب الأمثال عن مثالية تصرفاته فى كل ناحية من النواحى ...

ومن القصص التى يعرفها جيداً كل من عمل مع البطل فى هذه الفترة ، قصة الجاسوس الذى جاء للتجسس على أحمد عبد العزيز وقواته وأوقع بعض المتطوعين فى فخ صهيونى ، وكيف عامله أحمد عبد العزيز ، وكيف رد به هو نفسه مكيدة الصهيونية .

حدثت هذه القصة فى نفس اليوم الذى أصيب فيه كمال الدين حسين، ودخل إلى المستشفى فى معركة دير البلح .

قال الفدائى الذى روى القصة :

« وفى ذلك اليوم فوجئت قواتنا بمدافع اليهود تلتزم الصمت والميدان يسوده سكون رهيب استمر فترة ليست قصيرة .

ترى ماذا حدث عند العصابات الصهيونية فى المستعمرة ؟

وجاء الجواب مع رجل يرتدى جلباباً قديماً ويضع على كتفه غرارة ويمسك عصا ، وشكله بوجه عام يثير الشفقة .

هذا الرجل تقدم إلى القوة المصرية من ناحية المستعمرة وقال إنه عربى من سكان المنطقة ، وقد اكتشف أن ذخيرة اليهود قد نفدت ، فجاء ينبه الفدائيين المصريين إلى هذا حتى ينتهزوا الفرصة للاستيلاء على المستعمرة وتطهيرها من الصهيونيين .

وتشكك الفدائيون فى صحة أقوال الرجل ، وكأنما أدرك ما هم فيه ، فاستدار وانطلق نحو المستعمرة ودخل من منطقة القتال دون أن يقذفه اليهود بالمدافع ، ثم خرج إلى المصريين من ناحية أخرى حتى يؤكد صدق معلوماته.

وتقدمت جماعة من المشاة لاقتحام المستعمرة بإرشاد الرجل العربى، وما كادت الجماعة تتجاوز حدودها حتى اختفى المرشد فى غمضة عين ، بينما انهالت علينا قذائف الأعداء وكانت خسارتنا شديدة .

وأدرك الفدائيون أنهم وقعوا فى الفخ الذى نصبه الصهيونيون بمساعدة الجاسوس البدوى الذى اختفى عن الأنظار ، ولكن بعضهم أصر على اقتحام المنطقة التى اختفى عندها الجاسوس والقبض عليه بأى ثمن .

ونجح هؤلاء فى القبض على الجاسوس بعد أن قاموا فى هذا السبيل بمخاطرة عجيبة ، فقد اقتحموا المنطقة التى اختبأ عندها ، غير مبالين بالمدافع التى انهالت عليهم قذائفها ، واستطاعوا أن يفتكوا بمن فيها من الصهيونيين ، ثم عادوا بالجاسوس حياً .

وظهر أن الرجل جاسوس يعمل لحساب العصابات الصهيونية ، وعندما فتشه الجاويش متطوع حسن عز العرب عثر معه على خنجر وطبنجة ونحو مائة جنيه استرليني .

وقال الرجل أنه يدعى (سلامة) وهو عربى مسلم ، ولكن اليهود فى فلسطين اشتروه منذ ١٥ سنة وجعلوه منهم وطبعوه بطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم، حتى لقد نسى عروبته وأصبح صهيونيًا صرفًا وجعلوه عينًا على العرب وقوات المقاومة من الأحرار ورتبوا له ٣٠ جنيهاً شهرياً .

وحاول المتطوعون الاعتداء على الجاسوس وإيذائه ، ولكن القائد أحمد عبد العزيز حال بينهم وبينه وأدناه منه وقال له :

- إننى أعرف أن ظروف الحياة القاسية هى التى دفعتك إلى فعل ما فعلت ، ولولا حاجتك ما قبلت أن تخون وطنك ومواطنيك العرب . إننى أؤمن فى أعماقى أنك مخلص لعروبتك فى قرارة نفسك لأن الدم العربى لا يزال يتدفق فى قلبك ، ولهذا فإننى أصفح عنك .

وبكى الجاسوس وأبدى استعداده للقيام بأية خدمة للفدائيين ، وأصر على أن يعمل شيئاً ، فسأله القائد :

- أعتقد أنك تعرف اللغة العبرية ، أليس كذلك .

- إننى أجيدها كأحد أبنائها .

- إذن أريد منك أن تتصل بقيادة العصابات الصهيونية وتنبئها بأن القوة الموجودة فى مستعمرة دير البلح « كفارديوم » محاصرة ، وأن الفدائيين المصريين يطوقونها من كل جانب وقد نفدت ذخيرتها وعتادها ومؤنها ، وأنها تطلب إمدادات سريعة وتريدها فى الساعة الثانية عشرة ظهراً .

ونفـذ الرجل مـا طلبـه القـائد ، وعـاد يقـول إنه فـهم من قـيـادة الصـهـيونيين مـا يفيد أن النجـدة ستـصل فـى الموعـد المحـدد ، ثم أرشـدنا إلى الطريق الذى ستسلكه القوة الصهيونية .

وتسلح اليوزباشى حسن فهمى عبد المجيد بمدفعين وانطلق فى قوة ٨٠ جندياً رابط بهم عند الطريق الذى ستمر به القافلة اليـهودية وكانت تقوم عندها مزارع القمح .

ونصب الضابط مدفعيه فى موضع يشرف على الطريق بينما اختبأنا نحن الفدائيين فى مزارع القمح .

وعند الظهر تماماً ظهر القول اليهودى ، وكان يتألف من ١٨ عربة مـدرعـة ويسير فى اطمئنان نحـو المستـعمرة ، وفـجأة أطلق حـسن مـدفعـيه فأصاب المصفحة التى تتقدم القافلة كما أصاب الأخرى التى تسير فى المؤخرة فتعطلت السيارتان ووجدن بقية السيارات نفسها محاصرة بينهما فتوقفت ، وعندما رأى اليهود ما حدث لهم التمسوا الفرار وكانت أبواب السيارات تفتح إلى أسـفل فـانطلقـوا منهـا نحـو مـزارع القـمح ، لكننا كنا لهم بالمرصـاد ، فتصيدناهم واحداً واحداً حتى قضينا عليهم جميعاً وكان عددهم نحو ٥٤ جندياً فقد كـانت كل سيارة تحمل سـائقًا وجنديين . وبذلك انتقمنا لزمـلائنا الذين استـدرجهم اليـهود عن طريق جاسوسهم وفى الوقت نفسه غنمنا مصفحـاتهم وتلك كانت من أروع العمليات التى صادفتنا فى أوائل معركة فلسطين ١٩٤٨ .

أمـا مـا كـان من أمر الجـاسوس (سـلامـة) فقـد شعـر بخزى وعـار شديدين عندما أقام بيننا ، وعرف كيف أن الكثيرين منا تركوا أهلهم وأولادهم

وأرزاقهم وجاءوا يحملون أرواحهم على أكفهم لإعادة الوطن المغتصب إلى أصحابه الشرعيين عرب فلسطين ، بينما هو الذى جئنا لنمكنه من الحصول على حقه يبيعنا لأعدائه لقاء ثمن بخس ، دراهم معدودة .

هذه المعانى كلها جعلت الرجل يشعر بآلام نفسية عنيفة ما لبثت حتى طرحته مريضاً وأسلمته للقبر .... سامحه الله .

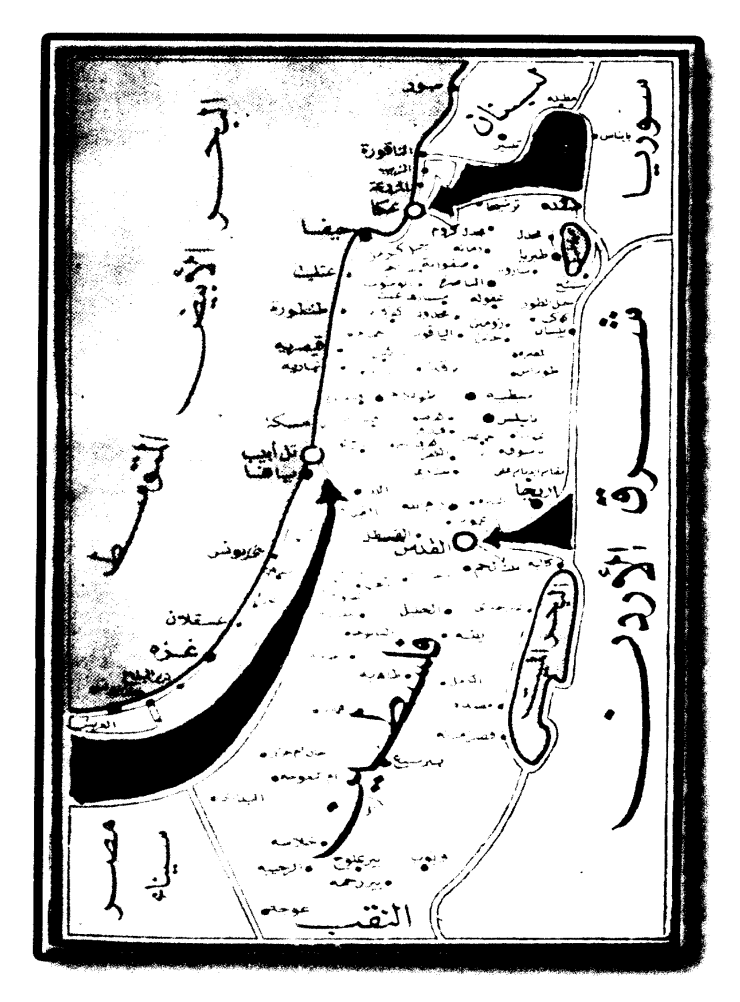
النمر يبيت في موقعي

يثير الرعب فى قلوب الصهاينة

وعلى ذكر قصص الميدان ... هناك قصة أخرى عن النمر أحمد عبد العزيز .

قال عبد المنعم السباعى : « كنت عندما أحب أن أخلد ساعة للراحة والنوم أفتح إذاعة مفتوحة أقول فيها : نمر يبيت فى موقعى اليوم ...

وكان معى هذا أن أحداً من اليهود لن يستطيع الاقتراب من موقعى على أساس أن نمر يبيت فى الموقع ... ونمر كان هو البطل أحمد عبد العزيز » .


البحر الأبيض المتوسط
لبنان
سوريا
شرق الأردن
فلسطين
النقب
مصر
سيناء
الناقورة
عكا
حيفا
عتليت
طنطورة
قيسارية
تل أبيب
يافا
عسقلان
غزه
طبريا
بيسان
نابلس
اريحا
القدس
الخليل
بيرسبع
عوجه

قصة المعركة .....



فى حرب فلسطين

الآلاي الأول الخيالة
رقم القيد – ١/٢/[illegible]
التاريخ – ٧/١/١٩٤٨

سري وعاجل

حضرة صاحب العزة قائد سلاح الفرسان الملكي

أتشرف بتقديم [illegible] المرفق [illegible] للتطوع [illegible]
القاهرة الى حضرة صاحب المعالي مدير الدفاع الوطني [illegible]
لاداء هذا العمل الذي يتفق مع ميولي واستعدادي –
راجيا [illegible] ابداء الرأي [illegible]
وتفضلوا [illegible]

[illegible]
قائد الآلاي الأول خيالة

حضرة المحترم البكباشي (أ.ح) أحمد عبد العزيز أفندي – قائد الاي الخيالة

معاد لحضرتكم بالتالي الطلب المقدم بتاريخ ٦/١/١٩٤٨ بخصوص [illegible] رجاء تصديره ليكون باسم حضرة صاحب العزة قائد السلاح وغير باسم حضرة صاحب المعالي مدير الدفاع الوطني – كتعليمات ادارة قسم القاهرة للقيادة العامة [illegible] –

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
قائد [illegible] خيالة

قصة تطوع أحمد عبد العزيز والعقبات التي وضعت أمامه

(٢)

٨- وقد [illegible]

[illegible]

في هذه الدورة [illegible]

٩- [illegible]

[illegible]

١٠- [illegible]

المذكورة [illegible]

[illegible]

وثيقة تاريخية [illegible]

محضر أول اجتماع [illegible]



أحمد عبد العزيز مع قائد مدفعية المتطوعين كمال الدين حسين
فى أرض المعركة



قائد الفدائيين أحمد عبد العزيز (×) يتوسط جماعة
الظباط الفدائيين وإلى اليسار اليوزباشى كمال الدين حسين



مع الفدائيين فى أرض المعركة



أحمد عبد العزيز فى الأرض المقدسة مع أحد أبناء فلسطين
التى أحبها وأستشهد فى سبيلها



أحمد عبد العزيز يراقب مستعمرة "بيت ايشل" بالمنظار الكبر
أثناء القتال، وقد وقف خلفه اليوزباشى حسن فهمى عبد الحميد



أحمد عبد العزيز فى مناقشة عسكرية فى الميدان

المرحلة الثانية

بعد دخول الجيش المصرى

أحمد عبد العزيز لا يؤيد دخول الجيوش المصرية لفلسطين

عندما أعلنت مصر دخول قواتها المسلحة إلى أرض المعركة كان للبطل أحمد عبد العزيز رأى خاص يعارض دخول الجيش المصرى إلى أرض المعركة ، على أساس أن محو إسرائيل وعصاباتها يجب أن تقوم به كتائب الفدائيين والمتطوعين فى ذلك الوقت ، وأن دخول الجيوش العربية كلها يعطى لإسرائيل صفة كبرى ... إذ ما معنى تعبئة الجيوش العربية لمواجهة عصابات صهيونية لم تكن فى ذلك الوقت قد قويت شكيمتها إلى الحد الذى تجند للقضاء عليها الجيوش الرسمية لجميع الدول العربية ...

وفى نفس الوقت كان أحمد عبد العزيز يعرف تمامًا ما يجرى فى القاهرة فى ذلك الوقت وما يجرى فى عواصم الدول العربية الأخرى ، ويخاف أن تدحر الجيوش العربية فتكون الطامة الكبرى وتنجح إسرائيل فى خطتها ... وكان أحمد عبد العزيز يحضر إلى مصر فى المرحلة الأولى ليقابل المختصين ويطلب منهم سلاحاً وذخيرة ، وكانت توضع فى طريقه العقبات العديدة، ومما ذكره لخاصته فى هذه الفترة أن ضابطاً كبيراً (الفريق محمد حيدر) وهو الذى أنصفه ... وهو الذى أمر له بفتح مخازن الذخيرة ليأخذ منها أحمد عبد العزيز ما يريد ...

وكان يعرف البطل أن ما يحدث فى القاهرة يحدث فى عواصم أخرى ... ويذكر البطل فى مذكراته الخاصة أن ضابط اتصال مصرى اتصل به وقال له : « لا تنس إذا قابلت جلالة الملك أن تقبل يده لأنه بيزعل قوى من اللى ما يبوسش إيده » .

فعرف البطل أى نوع من الملوك ... وأى نوع من القادة يحيط بمعركة فلسطين ، وخاصة بعد أن تدخلت قيادة الأردن فى المرحلة الأولى وسحب الجيش الأردنى فى المرحلة الثانية .

وكان أحمد عبد العزيز فى كل مرة يعود من الميدان إلى القاهرة فى ثورة وسخط لما يراه أمامه من أنواع من الخيانات تحوط بالقضية التى وهب لها حياته ودمه ...

ولكن دخول الجيش وعدم موافقة أحمد عبد العزيز فى قرارة نفسه على هذا التصرف لم يمنعه من أداء واجبه كأحسن ما يكون الأداء ، بنفس الإيمان والتضحية والفداء ...

فقد أسرع البطل أحمد عبد العزيز بالقيام بعمليات تطهير لمدخل غزة لتأمين دخول القوات المصرية ، بعد أن علم من تقارير الاستكشاف الجوى التى تلقاها من سلاح الطيران المصرى أنه قد شوهدت مدفعية ٢٥ رطلا تتحرك على مقربة من الطريق المؤدى إلى غزة ويظن أنها يهودية ...

وطلب أحمد عبد العزيز من قائد مدفعيته كمال الدين حسين أن يقابل هذه المدفعية اليهودية بمثلها .

وقبيل غروب الشمس بقليل كان أبطالنا قد سيطروا بقواتهم على غزة والمسالك المؤدية إليها وبدأت المدفعية المصرية تصلى مستعمرة ، بيرون اسحق ، ناراً حامية ، فجعلتها كتلة من اللهب ترتفع ألسنتها إلى عنان السماء.

هذا بالرغم من أن مدفعيتنا كانت خفيفة وتسليحنا أضعف ، فإن الإيمان والثقة بالله كانتا تحيلا هذا الضعف إلى قوة مدمرة .... وفى هذه الأثناء كان أحمد عبد العزيز القائد البطل الذى يقفز فى أرض المعركة إلى كل

مكان فيها .... يجده رجاله بينهم بل أمامهم ، فيحيل دماءهم إلى لهب وثورة ، ويحقق وجوده بينهم مزيداً من العزم ومزيداً من الفداء ...

وطلع فجر اليوم المنتظر ...

يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ..

وأشرقت في السماء طائراتنا المقاتلة ... وأشرقت معها ابتسامة عريضة على ثغر « النمر » القائد البطل أحمد عبد العزيز ...

وكانت هذه الطائرات تحمل شباباً أقوى منها ومن ما كيناتها ...

وجاءت البداية رائعة طيبة ... فقد دكت طائراتنا بقنابلها مواقع العصابات الصهيونية فى بيت حانون ، بينما ألقت المنشورات فى مواقع أخرى من المستعمرات الصهيونية ...

وكانت قوات الجيش المصرى تتقدم زاحفة فى طريقها إلى أرض المعركة ...

وفى مساء هذا اليوم وصلت هذه القوات إلى موقع « على منطار » حيث كان أحمد عبد العزيز وقواته التى ظلت تصلى العدو نارها ، بينما القوات المصرية تتسلم دفاعات « على منطار » والأهالى يستقبلونها بالفرح والترحاب.

وفى صباح ١٦ مايو ... عندما أشرقت الشمس انطلق أحمد عبد العزيز إلى مقر قيادة القوات المصرية ليقابل القائد العام ...

وقدم أحمد عبد العزيز كل ما لديه من معلومات عن العدو ...

ثم عاد ليؤمن طريق القوات الزاحفة وقاعدتها ، ولينطلق بقواته إلى معسكر « البريج » بالقرب من غزة ...

وهناك جلس أحمد عبد العزيز ورسم لرجاله خطة جديدة للهجوم على مستعمرة « المشبه » القريبة ، وذلك حتى لا يترك للعدو فرصة يتلمس فيها شيئاً من الراحة ويعيش فى رعب دائم من هجمات القائد البطل المفاجئة التى لا يدرى العدو متى ولا من أين تبدأ ...؟

وفى هذه اللحظات حدث أن اثنين من المتطوعين أرادا العودة ....

وعلم أحمد عبد العزيز بأمرهما وخشى أن تنتقل عدواهما ـ ولو فى نطاق محدود ـ إلى الآخرين ...

فكيف تصرف القائد الأستاذ ..؟

كيف واجه أحمد عبد العزيز هذا الموقف ؟

أمر بجمع كل أفراد قوات الفدائيين .... ووقف على ظهر إحدى السيارات المصفحة التى غنمناها من اليهود عند دير البلح « كفارديروم » وجعل يشيد بالبسالة والشجاعة الفائقة التى لمسها عند المتطوعين فى المعارك التى خضناها ، ويمتدح ما قاموا به من أعمال مجيدة جعلته فخوراً بهم هم وضباطهم الذين ضربوا المثل ولم يبخل أحد منهم بنفسه وهو يتقدمهم إلى المعارك ، وكيف أنهم كانوا لا يخشون فى جهادهم أحداً ، ولا يخافون غير الله ، ولا يطلبون إلا المجد والفخر عندما تنتهى المعارك بانتصارهم ، وجنة الخلد إذا نعموا باستشهادهم ...

وقال القائد البطل :

ـ لقد جئنا إلى هنا لا رهبة من أحد ولا رغبة فى شىء إلا رضاء الله وحده ، فإذا استشهدنا ومضينا إلى جواره فهذا أعظم آمالنا وأحب أمانينا ... ولسوف نمضى فى طريقنا دون أن يثنينا أحد عن غايتنا . سنطبق النظام والعدالة وسنتخذ كل وسيلة تدنينا من أهدافنا ما دامت فى سبيل الحق والخير،

وسنكون قساة على أنفسنا فنحن إنما نحارب من أجل غاية مثلى من أجل تراث العروبة ومستقبلها ... فمن شاء أن يمضى معنا فأهلا به وسهلا ... ومن شاء أن يمضى عنا فلن يرده أحد ...

وقال كمال الدين حسين بعد أن استمع لكلمة القائد أحمد عبد العزيز ما يلى :

« هذه العبارة على إيجازها رسمت لى صورة صادقة لشخصية البطل الذى قادنا إلى المعركة وعرفته منها على حقيقته عرفت قوة إيمانه وصدق فدائه ... كما عرفت أنه لا سبيل ولا حساب لأحد عليه ، إنما السبيل سبيل الله والحساب حساب الله ...

وقد تدفق البطل فى كلمته التى كانت تتفجر جرأة وإيماناً حتى إذا انتهى منها وانفض جميع الزملاء والمتطوعون رأيتهم يسيرون مبهورى الأنفاس وقد أخذتهم روعة الكلام وسحر البيان ...

وكان لكلمات البطل مفعول السحر فى النفوس فعلا ، فقد مضى الأبطال جميعهم بما فيهم الشابان اللذان طلبا العودة إلى المهمة التالية وقد ضاعفت كلمات أحمد عبد العزيز من قوة الأسلحة فى حوزتهم ... وكانت العملية التالية .. مستعمرة « المشبه » وقاتل الأبطال بشجاعة فائقة ... كانوا يقاتلون وكأنهم فى انقضاضهم وتحفزهم نموراً كاسرة يثبون هنا وهناك وتلمع عيونهم فرحة وبشرا كلما أصابت قذائفهم هدفاً طيباً ...

وعاد أحمد عبد العزيز من استكشافه لبعض مواقع العدو ليرى ما فعلته كلماته الساحرة فى أبطاله وجنوده ، ويشاهد الخسائر التى أحدثوها فى مواقع العدو ...

وعاد أحمد عبد العزيز إلى معسكره مع أبطاله فى (البريج) ، وانصرف القائد لإعداد بلاغه الحربى الذى سيبعث به لاسلكياً إلى الرئاسة ...

وفى هذا اليوم ... كما فى كل يوم وكل لحظة من حياة أحمد عبد العزيز ... سجل البطل مثلا جديداً أمام جنوده وضباطه ...

جاءه بعض المتطوعين يقولون إن جماعة من المتطوعين الألمان وغيرهم من جنسيات أخرى ممن يمقتون اليهود قد وصلوا إلى المعسكر وأنهم يعرضون خدماتهم للعمل مع قوات البطل أحمد عبد العزيز ... واغتبط البعض بهذه الرغبة ... وسكت أحمد عبد العزيز فترة قصيرة كان خلالها يتأمل وجوه الزملاء الذين أيدوا الفكرة ... ثم مضى معهم إلى الجماعة الأجنبية ووقف بينهم .... وجاءت المفاجأة التى أذهلت جنوده وضباطه وضربت مثلا جديداً لأروع صفات القيادة والوطنية والبطولة... تحدث أحمد عبد العزيز فى لهجة صارمة وبعبارات صريحة جداً يقول :

« يؤسفنى ألا أستطيع الموافقة على انضمامكم إلينا ، وأنا كقائد مصرى أرتضى الهزيمة مع زملائى من الضباط والجنود المصريين أو العرب، ولا أرتضى النصر على أيد غير عربية » ...

وهكذا كان اعتزاز أحمد عبد العزيز بوطنه وإيمانه بقوميته ... ولقد أراد بهذا التصرف الحكيم أن يعزز هذه المعانى التى تعتمل فى صدره وينقلها إلى جنوده حتى تزداد ثقتهم بأنفسهم وبالتالى تزداد ثقتهم فى مقدرته ...

لقد رفض قبول هؤلاء المتطوعين حتى لا يوجد منفذاً يحتمل أن ينفذ منه الجواسيس ، كما قطع الألسنة التى قد تزعم يوماً أن الفضل فيما نقوم به من قتال وجهاد إنما يرجع إلى جماعة من الألمان أو غيرهم ...

معركة بئر السبع

من أجل المعارك التى خاضها البطل أحمد عبد العزيز ورجاله الأبطال المعركة التى دارت عند بئر السبع .. والمستعمرات التى تحيط بها .

ففى ليلة ١٨ مايو ١٩٤٨ ذهب أحمد عبد العزيز إلى رئاسة القوات المصرية فى غزة ، وكان المعروف أن هذه القوات ستتحرك إلى بئر سبع ... وهو موقع استراتيجى هام وعقدة المواصلات فى فلسطين ومفتاح النقب ... ولكن لنقص القوات فقد عدلت الرئاسة عن ذلك ... وهنا عرض البطل أحمد عبد العزيز أن يقوم هو بقواته باحتلال هذا الموقع الخطير ...

وطلب أحمد عبد العزيز من رئاسة القوات المصرية أن تعطيه مدفعين فقط (٢ رطل) .

وجاء الجواب الغريب ... رفض طلب أحمد عبد العزيز ...؟؟

وقال قائد القوات المصرية لأحمد عبد العزيز : « إذا كنت ترى أن قوتك غير كافية للقيام بالعملية ، فلا عليك ... ولا تذهب » ...

وجاء رد البطل ..

وجاءت كلمات أحمد عبد العزيز حاسمة مؤمنة كما هى دائماً ...

قال أحمد عبد العزيز : « بل سنذهب والله معنا » .

وكانت مغامرة فعلاً ...

وفى الساعة الواحدة ظهر مايو ١٩٤٨ تحرك الأبطال إلى بئر السبع ... وكان الاعتماد على عنصر المفاجأة حتى تصل القوات إلى بئر سبع فى يوم واحد وتمر بسلام وسط المستعمرات اليهودية الكثيرة .

وكانت أوامر أحمد عبد العزيز .. التقدم باستمرار نحو الهدف ...

وكان أحمد عبد العزيز فى المقدمة يقود قواته ويتعرف على معالم الطريق وخفاياه بشاب عربى مخلص اسمه (على سعيد الخلفاوى) ومضى أحمد عبد العزيز إلى بئر السبع وهو يضاعف مع أبطاله جهدهم فى التقدم وحتى يحتفظوا - كما قال لهم - دائمًا بقوة اندفاعهم نحو غرضهم ويبلغوه فى الوقت المناسب ولا تقضى القوة ليلتهم فى العراء معرضة لأية أخطار مفاجئة....

ورغم عقبات الطريق ورغم المعركة الصغيرة التى دارت بعد اجتياز وادى غزة ومنطقة الشلالة ، فقد وصل البطل بقواته إلى بئر السبع فى الساعة السابعة والنصف مساء نفس اليوم ...

واستقبل الأهالى أحمد عبد العزيز وقواته أروع استقبال ...وكان المواطنون العرب المسلحون فى المدينة يفوق عددهم أى عدد من العرب المسلحين فى أى منطقة أخرى ...

وأمضى أحمد عبد العزيز مع قواته الليل فى مدرسة بئر السبع ، وفى الصباح - صباح يوم ٢٠ مايو ١٩٤٨ - بعث القائد أحمد عبد العزيز اليوزباشى خالد فوزى فى سيارة مصفحة مع جماعة من العرب والمجاهدين لإحضار العربات التى تعطلت من قوته فى الطريق .

وعقد البطل اجتماعاً لرجاله لوضع الخطة التى سيتبعها ...

واتفق الرأى على البدء بمستعمرة « بيت ايشل » وهى أقرب المستعمرات إلى بئر السبع ...

وفى الساعة العاشرة صباحاً بدأت الإغارة على المستعمرات وانهالت القذائف المصرية كالسيل على المستعمرة .

وكان أحمد عبد العزيز يراقب المعركة من أرضها ... يقف إلى جانب (أبو كمال) قائد مدفعيته وهو يدك المستعمرة دكًا وقد ظهرت على وجهه علامات الارتياح الشديد والاغتباط ...وكانت كلماته الساحرة تصل إلى آذان المحيطين به فتحيلها قذائف وقنابل وقوة كبيرة ... وانتهت الإغارة على المستعمرة ، وعاد أحمد عبد العزيز إلى قاعدته فى بئر السبع بعد أن صمت صوت مستعمرة (بيت ايشل) .

وتناول البطل غداءه مع أبطاله وبعد الغداء علم أحمد عبد العزيز أن اليهود عادوا فى بيت ايشل يضربون برشاشاتهم على المارة فى الطريق ..

وأمر القائد أحمد عبد العزيز البطل أنور الصيحى للذهاب لتحرى الأمر ... وبعد قليل تبعه كمال الدين حسين وعادت قواتنا تضرب المستعمرة من جديد وتشعل النيران فيها مرة أخرى ظلت فيها ألسنتها حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ...

وفى هذه المعركة استشهد البطل أنور الصيحى وحمل النبأ إلى قائده أحمد عبد العزيز ... وتقلصت عضلات وجهه فى مرارة وعنف حزناً على الزميل الشهيد ، ولكنه ما لبث أن رفع رأسه وأشرقت أسارير وجهه بنور العزم والإيمان والفداء ... ونظر لرجاله ليقول لهم إنهم لا يجب أن يحزنوا على الزميل الراحل...

لقد بلغ ما يتمناه كل منا .. ومضى راضياً مرضياً إلى جنة الخلد ..

وهل بعد هذا من مطمع ...

ثم قال البطل أحمد عبد العزيز :

« إن أقصى ما نتمناه أن نموت شهداء ، إن الاستسلام للحياة جبن ، فالروح سلاحنا والجسد طلقة السلاح ، طلقة يجب أن نطلقها في أول مناسبة وإلا انعدمت قيمة السلاح » ...

وفى سرعة القذيفة انتقل القائد أحمد عبد العزيز إلى الحديث عن المعركة فقال إن المعلومات التى لديه تفيد أن الوثبة الأولى للقوات المصرية هى الخط (غزة - بئر السبع) وأن الوثبة الثانية هى الخط (المجدل - الخليل) وأنه كان فى انتظار الأوامر من الرئاسه على أثر البلاغات الحربية التى كان يبعث بها إليها ، ولكن الرئاسة لم تتكرم بالرد ، وما دامت المعلومات التى لديه تفيد تحرك القوات المصرية تجاه المجدل ، لذلك فهو يرى أن تتحرك قواته من الفدائيين فى محاذاتها من ناحية الشرق ، فتتجه شمالا إلى الخليل وبأقصى سرعة ممكنة ...

وكان مقرراً أن يقوم الفدائيون بتشييع جنازة الشهيد أنور الصيحى .. ولكن أحمد عبد العزيز قال لهم :

« إن أحسن تحية نحيى بها شهيدنا العزيز أن نودعه بأسرع ما يمكن، ونزحف للأمام حتى نحقق الغرض الأسمى الذى حضرنا جميعاً لأجله .

وإنى أعلم أن روحه سترتاح لتصرفنا هذا .. والآن .. هيا بنا ... إلى الأمام يا رجال » ..

وفعلت كلمات القائد فعل السحر ، فذاب الأسى من النفوس ، وتحول إحساس الأبطال نحو زميلهم الراحل إلى مزيد من الفخر ، وارتفعت معنوياتهم كأقوى ما تكون معنويات الجندى الذى انطلق إلى الميدان ، وقد وهب روحه قرباناً للوطن المفدى ...

وتحرك الرجال إلى الأمام بعد أن عهد البطل أحمد عبد العزيز إلى اليوزباشى محمود عبده ومجموعة من المتطوعين القيام بالدفاع عن بئر سبع.

ومضى أحمد عبد العزيز إلى الخليل ... إلى الأرض المقدسة ...

وفى الطريق أوفد القائد قوة برئاسة اليوزباشى حسن فهمى عبد المجيد إلى (العسلوج) لتطهيرها من اليهود حيث تقوم على الطريق بين العوجة وبئر السبع وتهدد القوات المصرية ...

وبلغ أحمد عبد العزيز وقواته الخليل فى الساعة الواحدة بعد الظهر .

وانطلق القائد البطل مباشرة إلى مقر المجلس البلدى للمدينة ، حيث اجتمع بأعضائه وشرح لهم مهمته ورجاله الأبطال ... ثم عاد ليقيم معسكره فى مدرسة الخليل ...

وفى الساعة التاسعة فى صباح السبت ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨ خرج أحمد عبد العزيز ومعه (أبو كمال) لا ستكشاف المواقع التى يقيم فيها مدفعيته عند (بيت لحم) حتى يساعد الهجوم على (رامات راحيل) التى تقع فى الطريق بين بيت لحم والقدس .

كمال الدين حسين يروى هذه اللحظات كما ضمنها مذكراته عن أسرار حرب فلسطين .. ومنها نرى أى جو كان أحمد عبد العزيز يحارب فيه، وكيف كان قادة الجيش الأردنى يتعاملون مع العدو.

قال كمال الدين حسين :

« وعند مركز بوليس (بيت لحم) شاهدنا ٥٤ فتاة من المتطوعات فى جيش الهاجانة أسيرات بين أيدى جنود الجيش الأردنى ، ووجدنا الأسيرات يتمتعن بمعاملة طيبة جداً ويلقين من حراسهن كل رعاية وتكريم ، حيث تقدم لهن الحلوى والشيكولاتة والسجاير ومضينا إلى بيت لحم ..

والتقينا بالقائد الأردنى اليوزباشى حكمت مهيار ، فتحدث إلينا حديثاً يفيض قوة وينبض فتوة ، وتكلم طويلا عن شرف الجندى وعروبة العربى ، وكيف أن كل قطرة فى دمائنا تثور اليوم لأجل الوطن الغالى الذى تلوثه أقدام الصهيونية الآثمة ، ثم أخص شخصه بالذكر وهو يضرب المثل الأعلى فى التضحية وإنكار الذات ، وحين قال إنه هب يجاهد فى سبيل الله والوطن والحق، وباع الدنيا ليشترى الآخرة .

ومن هذا الحديث الذى كان يتلون معه صوت الرجل قوياً أجشاً رأينا القائد الأردنى عملاقاً وطنياً وصورة من صور البطولة والفداء ، وخصوصاً عندما ثارت ثائرته وقال إنه هو وحده المسئول عن قيادة المنطقة .

وكأنما أدرك قائدنا نقطة الضعف فى الرجل ، وهى حب المباهاة والرياسة ، فابتسم وهون عليه الأمر وقال :

« لقد جئنا يا أخى للمعاونة فقط ، ولسنا بالطامعين فى قيادة أو رياسة، وبالتالى فنحن أزهد الناس فى أن يقال إننا فعلنا أو بذلنا ، وسيكون الفضل كل الفضل لقيادتك والحمد كل الحمد لبطولتك » .

وازدهى القائد الأردنى بعبارات قائدنا ، وتم الاتفاق بيننا وبينه على أن يقتصر دورنا فى المعركة على الضرب بالمدفعية ، والاشتراك بجماعة تقوم بالنسف والتدمير .

ودرسنا خطة الهجوم بوجه عام ، ثم عدت إلى الخليل وأحضرت المدافع اللازمة ، وبدأنا نضرب بها المستعمرة ضرباً ناجحاً جداً ، على حين قامت قوات المناضلين العرب بقيادة الفلسطينى (أبو دية) وفرقة المفرقعات المصرية وقوات الأردن بالهجوم على المستعمرة من عدة جهات تحت ستار نيران المدفعية .

وبعد صراع دام ثلاثة أيام استطعنا أن نقتحم المستعمرة ، وعندئذ وقع ما لم يكن فى الحسبان ، فقد اتجه القائد العربى حكمت مهيار وجنوده إلى السلب والنهب وانتزاع الغنائم ، دون أن يعنى هو أو زملاؤه بتعقب العدو وتطهير أرض المعركة من ذيوله وآثاره ، وإنما رأينا جموعهم بعد قليل ترجع حاملة أكداس الأسلاب ، فترك هذا أثراً سيئاً فى نفوسنا ، نحن الذين كانت أعظم أمنية لنا أن نموت حتى نهب الحرية لأرضنا العربية ، وتبين لنا أن (مهيار) هذا الذى توسمنا فيه البطولة والفداء والوطنية إن هو إلا (مهياص) تافه كقطاع الطرق ، كل همه البحث عن الغنائم والأسلاب .

ولقد حدث أن أحد الجنود المتطوعين حذا حذو (مهياص) وأعوانه، فشاهد فى المستعمرة بقرة شاردة وقادها إلى معسكرنا ، وعندما رآه أحمد عبد العزيز سأله :

« لماذا جئت بهذه البقرة هنا » ؟

فأجاب الجندى المتطوع : « حتى نذبحها ونأكلها » .

ووضع القائد يده فى جيبه وأخرج خمسة جنيهات وقال للجندى :

ـ خذ هذه اشترى بها خروفاً ووزع لحمه على الجنود ، أما هذه البقرة فاذهب بها إلى البيت المتهدم هناك ، أتراه .. إن سكانه العرب قاسوا الأمرين من عدوان اليهود عليهم وسلبهم ممتلكاتهم وأمتعتهم .. قدموا لهم هذه البقرة فإنها اليوم من حقهم .

وحدث أيضاً بينما كانت قواتنا تتقدم نحو المستعمرة أن حاولت إحدى فتيات الهاجانة أن تعتدى عليها وتقدفها بقنبلة يدوية ، ولكن جنودنا

تنبهوا إليها وألقوا القبض عليها ، وبعد قليل جاء أحد الضباط الأردنيين وطلب من الجنود أن يتركوا الصهيونية الحسناء قائلا إنها فى حمايته .

وطبقاً لاتفاقنا مع القائد الأردنى صدرت الأوامر بأن ننسحب ونترك المستعمرة تحت رعايته ، وانسحبنا فعلا وأقمنا فى معسكرنا فى مدرسة (صور باهر) .

وفى المساء عندما أرخى الظلام سدوله ، انسحب الأردنيون من المستعمرة ، وعاد اليهود إليها وأقاموا فيها استحكامات قوية صمدت أمامنا فترة طويلة .

معركة تحرير القدس
أحمد عبد العزيز يتولى تحرير القدس القديم
من أيدى الصهاينة

ثم بدأ الهجوم على القدس .. وهى تبعد عن بيت لحم بنحو ستة كيلو مترات ، وكان اليهود من قبل يشنون الهجمات على القدس العربية بقصد احتلالها وطرد العرب منها .. ولكن أحمد العزيز قاد هجمات عنيفة على العصابات الصهيونية جعلتها تتخذ موقف الدفاع ... واستمر الصراع ١٣ يوماً سقطت بعده القدس القديمة فى أيدى البطل أحمد عبد العزيز وقوات الفدائيين الأبطال الذين كان يتولى قيادتهم .. وفى ذلك كانت القوات المصرية النظامية قد انطلقت شمالا من غزة إلى دير سنيد ثم المجدل وأسدود ، واتجهت شرقًا فاحتلت الفالوجا وبيت جبرين ، وطهرت (نجبة) قبل أن تعمل شمال أسدود ، فى طريقها إلى تل أبيب ، كما كانت طائراتنا المصرية تضرب تل أبيب ويتاح تكفا وراحابوت وريشيون ليزيون فى المنطقة غربى الخط الحديدى المتجه شمالا إلى حيفا .

وبينما كانت القوات النظامية المصرية تتجه بسرعه نحو القدس ، ولم يبق عليها غير ساعة ونصف الساعة تقريباً ، قام القائد أحمد عبد العزيز مع قائد مدفعيته كمال الدين حسين بالتوجه إلى مركز قيادة الجيش العربى فى القدس ...

ويقول كمال الدين حسين :

« لقد وجدنا صعوبة كبيرة فى محاولة التفاهم مع ضباطها ، وكنا ننتزع المعلومات منهم بشق الأنفس ، وقد بذل قائدنا أحمد عبد العزيز جهداً كبيراً فى هذا السبيل » .

وفى صباح يوم الخميس ٤ يونيو ١٩٤٨ وصلت إلينا فى بيت لحم القوات المصرية القادمة من بيت جبرين .

وأقيم لذلك حفل كبير لرفع العلمين المصرى والفلسطينى على بيت لحم ...

وفى نفس الوقت الذى أقيم فيه الحفل ، قام البطل أحمد عبد العزيز بتشديد حصاره على اليهود الموجودين فى القدس الجديدة ، ويبلغ عددهم نحو مائة ألف يهودى ..

وبمناسبة احتفال رفع الأعلام وجدت بين أوراق البطل القائد خطاباً مؤرخاً (بيت لحم فى ١٩٤٨/٦/٤) ، نسرد نصه الكامل لبيان جانباً من جوانب شخصية بطلنا الشهيد وسراً من أسرار عظمته .

ويبدو أحمد عبد العزيز فى قمة عظمته وهو يقول فى هذه الرسالة :

وفى الساعة ٩٠٠ عند رفعكم العلمين الفلسطينى والمصرى سأحييهما من مواقعى الأمامية بضرب مستعمرات العدو بالمدفعية ، وإرغامه بكافة أسلحتى على الاختفاء والانزواء فى جحوره ...

ويقول البطل :

« ... أعتذر عن حضور حفلة رفع العلمين الفلسطينى والمصرى على بلدة الخليل التى دخلتها قواتى يوم ٢١ مايو ١٩٤٨ ، وذلك لدواعى حربية هامة ، ولضرورة مراقبة العدو والتربص له فى أثناء هذه الحفلة .

سيحضر هذا الاحتفال من قواتى الداورية الميكانيكية التى ستمر بالخليل وقت الاحتفال وعدد من جرحى قواتى ...

وهذه أعظم تحية نقدمها إلى العلمين الشقيقين ولأهالى هذه البلاد العزيزة .

وتفضلوا بقبول أسمى احترامى ، ، ......،



شارة أحمد عبد العزيز وأبطاله فى أرض القتال



"أنا لاشىء .. جنودى وضباطى هم كل شىء"

أحمد عبد العزيز





قائد الكوماندوس المصرى

البكباشى أحمد عبد العزيز قائد الطابور المصرى السريع الحركة. والذى يكون طليعة القوات المصرية فى بيت لحم يصدر أوامره بالهجوم على القدس

النمر ... قائد الكوماندوس






قائد الكوماندوس المصري يتكلم

قائد الكوما

ما قالته الصحف . .

ما قالته الصحف...

الهدنة .. !!

مؤامرة استعمارية .. !!

أعلنت الهدنة الأولى ، وتلك كانت المفاجأة التى تغير لها وجه التاريخ فى الوطن العربى .

كان الموقف حتى ذلك الوقت فى صالح القوات المصرية ، ولكن إعلان الهدنة الأولى لمدة أربعة أسابيع والذى بدأ يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ جاء فى مصلحة الصهيونيين على طول الخط ..

ثم بدأ الصهيونيون يستغلون فترة الهدنة فى كل دقيقة منها لصالحهم، وشنوا الهجمات خارقين بها قرار الهدنة ، واستشهد فى مستعمرة العسلوج الشهيد أبو النجا عفيفى الذى أحرق الصهيونيون جثته مع عدد من الفدائيين والمتطوعين العرب ..

وفى يوم ٩ يوليو ١٩٤٨ انتهت الهدنة الأولى ، وبعدها بيومين انسحب الجيش الأردنى من (اللد والرملة) فجأة وتركها لليهود ، وتلك كانت نقطة التحول فى تاريخ المعركة .

وحدثت خيانة عمان المشهورة .. ووقف أبطالنا وحدهم يواجهون العاصفة...

ويقول البطل كمال الدين حسين :

« وانتهز أحمد عبد العزيز الفرصة وقرر أن ينتقم من اليهود ويسترد (عسلوج) ، التى انقضوا عليها أثناء الليل فى أول أيام الهدنة ، وقتلوا جنودها غيلة وأحرقوا جثثهم ، فأوفد الزميل الصاغ محمد سالم عبد السلام إلى قوات

الجيش المصرى فى غزة لتنسيق خطة الهجوم على العسلوج ، وكلف اليوزباشى حسن فهمى عبد المجيد بأن ينطلق على رأس قوة من الفدائيين لمهاجمة ذلك الموقع..

كانت تلك أول مرة تشترك فيها القوات النظامية مع الفدائيين فى إحدى المعارك .. واستولى الفدائيون على العسلوج .

وفى ذلك الوقت كانت قوات الفدائيين تواجه العاصفة وحدها فى المستعمرات بين بيت لحم والقدس .. ومرت لحظات رهيبة سجلها القائد أحمد عبد العزيز فى مذكراته الخاصة « التى ننشرها فى هذا الكتاب » .

وبعد أسبوع من انتهاء الهدنة الأولى أعلنت الهدنة الثانية فى ١٨ يوليو ١٩٤٨ ، وكأنما الهدنة لم ترفع إلا لكى يسلم الملك عبد الله اللد والرملة لليهود .. وكانت مهزلة عجيبة دفعت أحمد عبد العزيز بأن يجلس مع رجاله ليتساءل :

- ماذا فعلنا ؟ وفيم كل هذه التضحيات التى بذلناها ؟ وما هو موقفنا الآن ؟ ما الذى ينتظرنا اليوم وغداً وبعد غد ؟

ويروى السيد كمال الدين حسين قائلا :

وفى إحدى أمسيات منتصف شهر أغسطس ١٩٤٨ ، كنت أرافق القائد أحمد عبد العزيز فى طريقه عند عودته من أحد المواقع الأمامية إلى مركز الرئاسة، عندما ترجلنا من السيارة ، وانطلقنا نسير فى الطريق الجبلى ، ونتدارس أحوال قواتنا والموقف العام للقتال ، وما كنا نعانيه من مأساة فلسطين، ومن الجالسين على مكاتبهم الوثيرة فى القاهرة .

وفجأة التفت نحوى رفيقى القائد وقال ، وقد غشيت وجهه سحابه من الألم المرير :

.اسمع يا كمال ، إن ميدان الجهاد الحقيقي ليس هنا ، وإنما هو في أرض الوطن في مصر .. فهناك ميدان الجهاد الأكبر..

ودوت هذه العبارة فى رأسى .. ومضيت أبحث كل كلمة فيها .

وبدأ اليهود ألاعيبهم ، فبعثوا جواسيسهم فى كل مكان ..

وكان أحمد عبد العزيز قد أقام مع قواته فى (صور باهر) التى تسيطر على المستعمرات المحيطة بالقدس الجديدة ، وتهدد الطريق المؤدى إلى القدس من الجنوب .. وفى يوم ١٩ أغسطس ١٩٤٨ شن اليهود هجوماً ركزوا فيه كل ما فى وسعهم من قوة على هذا الموقع ..

أحمد عبد العزيز..

معجزة من المعجزات

وهنا يقول البطل كمال الدين حسين :

« وعندئذ رأيت البطل أحمد عبد العزيز شجاعاً جريئاً مؤمناً ، استطاع أن يدمى قلوب اليهود ، ويدير رؤوسهم ، ويجعلهم يتخبطون كالسكارى وهم يشاهدون نيرانه تذيب هجومهم وتحصد أرواحهم .. كانت تلك المعركة أروع المعارك التى خاضها البطل .

فقد تجلت فيها خصائصه القيادية وبطولته وبراعته فى فنون الدفاع والهجوم، ودقته فى التوقيت ، ومهما حاولت أن أصفه فى تلك المعركة فإن الكلمات فى وصفه تبدو جامدة تافهة خرساء ، لأنه كان يومئذ معجزة من المعجزات ، بل كان يصنع آخر المعجزات ، فقد كان على موعد قريب مع القدر ..

ففى صباح اليوم التالى (٢٠ أغسطس ١٩٤٨) تسلم أحمد عبد العزيز مذكرة من مندوب لجنة الهدنة الأمريكى عن فكرة عقد اجتماع مع القائد اليهودى ورئيس المراقبين الدوليين ومندوب الصليب الأحمر ، للنظر فى المشاكل التى نتجت عن احتلال اليهود للمنطقة المحرمة الخاضعة للصليب الأحمر وعندما حان موعد الاجتماع قصد أحمد عبد العزيز تجاه القدس ، ولكنه فى الطريق فوجئ باليهود يطلقون الرصاص على سيارته ، فاضطر للعودة وبعث احتجاجاً للجنرال رايلى وفى يوم الأحد ٢٣ أغسطس دعى لحضور المؤتمر مرة أخرى ...

وذهب أحمد عبد العزيز ...

وكان هناك الكولونيل عبد الله التل ..

ودار الحديث حول اعتداءات اليهود ..

وأصر أحمد عبد العزيز على تسجيل العدوان اليهودى على أموال العرب ، بالإضافة إلى عدوانهم على أرواحهم وأبى أن يفرط فى شبر مما كسبه أبطالنا بدماء شهدائنا ..

كما رفض أحمد عبد العزيز أن يجلس إلي المنضدة التي جلس أمامها القائد اليهودي موسي ديان ، احتقارا له ولعصابة قطاع الطرق التي يقودها ..

وعندما انتهى الاجتماع رأى القائد أن يبلغ بنفسه ما دار فى المؤتمر فوراً إلى الرئاسة العامة للقوات المصرية فى غزة ..

وفى الساعة الرابعة مساء غادر أحمد عبد العزيز مقر الاجتماع فى طريقه إلى معسكر قواته ، حيث استبدل ملابسه ثم انطلق إلى بيت لحم ومنها إلى عراق المنشية حيث كانت ترابط إحدى كتائب القوات المصرية ..

وتقدمت سيارة أحمد عبد العزيز نحو عراق المنشية وعندما لم يبق بينها وبين مواقع الكتيبة المصرية غير ٥٠٠ ياردة تقريباً دوى طلق نارى ..!!!

واستشهد أحمد عبد العزيز .. ونال فى اللحظات الأخيرة الهدف الذى كان يسعى إليه منذ البداية .

ونجحت الهدنة والاستعمار والغدر والخيانة والفساد الضارب وراء جدران السياسة العربية وقتئذ فى تعويق العرب عن بلوغ الهدف الأسمى وهو تحرير فلسطين ..

وعادت قواتنا ..

وفى طريق العودة .. فى أوائل عام ١٩٤٩ - كانت قوات الفالوجة عائدة أيضاً إلى أرض الوطن .. وفى إحدى خيام معسكرات العريش كان يجلس الرائد جمال عبد الناصر أركان حرب القوة المصرية التى كانت محاصرة فى الفالوجا ورئيس التنظيم فى صفوف الضباط الأحرار ، وكان إلى جانبه يجلس كمال الدين حسين وكان الحديث يدور حول ... أحمد عبد العزيز.

وكانت كلمة عبد الناصر :

« هذا صحيح .. إن معركتنا الحقيقية فى مصر .. » !!!

لحظة استشهاد أحمد عبد العزيز

وفي الأسبوع الأخير من أغسطس ١٩٤٨ ، كانت قواتنا بقيادة البطل أحمد عبد العزيز قد قطعت تماما شمال فلسطين عن جنوبها بخط متصل ما بين بيت لحم وبين المجدل ، وكان الشهيد مشرفا علي فلسطين وقد قربت أن تسقط في يده لو أمهله القدر يوما واحدا قبل أن يذهب .

وفى مساء يوم ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ وقواتنا تتحكم فى الطريق الأسفلت الذى يمر أمامها ، والذى يحاول اليهود فى الليل أن يستغلوه لتهريب بعض عرباتهم بإمدادات وتموين لجنوب فلسطين لتمويل مستعمرات النقب المحصورة ... وكانت قواتنا تتصيد هذه العربات التى كانت تفتح أنوارها وتخرج فجأة إلى الخط وتتساقط كأوراق الخريف ، وقد تمر منها عربة تحمل أى شيء لليهود المنعزلين فى الجنوب ... وقد أتاحت هذه العربات الإسرائيلية التى تفتح أنوارها دائمًا على جنودنا سرعة البدء لإطلاق النار على أى نور يظهر فى هذا الطريق ، على أساس أنها محاولة يهودية لتهريب تموين للجنوب وكان المفروض فى حالة تقدم عربات مصرية أن تخطر نقط الجنود...

وفى نفس هذا اليوم كان أحمد عبد العزيز قد تلقى من رئاسة القوات المسلحة أوامر أصدرها له أولئك الذين كانت المعركة لا تهمهم فى شيء ، ورأى البطل أن تنفيذ هذه الأوامر سيسيء إلى المعركة وأنه ليس من الصالح العام فى شيء تنفيذها ... كما كان لابد أن يحيط رئاسة القوات المصرية بمحادثاته مع رايلى ... وصمم أن يتوجه فوراً لتنفيذ كل هذا ... واجتمع ضباطه ليثنوه عن عزمه خوفاً من السير ليلاً فى هذه المنطقة .

ولم يكن أمام أحمد عبد العزيز إلا تنفيذ هذه الأوامر أو عدم تنفيذها

والتوجه بأسرع ما يمكن لمناقشتها مع رئاسة القوات ... واختار أحمد عبد العزيز الطريق الثانى ... لن ينفذ هذه الأوامر وسيذهب لمن أصدروها لمناقشتهم بعد أن يطلعهم على ما دار بينه وبين موسى ديان وكبير مراقبى الهدنة .

وصعد البطل أحمد عبد العزيز إلى عربته وكان فى صحبته السيد صلاح سالم ..

وعند عراق المنشية فتحت النيران على عربة أحمد عبد العزيز ..

وأصيب أحمد عبد العزيز ...

ونزل صلاح سالم ليذهب بأحمد عبد العزيز خارج العربة إلى موقع مستور وهو يصيح بأعلى صوته :

« بطل ضرب .. أوقف الضرب ... أحمد عبد العزيز أصيب » .. ووقف الضرب ...

وكان أحمد عبد العزيز ينزف دمه الطاهر الزكى من جراء الرصاصة التى دخلت إلى جسده الطاهر بعرضها ، فمزقت الطحال ، وأحدثت نزيفاً داخلياً .

وبعد ٣ دقائق استشهد أحمد عبد العزيز ... وفاضت روحه إلى عنان السماء ، لتسجل للعالم العربى كله المثل الأعلى ، الذى صمم الشهيد على تسجيله منذ أول لحظة خرج فيها من القاهرة إلى المعركة .

ونقل جثمان الشهيد البطل إلى غزة ...

ودفن فى الأرض الطاهرة التى ذهب من أجلها وصمم على حمايتها

وحريتها وعروبتها ... وعندما نقل جثمان البطل من غزة إلى مقبرة الشهداء، كانت البقعة التى دفن فيها أحمد عبد العزيز قد اخضرت وأينعت ... ولفت ذلك نظر من اشتركوا فى عملية نقل جثمانه الطاهرة ، وكان منهم اللواء عبد الحليم البارودى مدير سلاح الحدود فى ذلك الوقت ...

الفدائي الأول

وكتب البطل كمال الدين حسين يقول :

« واستشهد الفدائى الأول البطل الذى كان كلما رأى واحداً من أفراد قواته مصاباً بجرح فى المعركة قال له :

- لماذا تظفرون وحدكم بهذه الأوسمة فى حين لا يصيبنى شىء منها.

وحقق أحمد عبد العزيز الأمنية التى طالما جاشت بصدره يوم قدم دمه بيده فى سبيل الوطن العربى دون أن يعنيه ما إذا كان الموت سيقطع عليه الطريق أم سيتركه يمر بسلام ...

صلاح سالم ...

يكشف أسرار مقتل أحمد عبد العزيز

كتب السيد صلاح سالم مقالاً يكشف فيه أسرار مقتل البطل أحمد عبد العزيز قائلا :

« هل يذكر الناس شهر أغسطس ١٩٤٨ ؟

لقد ذهلوا وهم يقرأون نبأ صغيراً فى سطور .

وكان النبأ قاسياً ، يحمل لهم فى كل حرف منه ، طعنة مسمومة !

ذلك النبأ هو استشهاد أحمد عبد العزيز فى فلسطين .

وكان أحمد عبد العزيز أحد الأبطال الذين تعلقت بهم الآمال ، ولهذا كان للنبأ أثر عميق فى النفوس ، قابله الجميع بوجوم !

وقيل : إن الأعداء قتلوه ، والقيادة تخفى الحقيقة !

وقيل : بل هم الذين يغارون من أحمد عبد العزيز !

وظلت الحقيقة مختفية وراء هالة من الغموض ، طيلة هذه السنوات هل يعرف الناس من كان مع أحمد عبد العزيز فى آخر لحظاته ؟

إنه الصاغ صلاح سالم ..

وقد طلبت مجلة (التحرير) من الصاغ صلاح سالم ، أن يكشف القناع عن السر الغامض ، الذى اختفى عن الناس هذه السنوات الطوال ، فكتب للتحرير المقال التالى :

« شهر أغسطس عام ١٩٤٨

إن القتال بيننا وبين أعدائنا فى فلسطين قد وقف ، تنفيذاً للهدنة .

ولكن الواقع أنه لم يكن يمر يوم حتى يقع صدام مسلح فى جزء من أجزاء الجبهة.

وكانت القوات المصرية إذ ذاك تشطر فلسطين إلى شطرين ، من جنوب القدس مباشرة إلى الساحل شمال أسدود ، وكان الصهيونيون فى جزع شديد على مصير ما يربو على ثلاثين مستعمرة صهيونية فى جنوب فلسطين عزلتها القوات المصرية تماماً .

وحاولت قوات اليهود أن تكسر الحلقة المصرية التى تعزل المستعمرات دون جدوى ، فأخذوا فى تموين المستعمرات تارة بالطائرات ، وتارة بتهريب القوافل ليلاً . وكثيراً ما كانت هذه القوافل تقع فى كمائن القوات المصرية .

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد رجالنا الصامتين الشجعان ، قد هاجم فى ليلة من الليالى ، بعدد محدود من الجنود قافلة ضخمة من السيارات ، كانت محملة بالمأكولات ، وكانت تمر بجوار الفالوجا . واستطاع هذا الصامت الشجاع أن يستولى على ما تحمله القافلة ، وظلت محتويات هذه القافلة ، وخاصة من (البقسماط) هى عماد قوة الفالوجا ، حتى قرب نهاية حصارها. هذا الصامت الشجاع هو اليوزباشى حسن التهامى .

أما القطاع الشرقى الواقع جنوب القدس ، وشمال بيت لحم ، فقد كانت تحتله قوات الشهيد أحمد عبد العزيز ، وكانت هذه القوات تسمى القوات الخفيفة تارة ، وقوات الكوماندوس تارة ثانية . وكان عماد هذه القوات من المتطوعين .

وفى هذا القطاع كانت المناوشات مستمرة طول فترة الهدنة تقريباً ،

وفى جزء منه كانت الأسلاك الشائكة المصرية واليهودية ـ متلاصقة ، ولقد رأيت فى بعض أجزائها الأسلاك مثبتة فى أوتاد مشتركة ، ولهذا كان التوتر فى هذا القطاع .

هذه مقدمة لابد منها للحديث عن حادث مقتل الشهيد (أحمد عبد العزيز) .

بل إن المقدمة لم تنته بعد ...

لقد فرغنا فى حوالى منتصف شهر أغسطس من تخطيط خطوط الهدنة ، وتحديد القطاعات على طول الجبهة ، تحت إشراف مراقبى الهدنة .

ولكن ما أن انتهينا من هذه المهمة ، حتى توالت اعتداءات اليهود على المناطق الحرام ، فاحتلوا فى منطقة القدس ، منطقة الصليب الأحمر وأنزلوا أعلام هذه الهيئة الدولية ، كما احتلوا بعض المبانى القريبة من هذه المنطقة الحرام .

ولا يفوتنى أن أسجل هنا الجهد الكبير الذى بذله القائمقام إسماعيل شيرين فى تخطيط خطوط الهدنة مع مراقبى الأمم المتحدة ، كما أسجل عنه أنه كان يمضى معظم الأيام سائراً على قدميه مع المراقبين لمسافة عشرات الأميال فى القطاع الأوسط ، حيث يتعذر مسير السيارات الخفيفة .

والذى حدث أن اعتداء اليهود أحدث دوياً دوليًا ، وأثير الموضوع فى مجلس الأمن ، وصدرت قرارات كانت طبعًا حبراً على ورق ، واحتج اليهود بأن القوات المصرية ، والمتطوعين خاصة ، قد احتلوا جبل المكبر، وأنهم لن يتركوا المنطقة التى احتلوها إلا إذا أخلى المصريون هذا الموقع الحيوى ، لكى يسطوا هم عليه دون ثمن ، وبذلك يهددون طريق المواصلات الوحيد بين القوات المصرية وجنوب القدس والقوات الأردنية فى القدس القديمة .

وأمام هذا الدوى العالمى اتصل الجنرال رايلى بالحكومات المصرية والأردنية والإسرائيلية ، ووافقوا على عقد مؤتمر برياسته يحضره مندوبون عن القوات العسكرية لهذه الحكومات ، وحدد موعد هذا المؤتمر ، يوم مقتل الشهيد عبد العزيز ، كما حدد مكان الاجتماع فى الشقة الحرام بين الخطوط الأردنية واليهودية فى القدس ، وبالتحديد فى دار كانت قنصلية بريطانيا فيما مضى .

وصلت هذه الأوامر للقيادة العامة المصرية فى الميدان ، وكانت وقتئذ فى المجدل ، وكان يتولى القيادة العامة اللواء المواوى ، وكنت أحد أركان حربه ، فطلبنى القائد العام وسلمنى أوراق هذا المؤتمر ، وأمرنى بأن أنوب عنه فيه .

وكانت التعليمات التى لديه صريحة ألا تتخلى القوات المصرية عن شبر من الأراضى التى استولت عليها بدمائها .

وفهمت من القائد العام أن الشهيد أحمد عبد العزيز سيحضر المؤتمر ، بصفته القائد المحلى للقطاع المتنازع عليه .

وبدأت العمل فوراً ، فأرسلت تعليمات القائد العام لأحمد عبد العزيز بالشفرة اللاسلكية ، وركبت فى الليلة السابقة للاجتماع سيارة جيب من المجدل ، فى طريقى إلى المؤتمر . وكان معى اليوزباشى محمد الوردانى وكان قد وصل الميدان لأول مرة ، منذ ساعات قليلة ، وأبدى رغبته فى أن يصحبنى ليأخذ فكرة عن الجبهة .

وسلكت طريقًا طويلا استغرق طول الليل ، كنت أقصد المرور على بئر سبع أولا لقضاء بعض الأمور ، فوصلت إلى بيت لحم فى الصباح ، بعد

الموعد بحوالى نصف ساعة ، فوجدت أن الشهيد أحمد عبد العزيز قد توجه إلى المؤتمر ، يصحبه الصاغ حسن فهمى عبد المجيد .

وفى القدس التقى الشهيد بالوفد والجنرال رايلى ، وعبروا جميعًا خطوط الهدنة تحت أعلام الأمم المتحدة مترجلين ، إلى حيث عقد الاجتماع. وعبر الوفد اليهودى فى نفس الوقت ، واتفق الطرفان على وقف إطلاق النيران خلال عبور الوفود .

وما أن علمت بهذا ، حتى بدأت حيرتى .

كيف أصل أنا إذن إلى مكان الاجتماع ؟

تركت بيت لحم ، وتوجهت إلى القدس القديمة ، وقصدت إلى القيادة الأردنية أسألها عن المكان الذى عبرت منه الوفود إلى مكان الاجتماع فأرسلوا معى سيارة مصفحة دلتنى على المكان .

وأصبح أمامى إشكال .

كيف أعبر مع الوردانى الشارع الفاصل بين القوات اليهودية والأردنية لأصل إلى المبنى الذى فيه الاجتماعات ؟

وإذا ضمنت ألا أصاب برصاص الأردنيين ، فكيف أضمن ألا أصاب برصاص اليهود ؟

ولم تكن المسافة التى نريد قطعها تزيد على خمسين ياردة !

وفكرت فى قطعها عدواً ، متذكراً المثل القائل « السرعة خير درع من النيران » ولكن كثرة المزاغل فى العمارات المحيطة بنا ، أقنعنى تماماً بأننا هالكون لا محالة حتى لو قذفونا بالطوب من هذه المسافات القريبة ، فضلاً عن أن عدونا قد يثير حولنا الشبهات .

وخطرت لى فكرة .

تقدمت إلى سيارة الجنرال رايلى ، وانتزعت أعلامها ، وحملنا الأعلام ، وعبرنا الطريق ببطء كريه ، رافعين أعلام الأمم المتحدة .

لم يتجاوز الزمن الذى قطعنا فيه المسافة نصف دقيقة ، ولكنها كانت فى حدود الظروف التى كنا فيها تجاوز دهراً كاملاً .

كان المبنى يعج بالصحفيين من جميع الجنسيات .

وفى غرفة الاجتماع كان الجنرال رايلى فى مقعد الرياسة ، وكان القائد عبد الله التل يرأس الوفد الأردنى ، أما الوفد الإسرائيلى ، فكان يرأسه الثعلب الماكر الكولونيل ديان ، البولندى الأصل ، والذى خاض الحرب العالمية الثانية وحارب فى الجبهة الروسية ، وفقد فيها إحدى عينيه ، فداراها بغطاء أسود من القماش .

وكان الشهيد أحمد عبد العزيز فى هذا الوقت يخطب مزمجراً ثائراً ، فانتحيت مع الصاغ حسين فهمى عبد المجيد جانباً ، وفهمت منه ما وصل إليه الموقف ، وعرفت أن الجانب المصرى قد سلك مسلكاً مخالفًا فى بعض التفصيلات لتعليمات القائد العام ، التى لم يكن على علم بها .

وهمست فى أذن الشهيد أحمد عبد العزيز بتعليمات القائد العام .

كانت المناقشة دائرة حول إيجاد منطقة محايدة قد تمس جبل المكبر، مما يؤدى إلى أن تنسحب منه قوات المتطوعين بقيادة القائد السنغالى الشجاع عبد الله الأفريقى ، الذى كان يقف من بعد يزمجر متحدياً أى أمر سيصدر إليه بترك موقعه حتى ولو كان من القيادة المصرية ، وكان وجهة نظر عبد العزيز أن هذا التخلى سيقابله تخل عن بقعة هامة فى يد اليهود إذ ذاك .

وربما كان عبد العزيز على حق ، وربما كان المواوى على حق وكان علىّ أن أنفذ تعليمات المواوى ، وكنت فعلاً أؤمن بها .

وقد وافقنى الشهيد عبد العزيز عندما علم بوجهة نظر القيادة العامة ، وطلب منى أن أوضح هذه التعليمات للمؤتمر .

وانتهى الاجتماع حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر بقرارات تقضى بسحب القوات اليهودية فى خلال أربع وعشرين ساعة من المنطقة التى احتلتها ، ووقف إطلاق النيران على طول الجبهة فوراً ، ومطالبة الحكومات بالنظر فى موضوع خلق منطقة حرام ، على أن تصل ردود الحكومات فى خلال أسبوع على ما أذكر.

وعدنا إلى بيت لحم ، ووصلنا قبيل الغروب بحوالى نصف ساعة ، وهناك قابلنا كمال حسين ، وكانوا ينادونه (بأبو كمال) ، ولم نكن قد تذوقنا طعاماً طول اليوم .

وأخذت سيارتى الجيب ، ومعى الوردانى والسائق ، وفضلت أن أقودها بنفسى ، واستأذنت فى الانصراف لأنى كنت أنوى أن أصل القيادة العامة فى المجدل فى الليلة نفسها .

كنت أفكر فى الطريقة التى نستطيع بها أن نرغم اليهود على احترام هذه القرارات ، ولم تكن هناك وسيلة إلا القوة ، ولهذا كنت أريد أن أوضح ذلك للقائد العام ، حتى إذا ما اقتنع كان عليه أن يقنع القاهرة ، وربما السراى ! التى كان أصغر من فيها يملك من قوة توجيه حملة فلسطين ، أكثر مما يملكه القائد العام نفسه ! حتى إذا ما اقتنع الجميع ، احتجنا لوقت ننقل فيه الأسلحة ، خاصة المدفعية ، لتعزيز أية عمليات فى هذا القطاع ، وكان الوقت الباقى أمامنا لا يزيد على ثمان وأربعين ساعة ، مضى منها أكثر من ثلاث ساعات فى الطريق الوعر بين القدس وبيت لحم .

وطلب منى الشهيد عبد العزيز مراراً أن أقضى الليلة معهم ، ولكنى أوضحت له وجهة نظرى ، فأصر على مرافقتى .

ولعب القدر لعبته الساخرة ، فإن رجاله خصوصًا كمال الدين حسين، رأوا عدم سفره فى تلك الليلة ، لاحتمال أن يقوم اليهود بهجوم كبير ، ولكنه صمم على مرافقتى .

والواقع أنه لم يكن هناك ما يدعوه لمرافقتى ، ولكنى كنت أحس ما فى نفسه ، فلم تكن العلاقات بينه وبين القائد العام طيبة .

وانتحيت بحسن فهمى جانبًا وأفهمته أننى لن أبلغ القائد العام إلا النتيجة التى وصلنا إليها ، دون تعرض لما قد يزيد ما بين القائدين تعقيداً .

وأدرت السيارة ، واستأذنت فى السير ، ولكن الشهيد عبد العزيز اقترح أن أنتظر هنيهة لأتناول بعض (السندوتشات) ، وما أن وصلت حتى بدأت أتحرك بسيارتى .

ولعله القدر هو الذى جعل الشهيد يرافقنى بعد أن تحركت ، ليركب بجوارى فى السيارة ، فانتقل الوردانى بجوار السائق فى المقعد الخلفى .

ولعله القدر هو الذى أنقص وقود السيارة ، مما قد يحتاج معه إلى وقت لكى يستكمل هذا الوقود .

ومضينا ... وكلما كان الظلام يتكاثف ، كلما كان عالم المجهول يقترب منا .

لقد كنا نسير فى منطقة يستولى عليها التوتر ، بسبب الثلاثين مستعمرة المحزومة بقوات مصر ، ولم تكن مسافة بسيطة ، ولكنها كانت تبلغ مائة وخمسين كيلو متراً .

وكنت أعرف كلمة سر الليل ، وكانت ليلتها (غزة) .

وقطعنا المنطقة الخطرة من الخليل إلى بيت جبرين ، وبعدها بقليل ، فى قطاع كانت تحتله قوات غير نظامية من الفلسطنيين ، بدأت المواقع توقفنا، الموقع تلو الموقع ، فما أن يعرفوا شخصياتنا ، حتى يتركونا نمر ، داعين لنا بالسلامة .

حتى اقتربنا من بلدة « عراق المنشية » وهى بلدة تبعد عن الفالوجة شرقاً كيلو مترين .

وعلى بعد ستمائة ياردة من مواقع البلدة ، سمعت صوت عيار نارى، ولمحت وميض الطلقة ، خارجاً من خنادق البلدة .

وسمعت فى الوقت نفسه أنين أحمد عبد العزيز ، الذى كان يطوقنى بذراعه ويهمس فى أذنى طوال الطريق ، بكلام لا يريد أن يسمعه مرافقانا .

وضغطت على فرامل السيارة فوقفت فى مسافة متر أو مترين ، وانحرفت نتيجة ذلك خارج الطريق المرصوف بقليل .

وكان نور السيارة مضيئاً .

وقفزنا جميعاً إلى الأرض ، ورقد الشهيد يئن ويتوجع .

وبعد لحظات بدأ خط الدفاع عن القرية يطلق نيران الأسلحة الصغيرة ، ولحسن الحظ كنا على مسافة بعيدة ، فرقدنا جميعًا على الأرض مستترين فى ثنايا خفيفة من الأرض ، وطلبت من السائق أن يرفع يده بين وقت وآخر ، وهو يرقد بجوار السيارة ، ويفتح نورها ويطفئه حتى تتبين الحامية أن السيارة ليست معادية .

وفى نفس القوت حاولت أن أتبين مدى إصابة عبد العزيز ، ولكنه كان غارقاً فى بحر من الدم .

وأمرت السائق أن يدير السيارة ، لنعود بها إلى بيت جبرين ،التى تقع خلفنا بمسافة عشرين كيلوا متراً ، برغم علمى أنه لم يكن بها طبيب .

وبدأت الحامية تطلق قنابل مضيئة من الهاون بالبراشوت .

وكان هذا تمهيداً لضرب المنطقة بالهاون ، وربما بالمدفعية .

وتردد السائق ، ولكنى أمرته بصرامة ، فقفز فى السيارة خائفًا ، وسمعت السيارة تدور ثم تتوقف الماكينة ويقفز منها السائق قائلاً إنها (خربانة) .

وطلبت من الوردانى أن يعنى بالمصاب ، وقفزت أنا إلى السيارة ، وأدرت الماكينة فدارت ، ولكنها لم تتحرك إطلاقاً .

وأحسست أن رأسى تكاد تنفجر ، فلو أن الأمر كان أمر إنقاذ حياتنا ، لسهل علينا أن نسير إلى بيت جبرين ، ولكن كيف نترك هذا القائد الشجاع ، يعانى الآلام ، وتتعرض حياته للخطر ؟ وكيف نستطيع أن نحمله هذه المسافة الطويلة ، خاصة وأنه كان قد بدأ يصاب بالإغماء من فرط ما نزف من دمائه ؟

ولم يكن هناك سوى حل واحد ، هو أن تقف هذه النيران ، لنصل بالجريح إلى حيث يمكن أن يعالج ، وتنقذ حياته ، إن كان قد قدرت له بقية من الحياة .

ولم يكن صوتنا بقادر على أن يصل إلى موقع الحامية ، فكان لابد من أن يتقدم أحدنا ويقترب من الحامية ، ويصيح بسر الليل ولم يكن هناك بالطبع سواى ، ليقوم بهذه المهمة ، فكفى الوردانى ما رآه فى يومه الأول فى الميدان .

وزحفت ما يربو على أربعمائة متر على يدى ورجلى ، وبدأت أصيح بكلمة سر الليل ، وبشخصياتنا وبأسماء قوادهم الواحد تلو الآخر .

وهنا سمعت صوتاً يأمرنى بالوقوف ورفع يدى فأذعنت له ، ثم سمعت أمراً بالتقدم نحوهم ، ففعلت فى خطى مهمومة منتظراً بين لحظة وأخرى طلقة تضع نهاية لهذا اليوم المشئوم .

وتعرف على الجنود ، واصطحبتهم إلى حيث يرقد الجريح ، وحملناه إلى السيارة ، ودفعناه حتى وصلنا البلدة ، حيث نقلناه إلى سيارة أخرى ، وذهبنا إلى الفالوجة فوصلناها بعد ربع ساعة .

وهناك كان الطبيب ينتظر ، ولكن المنية كانت قد أسرعت إلى البطل الشهيد ، قبل أن يدركه طب الطبيب .

وقرر الطبيب أن موته كان محققًا ، حتى لو أرسلت غرفة عمليات فى مكان إصابته ، لأسباب فنية أبداها .

وفهمت أن سر تعجل قوات هذه الحامية فى إطلاق النيران هو أن هذه المنطقة شهدت قبل وصولنا بدقائق معركة بين رجال الحامية وإحدى قوافل اليهود ، التى أرادت اقتحام الموقع عنوة ، للوصول إلى مستعمراتها المحصورة . وقد ردتها القوة المصرية ، وبعد دقائق لمحت القافلة سيارتنا ، دون علمهم بمرورنا ، فظنوها سيارة معادية فأطلقوا عليهم النيران .

واتصلت بالقائد العام تليفونيًا من مكتب المرحوم السيد طه ، وأخبرته بما حدث ، فأمرنى بعدم إتمام رحلتى حتى الصباح ، وبالطبع لم تغمض لنا عين طوال الليل .

وفى الصباح الباكر توجهت إلى القيادة العامة ، وكانت أعصابى تتمزق من السهر طوال ليلتين ، قطعت فيهما أكثر من ثمانمائة كيلو متر .

وقابلت القائد العام ، فقابلنى ثائراً ثورة جامحة : « لماذا حضرت ؟ ما هذا الجنون ؟ لماذا حضر هو ؟ لماذا لم تنتظر حتى الصباح ؟ »

وكانت الإجابة على كل هذه الأسئلة هى « القدر » .

استشهد أحمد عبد العزيز
ولم يأخذ نيشانا ...

ولكنه حصل على عدة كؤوس وميداليات

من الأمور الجديرة بالتسجيل فى حياة بطلنا الشهيد أنه قضى حياته كلها واستشهد ولم يأخذ نيشاناً من أولئك الذين كانوا يحكمون بلادنا فى ذلك الوقت ..

وكان أحمد عبد العزيز يعتز دائماً بذلك ... ثم يقول وهو يشير إلى المجموعات الضخمة من الميداليات والكؤوس التى حصل عليها ببطولته وتفوقه :

ـ هذا هو ما أفتخر به فقط ..

ومما يذكر أن الملك فى ذلك الوقت كان كلما رأى فى إحدى حفلات الفروسية أحمد عبد العزيز يطلب من كبير ياورانه العمل على إلحاقه بحرسه الملكى الخاص ، وسرعان ما يأتى الرد الذى كان يسمعه فؤاد من قبل كلما أبدى هذه الرغبة :

ـ إن أحمد عبد العزيز اتهم بقتل ضابط بريطانى .

ويصمت الملك ويزداد تشبثه بالمقعد الذى يجلس عليه ..

وإلى جانب ما حصل عليه أحمد عبد العزيز من كؤوس وميداليات ... حصل عليها بتفوقه وكده وامتيازه . نجد لدى أحمد عبد العزيز أروع مجموعة من الرسائل التى كان زملاؤه وتلاميذه ومواطنوه يرسلونها إليه فى الميدان وفى بيته كلما حقق نصراً للعروبة ...

ومن هذه الرسائل رسالة من زميل للبطل كان قائداً لالآى الإشارة للمنطقة الساحلية وبتاريخ ١٩٤٨/٦/١٠ يقول فيها :

« أخى أحمد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ... مهما قلت ومهما كتبت من عبارات التقدير والثناء على همتك العالية وإخلاصك وتفانيك فى الجهاد فى سبيل الله فلن أوفيك حقك ، ولن أتمكن من أن أرضى نفسى لعجزى عن وصف حقيقة شعورى نحوك . وغاية ما قد يصبرنى على تصوير شعورى هذا نحوكم ومن معكم من المجاهدين هو اعترافى بهذا التقصير .. وغاية ما يهون على نفسى هذا الأمر أن أنزع إلى الله القدير وأطلب منه لكم التوفيق والسداد وأن يمدكم بروح من عنده إنه سميع مجيب ... أنا ومن معى نتبعك بأرواحنا ونتنسم أخباركم بكل مشاعرنا وندعو لكم بكل قلوبنا ونمجد أعمالكم بكل قوتنا... كافأك الله عن عملك هذا بأحسن الجزاء وأجزل لك العطاء ومهما كوفئت من رتب ونياشين فلن توف حقك جزاء ما فعلت وضحيت ، والله الواحد القهار القوى المتين هو الذى سيوفيك حقك كاملاً غير منقوص ... رعاك الله يا أحمد وحرسك بعينيه التى لا تنام وحماك ومن معك بعينه التى لا تغفل ، وسدد خطاكم إنه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مشفوعًا بتهنئتى القلبية على انتصاراتكم وعلى تفوقكم وإحرازكم رضى الله والناس جميعاً ، فأنت أهل لكل هذا فهنيئاً لك . دمت فى حفظ الله .

المخلص الفخور بكم

(بكباشى محمود مختار)

رثاء القائد

وقد رثى الجيش فى فلسطين أحمد عبد العزيز فى بيان لقائد القوات المصرية فى فلسطين قال فيه :

ـ لقد وقفت أمام حكمة الله ـ عز وجل ـ أدعو الله أن تظل روح البطل روحًا ملهمة لكل جنودنا فى الميدان .... كان أحمد عبد العزيز فى مواجهة الموت دائماً وما بذل فى معاركه كلها أى جهد ليقى نفسه الأخطار المحيقة به وكنت أنصحه بأن يقلل من تعريض نفسه للأخطار وكان يضحك ويقول :

ـ « نحن قوة من الفدائيين » .

ثم شاءت إرادة الله العليا أن يذهب برصاصة طائشة .

وأن يبقى ذكرى الجندى الكامل ... ومثلا للإيمان الصادق .

نعي وزارة الدفاع

كما نعته وزارة الدفاع بقولها :

« كان له فضل كبير فى نجاح معركة القدس وغيرها من المعارك التى خاض غمارها وقاد فيها رجاله بشجاعة وبسالة ومقدرة فائقة فى جولته الموفقة من غزة إلى بئر سبع ثم الخليل إلى بيت لحم فمعركة القدس مجابهًا العدو بعزم صادق وبأس شديد فأضرم فى صدور المجاهدين ناراً لا تخمد وأوقد فى قلوبهم شعلة لا تهدأ وملأها بحب التضحية والفداء ... جزى الله الشهيد خيراً على ما أخلص لأمته من حب ووفى لها من عهد ... وله وللشهداء جميعاً المجد والخلود وهم أحياء عند ربهم يرزقون » .

أحمد عبد العزيز

في مذكرات أحمد عبد العزيز

بدأ أحمد عبد العزيز مذكراته فى يوم الأربعاء ٣١ مارس سنة ١٩٤٨ ولكنه لم يتمها ... كان أمله أن يراها كتابة ومرجعاً ...

وأننى أورد هنا نص ما أعده البطل الشهيد من هذه المذكرات ....

هذه صفحات من حياة فرقتنا ، فرقة المتطوعين ، ولقد كنت وأنا فى الميدان أحاول أن أدون ـ كلما سمحت الظروف ـ ما تواجهه هذه الفرقة المجيدة مما قسم لها فى ميدان القتال ... ولم أكن أعدها لتنشر ، ولهذا لم يكن هناك مفر ـ وقد تقرر أن تنشر منها صفحات ـ من أن أحذف الأسرار التى قد يفيد منها العدو وما أظننى قد حذفت كثيراً فإن السر الأكبر لفرقتنا هو الروح التى تعمل بها ، وهى ليست سراً على العدو !

« ضعوا كل شىء فى موضعه ... فى أن النظام

هو أمر الإله الأول » ... (دريدن)

الأربعاء ٣١ مارس سنة ١٩٤٨ :

إن هذا اليوم هو أسعد أيام حياتى :

لقد قابلت اليوم محمد حيدر باشا ، وأنا مؤمن أن هذا الرجل سيترك فى جيش مصر أثراً لا ينسى ... إنه رجل جبار ، وأنا أتتبع خطاه منذ زمن طويل .

وقال لى وهو يصافحنى :

« يا عبد العزيز إننى أتتبع خطاك منذ كنت عضواً فى لجنة الحكام فى مباريات الفروسية وكنت متسابقاً دائماً فيها .

وعندما نلت جائزة فاروق الأول للموضوعات العسكرية وضعت عينى عليك ، وعرفت أنه سيجىء يوم تكلف فيه بعمل هام .

إن أمامك مهمة خطيرة ... وأنا أرجو كفارس قديم أن ينجح واحد من الفرسان فى مهمة خطيرة ... لقد قررت أن أعهد إليك بقيادة القوات الخفيفة » .

وبينما نحن نتحدث دخل عزام باشا ...

واستمر الحديث ، وعلمت أن الجامعة العربية ستعهد إلى بقيادة فرقة المتطوعين التى تم تكوينها من أبطال ذوى همة وعزم ... أبطال من مصر رجال عاديين ، وضابط جيش وجنود ، طلبوا الاستيداع ليجاهدوا متطوعين من أجل فلسطين ... وأبطال من ليبيا ومن تونس ومراكش والسودان ، ومن غيرها من البلاد العربية المجاهدة ..

ولقد حدد عملى ورسمت لى مهمتى وهى تتلخص فى ...

وقال لى حيدر باشا وهو يشد على يدى بعد أن أديت له التحية العسكرية ، ليكن شعار قوتك «

« اضرب ، واضرب بكل شدة ... إذا عرفت أحوال عدوك استطعت أن تتفوق عليه » (فردريك الأكبر)

العريش في ٦ أبريل سنة ١٩٤٨ :

أعددت كل شىء وغداً أتسلل عند منتصف الليل عبر الحدود مع الملازم أول (ص) ، وهو مثلى من الذين طلبوا إحالتهم على الاستيداع لينضموا إلى صفوف فرقتنا .... فرقة المتطوعين ...

ولقد التقيت به أمس فى القاهرة وأحس كل منا أنه يعرف صاحبه منذ سنين ، وعلى أى حال فلم تكن هذه أول مرة تقابلنا فيها ...

ولقد قضينا اليوم كله فى العريش نجمع المعلومات من القادمين من الناحية الأخرى ومن الحدود ، وثمة سؤال يهمنى أن أعرفه :

« كيف يحارب اليهود ؟ » .

إن أساس الخطط الاستيراتيجية هو ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن العدو ، ولقد قلت للملازم أول (ص ...) إننى أعرف أننا حصلنا على معلومات كثيرة ولكننى أعتقد أنه لا شىء يفيدنا كرحلة نقوم بها بأنفسنا عبر الحدود .

واتفقنا على التسلل غداً عند منتصف الليل .

« ثلاثة يكتمون السر على شرط أن

يموت اثنان منهم » . (فرانكلين)

السبت ١٧ إبريل ١٩٤٨ :

عدنا فجر اليوم من رحلتنا عبر الحدود ...

إن المعلومات التى عرفناها لا تقدر بثمن ... لقد طفت بالمواقع المحيطة بغزة ، والتى أعتقد أن فرقتنا ستقوم فيها بأول اشتباكاتها مع العدو ...

ولقد تسللت قرب بعض المستعمرات ونحن بملابس البدو ، وأنا أظن أن معلوماتنا عن التسليح اليهودى يجب أن تتغير ، وعلينا أن نضع كلمة (قلعة) مكان كلمة (مستعمرة) .

وطفت بشوارع غزة واتصلت بالأفراد الذين كان يلزم أن أتصل بهم

لمساعدتى فى مهمتى ... ومن سوء الحظ أن أحدهم لم يقدر ضرورة السرية فى مهمتى ، فقد جاءنى فى اليوم التالى للقائنا السرى يقول لى :

« إن اللجنة القومية لغزة تنتظرك وأعضاؤها يتحرقون شوقاً لمقابلتك»

وذهلت وقلت له : « ومن أخبر أعضاء اللجنة أننى هنا ؟ » .

وقال لى ببساطة : « أنا ... ولكن لا تخف ! » .

وقررت أن أذهب لسبب واحد ، هو أن أرجو أعضاء اللجنة أن يحفظوا السر ودخلت اجتماع اللجنة ومعى الملازم (ص ...) .

وقلت لأعضائها :

« ليس هناك ما يمكن أن تسمعوه منى ... إن الشىء الوحيد الذى أرجو أن تسمعوه هو صوت مدافعى عندما تجىء هنا ...

وخرجت من الاجتماع وأنا أبتهل إلى الله فى سرى أن يلهم أعضاء اللجنة القومية فى غزة الصمت والكتمان .

لقد حددت وأنا فى غزة الموعد الذى يصح أن ندخل فيه ، وقلت للملازم أول (ص ..) يلزمنا منشورات لتوزيعها ... وأدى الملازم (ص...) التحية العسكرية وقال :

- « ستكون عندك فى اليوم المحدد يا افندم » .

وخرج وحده ودعوت الله مرة أخرى أن يوفقه إلى واحد أمين من أصحاب المطابع فى غزة ...

أظن أنه يجب أن أعود إلى القاهرة ... لقد اتصلت بها اليوم لأصدر

أمر إلى (فرقتنا) بأن تتحرك من مكانها المجهول (.....) إلى النقية (......) عند الحدود ، وسأعود من القاهرة لأجدها فيه ...

« إن الذى يكسب الصحة يكسب كثيراً ... والذى يكسب أكثر من يكسب روحه ، فإنه يكسب كل شيء » (حكمة أسبانية) .

الخميس ٢٢ أبريل ١٩٤٨ :

عدت مرة أخرى قرب الحدود بعد غيبة قصيرة فى القاهرة ... فتمكنت خلالها من أن أشرح الموقف طبقاً لما رأيته .

وقبل أن أسافر قال لى (م ...) باشا هل تذكر ما أوصيتك به ؟

وقلت : نعم ... سوف نضرب بكل شدة ...

التقيت اليوم بفرقتنا لأول مرة .

ومررت فى صفوف هؤلاء الأبطال وقد اصطفوا فى طابور الاستعراض ، وأخذت أتفرس فى وجوههم ، وأحاول أن أستشف خلال التقاطيع الصارمة روح الإيمان المتدفق .

ثم بدأت أتحدث إليهم ..

حدثتهم عن مهمتنا ... ولماذا نحارب ... وشرحت لهم هدفنا من القتال ... وقبل أن أتركهم طلبت منهم أن يكونوا على استعداد دائم ، فنحن قد نتحرك فى أى وقت .

إنى من المؤمنين بالمفاجأة ... وأنا أحلم بمفاجأة من نوع غير سار للعدو ، وأعتقد أن نجاحنا يتوقف على قوة هذه المفاجأة ، فهى فى رأيى الوسيلة الأولى لنجاح كل غاية أو مبدأ ... صحيح أن بعض القواد ومنهم

(فوش) لا يعتبرون المفاجأة مبدأ خاصاً من مبادئ الحرب ولكن الظروف الحديثة تجعلها بالنسبة لجسامة الارتباك والرعب الذى تحدثة فى قوات العدو ، مبدأ صحيحاً قائماً بذاته ..

لا ينبغى أن يشعر اليهود بدخولنا .

وجدت اليوم الطريق الذى يجب أن نسلكه ...سوف يكون طريقنا ... إن هذا خير طريق يحقق لنا المفاجأة ...

« إن الذين يؤمنون بالنصر ينتصرون دائماً (نابليون)

الثلاثاء أول مايو ١٩٤٨:

سنبدأ زحفنا غداً والله معنا .

تحادثت مع جنودى لآخر مرة قبل المعركة .. بعد أن أبديت لهم سرورى بما رأيته من روحهم واستعدادهم ، قلت لهم :

- « سوف نبدأ غداً » .

أصدرت اليوم أول منشور مصرى فى فلسطين ، وقد وزع على جميع المتطوعين ، وسنوزعه على أهالى فلسطين عندما ندخل لكى يعلموا مهمتنا ... وهذا هو نص المنشور .

المنشور رقم (١)

وفى هذا اليوم وزع أحمد عبد العزيز على المتطوعين أول منشوراتة.. وقد كتب :

« من القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين إلى المتطوعين :

أيها المتطوعون :

قبل أن نتحرك إلى جبهة القتال يجب أن نؤمن تماماً بالغاية النبيلة التى نحارب من أجلها .

إننا سنقاتل اليهود بفلسطين لأنهم قوم جحدوا نعمة الله عليهم وإحسان المسلمين إليهم ، الذين تركوهم بينهم ينعمون فى بلادهم ويثرون ويتكاثرون حتى إذا ما أنسوا فى أنفسهم بعض القوة غدروا بالمسلمين وشرعوا فى اغتصاب أقدس ما لديهم وهو وطنهم العربى وتراثهم الإسلامى .

لقد بدأ غدرهم بشراء قطع متناثرة من الأراضى الفلسطينية بدعوى الحياة فيها فى سلام ووئام . ولكنهم أخذوا يشيدون الحصون عليها ويحشدون قواتهم حتى إذا تكاثر عددهم واشتد ساعدهم انقلبوا على سكان البلاد ، يريدون محوهم وتدمير فلسطين وإنشاء دولة يهودية على أنقاضها تحتل مركزاً متوسطاً بين بلاد الجامعة العربية ، وتهدم الوحدة الجغرافية والتاريخية للبلاد العربية .

فنحن نحارب دفاعًا عن تراث العروبة ، ودرءاً لخطر جسيم يهدد كيان الدول العربية ومستقبلها .. نحن نحارب فى سبيل الله لأننا لا نبغى استعماراً ، بل نريد أن نمنع أشنع خيانة وأفظع نوع من أنواع الظلم الذى لم يجد التاريخ مثيلا له.

نحن نحارب عدواً غادراً خائناً خبيثاً يقتل ويمثل بالأبرياء الذين آووه وتسامحوا معه كثيراً .

نحن نحارب لحماية بلادنا وأولادنا وأحفادنا وأعراضنا وآمالنا فى المستقبل من خطر اليهود الذى لا يضاهيه أى خطر فى الشرق .

أيها المتطوعون :

إن حرباً هذه أهدافها هى الحرب المقدسة ، وهى الجهاد الصحيح الذى يفتح أمامنا أبواب الجنة ، ويضع على هاماتنا أكاليل المجد والشرف ،

فلنقاتل العدو بعزيمة المجاهدين ، ولنعلم أن أبناء وطننا ينتظرون سماع أخبار انتصاراتنا وأعمالنا المجيدة التى تحيى آمالهم فى المستقبل ... ولا تنسوا أن هذه الأراضى التى سنحارب عليها قد حارب أجدادنا عليها فى عصور مختلفة، وسجلوا لنا مجداً عظيماً خالداً فلنرد هذا المجد الأبدى ولنخش غضب الله وحكم التاريخ إذا نحن قصرنا فى أمانة هذا الجهاد العظيم .

الحدود المصرية فى أول مايو ١٩٤٨

القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين

« إن الهدف وليس الموت وحده هو الذى يصنع الشهداء» .

(نابليون)

الخميس ٣ مايو ١٩٤٨ :

قضينا يومين حافلين ...

فى الساعة التاسعة من مساء أمس اخترق طابورنا الحدود ، وعند الفجر أتممنا احتلال تل على منطار ، وفى الصباح فوجئت (خان يونس) بدخول فرقتنا إلى البلدة ، كان الناس ينظرون إلى معداتنا وهم يفركون عيونهم من الذهول وكأنما هم لا يصدقون أننا هنا ... أخيراً !!

ومضى النهار ونحن ننظم مواقعنا ، وفى الليل بدأت مدفعيتنا تدق (بيروت إسحاق) وكانت مفاجأة شاملة للعدو .. ولقد سمعت غزة لأول مرة فى هذه الحرب صوت المدفعية وكانت مدفعية (فرقتنا) ... واسترحت لأنى صدقت وعدى مع اللجنة القومية (لغزة) .

ودخلنا غزة نحمل أول الشهداء ، وكان بطلا من المتطوعين اسمه (فتحى) ...

لقد عدت منذ قليل من حفلة تأبينه وكنت قد قررت أن نحتفل رسمياً بأول شهيد من الجنود وأول شهيد من الضباط .

وها هو أول شهيد من الجنود ... وحضر بعض الأهالى احتفالنا به وخطب ناظر مدرسة غزة ورئيس البلدية ، وتكلمت أنا عن شرف المهمة التى نقاتل من أجلها ...

إنى فخور بروح فرقتنا ... لقد سمعت جندياً من المتطوعين يقول لأحد الضباط متحدثاً عن الشهيد الأول لنا (فتحى) إنه سعيد الحظ ، وهذا هو الذى أتاح له الفرصة ليكون أول الشهداء .

كان احتفالنا بشهيدنا الأول من الجنود رائعاً ... وتذكرت أننا سنحتفل أيضًا بأول شهيد من الضباط ... وأجلت النظر فى ضباطى وهم وقوف حولى، وقلت : « ليحفظهم الله جميعاً » .

وأعترف أنى شعرت بالحزن لما ساءلت نفسى : « ترى أيهم ؟ » .

وسمعت شيئاً فى ضميرى يهتف بى : « قد تكون أنت » ...

سنترك غزة الليلة ونخرج إلى العراء ... إنى أريد أن نختبر أساليب العدو فى القتال وأود لو استطعنا أن نحصل على شىء له قيمة للجيش النظامى عندما يتدخل فى ١٥ مايو .

أعتقد أننا سنستطيع ...

الجمعة ٢١ مايو ١٩٤٨ :

كان يوماً من أروع أيام (فرقتنا) .

لقد نطحنا كل مستعمرات الجنوب واشتبكنا معها فى الأيام الماضية ،

وقد فرغنا أمس فقط من معاركنا مع مستعمرتى (بيرة) و(بيت ايشل) ودخلنا (بئر سبع) نحمل جثة أول شهيد من الضباط وكان الملازم (أنور الصيحى) .

لم أستطع حضور الجنازة العسكرية ، فقد خرجنا قبل الفجر نحو الخليل لنؤمن مؤخرة الجيش الرئيسى الواقف على الساحل .

وكان طوافنا حول (الخليل) مظاهرة عسكرية رائعة .

ولقد طاف جنودى حول القبر المقدس لسيدنا إبراهيم وهم بملابس الميدان كاملى التسليح ، ولعمرى ما رأيت منظراً كهذا ، اختلطت فيه معانى القداسة الروحية مع القوة العسكرية .

واستفاد الجنود من الدوران حول قبر الخليل ... وكان لهذا أثره فى زحفنا السريع إلى (بيت لحم) ومن حسن الحظ أن المعركة مع (رامات راحيل) كانت تنتظر وصولنا .

« لا تخافوا ولا تهلعوا ... إنكم على قيد خطوات من السموات العلا » (ردزفورد)

الأربعاء ١٤ يوليو ١٩٤٨ :

مرت العاصفة بسلام :

لقد كانت الأيام التى مضت هى أعصب الأيام التى مرت بنا ....

استطاع اليهود فى فترة الهدنة التى دامت شهراً أن يضاعفوا استعدادهم وكان من أثر الاجتماعات السياسية الأخيرة فى عمان أن الجيش العربى اتخذ شمال القدس المسرح الأول لعملياته ، وترك لنا كل منطقة

الجنوب ، ولم يكن هناك مفرا من أن (نمدد) خطوطنا فى الوقت الذى قام فيه العدو بأعنف هجماته .

وكنا وحدنا نواجه العاصفة .

ومرت بنا لحظات رهيبة .

ولقد كان تفكيرى عجيبًا فى أعنف لحظات المعركة ... ولم أكن أتصور أن الإنسان يمكن وهو فى أحرج لحظات حياته أن يسمح لنفسه بالتفكير الخيالى ويسبح فى أحلام عديمة القيمة بالنسبة لموقفه ...

كنت واقفًا فى أحرج الدقائق على الطريق من بيت لحم إلى القدس .. وكان المفروض أن يكون هذا الطريق هو الهدف الرئيسى للهجوم علينا ... وكان الطريق ملغوماً بشدة .... وقلت لنفسى :

« حتى لو تمكن العدو من التغلب على حقول الألغام فإنه لن يخترق الجبهة » .

ونظرت حولى فى الخنادق والمراكز المتقدمة ، وكانت تتراءى على مرمى البصر ، وكنت ألمح خوذات الجنود داخل الخنادق ...

ويترامى إلىّ فى بعض الأحيان التى تهدأ فيها النيران همساتهم ... وضحكاتهم ... ونظرت إلى السماء وقلت :

- « باركهم يا رب » .

وتقدمت على الطريق ووقفت أمام وحدة من مدافعى متجهة إلى مواقع اليهود ، وأمسكت بيدى تليفون الميدان وهو متصل بكل المواقع ، وكنت أرفع السماعة إلى أذنى لأتصل بموقع من المواقع البعيدة التى تتحمل أعنف

هبات العاصفة ، وكان ضابط الموقع يرد عليّ ... وكانت النيران الشجاعة والكلمات الحازمة من هؤلاء الشبان ذوى العزم والرجولة تجعلنى أقول : «لايمكن أن نقهر» .

ورميت بصرى إلى الطريق والمعركة على أعنف ما تكون ، والتليفون يحمل إليّ كل ثانية أخبار الهجوم على مواقع جديدة .

وتنهدت ولمست الطبنجة المعلقة فى حزامى وقلت لنفسى :

- « ماذا لو تقدم اليهود إلى هنا ؟ » .

ودار رأسى وقلت :

- « أحارب حتى بطلقات الطبنجة ثم أبقى طلقة منها لنفسى » .

وأجلت النظر فيما حولى ...

دير ماريا الياس الأثرى الجميل أمامى على نهاية الطريق ،والجبل الذى تقع على قمته قرية (بيت جالة) والوادى تحت أقدامنا ، والزهور البرية تتضوع عطراً ، وتبدو كما لو كانت تسبح بألوانها الجميلة المتناسقة فوق موجات من أشعة الشمس السائلة ...

وتقبضت يدى على الطبنجة وقلت :

- « ومع ذلك فهذه هى أحرج لحظاتنا » .

وتذكرت الناس فى الوطن . ماذا يفعلون الآن ، وهل تراهم يعرفون.. ومضت دقيقة أخرى وهمست لنفسى شيئاً ، وسمعنى ضابط الموقع وقال :

- « أوامر يا افندم » ..

وغمغمت كمن يحدث نفسه :

ـ « كلا .. أعرف أنهم سيتذكرون هذا اليوم ..وسيتذكرون أننا كنا من الشهداء ، و سوف يقولون : كانت هذه أروع لحظات حياتهم » .

وساءلت نفسى : « هل نستشهد ؟ » .

ودار فى ذهنى شريط سريع . ماذا يحدث عندما يرفع ضابط الموقع المجاور لى تليفون الميدان ليتصل بمساعدى ويقول له :

ـ « حضرة البكباشى استشهد يا افندم » ..

ماذا يحدث لضباطى وجنودى ؟ . والناس فى الوطن ماذا يقولون ؟ وأسرتى .. كيف يقع النبأ عليها ؟

وألقيت على نفسى أغرب سؤال : « وأنا .. ماذا أقول عندما أستشهد؟» .

وضحكت وقلت لنفسى : « لن تقول شيئا ياأخى . إنك ستكون شهيداً.. قتيلا فى عالم آخر لا تستطيع فيه أن تقول شيئاً » ..

ورد على شىء فى ضميرى : « كيف ؟ ألا أعرف حتى تطورات هذه المعركة وإلى أين تنتهى ؟ أظن أنه من الضرورى أن أعرف » ..

وأجلت حولى نظرة أخرى وقلت : « ياله من مكان رائع يختتم فيه القدر مسرحية حياتى ! » .

ونظرت إلى مقعد حجرى جميل على الطريق .. كان معداً ليجلس عليه الناس فى أيام السلام عندما يدركهم التعب من المشى فى ساعات الأصيل على هذا الطريق الشاعرى بين الوادى والجبل ..

وقلت : حسناً .. يجىء الذين يزورون قبرى ويجلسون هنا فيما بعد

يستريحون بعد صعود الجبل .. وينظرون إلى تمثالى .. تمثالى ؟ أجل .. لابد أنهم سيقيمون لى تمثالاً هنا أو على الأقل لوحة يكتبون فيها اسمى ويوم استشهادى .. أجل لوحة بسيطة تكفى ولا ضرورة للتمثال .

وسوف يجيء كثيرون .. سيجيء ابنى (خالد) أيضًا ، وسيكون رجلا .. ولن يجلس على المقعد لأنه لن يتعب من الصعود إلى قبرى .. وسيقف ويحنى رأسه أمام هذا المكان ويقول فخوراً :

ـ « هنا استشهد أبى ، ودخل مع الأبطال » .

ولن يبكى ابنى ..

ورنت فى خاطرى كلمة الأبطال .. وذكرت قول نيتشة :

« إن البطل هو الذى يعرف كيف يموت فى الوقت المناسب والمكان المناسب » .

ونظرت مرة أخرى فيما حولى ..

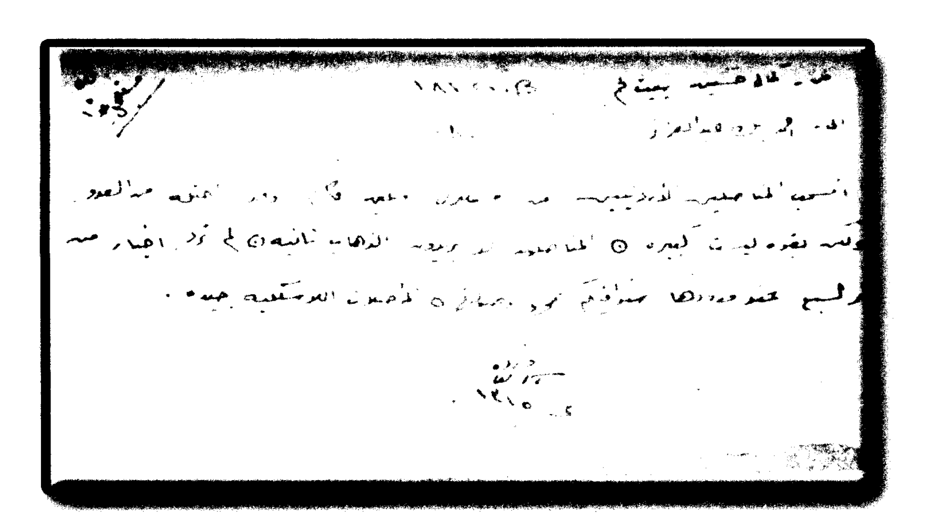
الوادى الذى يتضوع بعبير الزهور البرية ذات الألوان البهيجة .. والطريق الجبلى الجميل وأشجار الزيتون على حوافيه .. وقمة الجبل الشامخة ..

ودير ماريا الياس المقدس أمامى ..

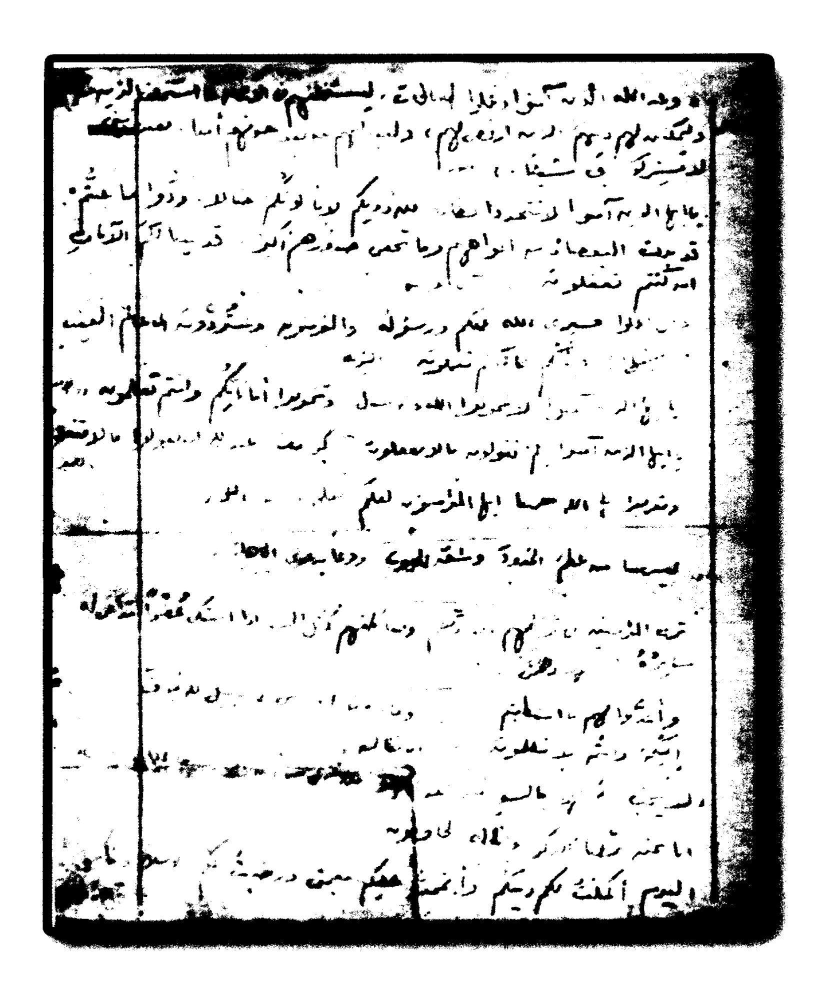
وورائى (بيت لحم) مهد المسيح ..

ووراؤها (الخليل) .. قبر إبراهيم وحوله أنبياء كثيرون وغمغمت وقلت لنفسى : « أجل هذا مكان يرضى عنه نيتشة » ..

ومرت العاصفة بسلام ...



برقية من كمال الدين حسين إلى أحمد عبد العزيز وجدتها فى أوراق البطل ...!!



من مذكرات البطل

أحمد عبد العزيز

في مذكرات عبد الله التل

تحدث القائد عبد الله التل فى مذكراته الهامة التى نشرها تحت عنوان (كارثة فى فلسطين) عن القائد أحمد عبد العزيز فى أكثر من موضع..

وقد ورد اسم بطلنا الشهيد فى الصفحات التالية من هذه المذكرات وهى :

(١٦٥، ١٦٧، ١٦٨ ، ١٧٠، ١٧٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥) .

ونورد هنا النصوص الخاصة بالمعارك التى اشترك فيها البطل أحمد عبد العزيز استكمالا لما فى الكتاب من معلومات لتكون مرجعًا لكل شىء عن البطل الشهيد ..وفى نفس الوقت هى .. تعليق على هذه المعارك من وجهة نظر عربى آخر ..

وقال القائد عبد الله التل :

وحينما دخل الجيش المصرى إلى فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٥ وتوجهت قواته الرئيسية إلى مناطق الساحل مجتازه خان يونس وغزة ، كانت مفارز خفيفة قد سلكت فى تقدمها طريق الصحراء مارة بعسلوج وبئر السبع .. ثم تقدمت شمالا إلى الخليل ومنها إلى بيت لحم وبيت سفافا وبيت جالا وذلك بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٠ وكانت تلك القوات الخفيفة مؤلفة من عدد قليل من

الجنود المصريين ونصف كتيبة من المجاهدين المتطوعين بقيادة البطل المرحوم أحمد عبد العزيز يساعده نخبة من الضباط المصريين التابعين للجيش المصرى رسميًا ، عرفت منهم : اليوزباشى كمال الدين حسين واليوزباشى عبد العزيز حماد والملازم حمدى واصف والملازم خالد فوزى والملازم محمود عبده والملازم حسين حجازى. وقد زودت تلك القوات بالأسلحة الخفيفة كالبنادق والرشاشات وبعدد قليل من المدافع القوسية من عيار ٣ بوصة (هاون) والمدافع من عيار رطلين تحملها سيارات عادية ليست مصفحة . ولم يكن مع القوة مدرعات ثقيلة أو مدافع ميدان سوى فئة واحدة من مدافع الهاوزر عيار ٧ر٣ مع عدد قليل من القنابل .

وحين وصول القائد أحمد عبد العزيز إلى جنوب القدس (بيت لحم) كشف مواقع اليهود وخطوطهم الدفاعية ، وكانت تمتد من تل بيوت الجنوبية إلى مستعمرة رامات راحيل اليهودية ، هذا من الجهة الشرقية الجنوبية للقدس، ثم تنحرف خطوط اليهود من رامات راحيل غرباً مارة بشمال معسكر العلمين وجنوب مستعمرة رامات راحيل إلى أن يمر الخط جنوب القطمون ما بين قرية المالحة والقطمون ويتصل بخطوطهم فى مستعمراتهم الغربية التى تقع شمال عين كارم وهى (بيت هاكيرم وشحونات هيبو عاليم وبيت فيجان ويفنوف) . ولذا نشر القائد قواته فى خط مقابل لخطوط اليهود متعاوناً فى ذلك مع قوات الجيش العربى البسيطة الموجودة فى تلك المنطقة والتى سيأتى ذكرها فيما بعد.

وأصبح خط الدفاع للقوات العربية جنوب القدس كما يلى :

١ـ مواقع حربية ما بين تل بيوت الجنوبية ورامات راحيل من جهة وقرية صور باهر العربية من جهة أخرى وذلك لحماية هذه القرية .

٢ـ مواقع حربية جنوب رامات راحيل تمهيداً للهجوم عليها وحماية لبيت لحم ، وكان أهم موقع للقوة فى دير ماريا الياس الذى يقع على الطريق العام ما بين القدس وبيت لحم .

٣ـ مواقع حربية شمال قرية صفافا العربية فى خط يواجه مستعمرة ميكور حاييم ويمتد هذا الخط إلى المواقع العربية فى قريتى النالحة وعين كارم .

قوات الجيش العربي
في جنوب القدس

كنا ذكرنا أن السرية الثانية عشرة قد بقيت فى منطقة الخليل لأن هذه المنطقة عربية بحسب قرار التقسيم ، فسكت كلوب باشا عن وجود هذه السرية هناك بعد ١٩٥٨/٥/١٥ . وكان عدد جنود تلك السرية ١٥٠ بقيادة الرئيس حكمت مهيار ويساعده من الضباط الملازم الأول قاسم الناصر . . وقد كان حكمت مهيار قائداً لهذه السرية بالاسم فقط ، أما قائدها الحقيقى فى مناوشات الجنوب فقد كان الرئيس قسيم محمد ، الذى اضطر إلى البقاء مع السرية بعد انتهاء معركة كفار عصيون حيث كان مرسلا لصرف رواتب الجنود ، والذى أظهر شجاعة فائقة فالتف حوله الجنود وأهملوا قائدهم الرئيس حكمت .

وبالإضافة إلى هذه السرية النظامية فقد وجد فى جنوب القدس سريتان من المناضلين الذين تطوعوا فى شرق الأردن للجهاد فى فلسطين وهما :

١ـ سرية أبى عبيدة : وعدد أفرادها حوالى مائة مقاتل سلاحهم البنادق وعدد قليل من رشاشات الهوشكس القديمة . . وكان يقود تلك السرية المجاهد عبد اللطيف أبو قورة ، ويساعده من الضباط المتطوعين المخلصين ممدوح صرايرة أحد موظفى الجيش المدنيين ومن خيرة الشباب المخلصين ، ومحمد الفايز من رجالات العشائر الشجعان . أما خبرة أفراد السرية فى القتال فقد كانت ضعيفة لعدم تمرينهم على النظام وأصول الجندية والحرب .

وقد كان وصول هذه السرية جنوب القدس قبل ١٩٤٨/٥/١٥ على أثر زيارة وجوه قرية عين كارم والمالحة لجلالة الملك واستنجادهم به . . فأمر بإرسال هذه الحفنة من المناضلين وقد استقرت فى قريتى كارم والمالحة .

٢ـ سرية أسامة : وعدد أفرادها ، كزميلتها ، وهم من متطوعى الأردن ، كانوا يحملون البنادق ورشاشات الهوشكس البالية ويقودهم المجاهد العربى (عربى جميل) يساعده المجاهدان أبو عبده فارس ومحمد الشالاتى وقد كان وصول هذه السرية إلى جنوب القدس بعد ١٩٤٨/٥/١٥ فوضعت تحت إشراف قائد السرية الثانية عشرة .

هذه هى قوات الجيش العربى التى وزعت فى الخطوط الدفاعية جنوب القدس لا تزيد فى مجموعها على ٣٥٠ ، منهم ٢٠٠ من المناضلين غير المدربين والباقى وهم جنود السرية النظامية وزعوا على الأماكن التالية : (الخليل بيت جبرين ، بيت لحم) . ولم يكن مع تلك القوات أى نوع من المدافع أو المدرعات إلا مدرعتين بقيتا مع السرية بعد الانتهاء من معركة كفار عصيون .

تعاون القوات الأردنية مع المصرية رغم أنف الإنجليز .

كان الوضع فى جنوب القدس غريباً ، كالوضع فى شمالها . . فقد وضعت القوات الأردنية فى الجنوب تحت إمرة قائد اللواء الرابع المقيم فى رام الله ، ولم تكن لى علاقة بها رسمياً ، ولكن كنت أتدخل فى أمرها لعلمى أن قائد اللواء لا يجرؤ على المجىء للقدس لمحاسبتى على مخالفة أوامره وأوامر رؤسائه الإنجليز التى كانت تقضى بعدم اشتراك قوات الجيش العربى فى أية عملية حربية تقوم بها القوات المصرية . . وفى اليوم الذى وصل فيه المرحوم أحمد عبد العزيز مع قواته إلى جنوب القدس بعثت إليه أخبره بأن قوات الجيش العربى المرابطة فى تلك المنطقة تعتبر تحت تصرفه وله حق فى إشراكها فى خططه وعملياته . . وعلى هذا الأساس تعاون الضباط والجنود المصريون والأردنيون ووزعوا القوات على المواقع الدفاعية الهامة من صور باهر إلى عين كارم ، وأصبح القائد أحمد عبد العزيز مسئولا عن جميع القوات العربية فى جنوب القدس .

أما هدف قائد اللواء وقائد الفرقة فقد كان واضحاً ، وهو أن لا يكون تحت يدى من القوة ما يقلق أفكارهما ولا يطمئنها على خطة الإنجليز العامة.. فبدلا من جعل السرية الثانية عشرة وهى إحدى سرايا الكتيبة السادسة عند بدء تشكيلها ، تابعة لقيادتى كما تقضى بذلك أبسط النظم الحربية ، فقد تخطيانى وجعلاها مربوطة بقيادة اللواء فى رام الله .

معركة رامات راحيل

كانت هذه المستعمرة تشكل نتوءاً قوياً فى خطوط الدفاع العربية بجنوب القدس . . وقد زاد فى خطورتها موقعها الحربى الهام على رابية عالية تطل على صور باهر وطريق (القدس - بيت لحم) ، كما أن منازلها الكبيرة قد بنيت من الحجر الصلد فتحولت المستعمرة إلى حصن منيع شأنها شأن جميع المستعمرات اليهودية .

وحينما فكر القائد أحمد عبد العزيز فى احتلال هذه المستعمرة وجد استعداداً كبيراً من قوات الجيش العربى للتعاون معه . . فتقرر القيام بالهجوم يوم الإثنين ١٩٤٨/٥/٢٤ على أن تشترك الوحدات التالية من الجيش العربى مع القوات المصرية .

١- ٥٠ جندياً وثلاثة ضباط من السرية الثانية عشرة مع مدرعتين .

٢- ٧٠ مناضلا من سرية أسامة .

٣- ما يمكن توفيره من سرية أبى عبيدة المرابطة فى عين كارم .

وبعث الرئيس قسيم محمد يستشيرنى فى الأمر فوافقت على الاشتراك فى العملية وتعهدت بتقديم المساعدة اللازمة فى الوقت المحدد وهى رمى الأحياء اليهودية بقنابل الهاون والهاوزر لشغلها ، وتحويل أنظارها عن الهجوم ، ومنعها من إرسال النجدات إلى المستعمرة . . وفى اليوم المحدد بدأت المدافع المصرية فى جنوب القدس بقصف المستعمرة واشتركت معها المدرعتان التابعتان للجيش العربى ، وقد مهدت المدافع لهجوم المشاه ونجحت فى تخريب أغلب البيوت المحصنة وما حولها من خنادق واستحكامات . . وقامت مدفعيتى بواجبها ، فقصفت الأحياء اليهودية فى القدس الجديدة حسب الخطة المرسومة . وحينما انتهى رمى المدفعية زحف المشاة المصريون والأردنيون يتقدمهم حاملو الألغام الذين استطاعوا الوصول إلى أغلب أهدافهم فدمروها . . وقد كانت خطه القائد أن يدمر المستعمرة تدميراً تاماً لأنه أدرك صعوبة احتلالها وتعرض المشاة للخسائر الفادحة ، وحينما توسطت الشمس السماء كان المشاة قد وصلوا إلى جميع أهدافهم إلا منزلا واحداً احتموا فيه اليهود وأخذوا يدافعون عن أنفسهم . . وفى أثناء ذلك وقع ما اعتاد العرب القيام به فى كل مرة يكون النصر حليفهم . . فما أن شعر العرب فى تلك

المنطقة بانتصار الجيش واحتلال المستعمرة حتى أخذوا يفدون إلى منطقة القتال بالمئات وهمهم كسب المغانم .. وقد نجحوا فى مهمتهم هذه ونقلوا جميع ما فى المستعمرة من أثاث وأبقار وأرزاق وياليتهم فعلوا ذلك دون نشر العدوى إلى القوات المقاتلة .. فحينما شاهد الجنود الأردنيون والمناضلون أن إخوانهم من غير المحاربين يغنمون وينقلون الأموال الكثيرة أصيبوا بحمى الطمع والحسد ، ومن هنا نشأت خطورة السماح للمدنبين بالاقتراب من ميادين القتال، وقد ثبت أنه لم يكن من السهل منعهم فى ذلك القطاع من الميدان بسبب قربهم من المستعمرة وتحمسهم لمساعدة القتال .. وفى دقائق معدودة تحول الهجوم عن الهدف الذى رسمه القائد ، وشرع الجنود الأردنيون والمناضلون يجمعون الغنائم أسوة بغير المحاربين .. وحاول القائد أن يمنع تحول المحاربين عن أهدافهم الرئسية وهى احتلال المستعمرة وتطهيرها من اليهود ، ثم تثبيت المراكز قبل أن يقوم العدو بهجوم معاكس .. ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح، لأن المحاربين بدأوا يعودون مثقلين بالغنائم وهدفهم تأمين إيصالها إلى المؤخرة ، فصار منظر الميدان مخزياً ولم يذق مرارته سوى القائد أحمد عبد العزيز وضباطه والرئيس قسيم محمد والملازم قاسم الناصر من ضباط الجيش العربى .. وبقيت الحالة على هذا المنوال إلى أن أسدل الليل ستارة فلم يبق فى المستعمرة إلا حفنة من الجنود المصريين والأردنيين ومعهم القائد أحمد عبد العزيز وضباطه والرئيس قسيم محمد . وفى تلك الأثناء و صلت الأخبار إلى رام الله فثارت ثايرة الزعيم لاش وأمر أحمد صدقى قائد اللواء الرابع أن يعيد جنود الجيش العربى إلى مواقعهم فى بيت لحم . فلبى قائد اللواء أمر سيده ووردت الأوامر للرئيس حكمت مهيار فى بيت لحم أن يسحب جنوده من المستعمرة ، وكان الرئيس حكمت ينتظر مثل

هذا الأمر فأمر جنوده بالعودة من المستعمرة تنفيذاً لأوامر القيادة .. ودارت بينه وبين ضباطه مشادة كاد الجنود يتدخلون فيها ضده ، وحينما رأى القائد أحمد عبد الغزيز أن جنود الجيش العربى قد انسحبوا ومهم جميع المناضلين أمر بسحب بقية جنوده إلى مراكزهم الأصلية على أمل أن يعودوا لاحتلال التل فى الصباح ولكن اليهود كانوا أسرع من العرب فاستغلوا الموقف وأرسلوا فى طلب النجدات فجاءتهم ليلا بعد أن كان الرعب قد دب فى قلوب سكان الأحياء اليهودية المجاورة ، حتى أن سكان تل بيوت والبقعة قد نزحوا عنهما فى تلك الليلة .. وفى الصباح وجد أحمد عبد العزيز أن الوضع قد تغير لأن اليهود قد عادوا واستحكموا فى المستعمرة ولابد لإخراجهم بهجوم منظم جديد .. ولكن الفرصة قد ضاعت ولم يعد فى استطاعة الرئيس قسيم محمد أن يقنع قائد السرية حكمت مهيار بالتعاون مع القوات المصرية من أجل القيام بهجوم كبير .. ولهذا فقد اقتصرت العمليات فى تلك المنطقة على مناوشات كبيرة بين العرب واليهود ، ولم يعد العرب لاحتلال المستعمرة مع أنهم دمروا جميع منازلهم ما عدا واحداً اعتبره اليهود نواة لمستعمرة جديدة أتموا اليوم بناءها » .

ثم يقول عبد الله التل :

« وقد فعل القائد أحمد عبد العزيز كما فعلت فزود قوات الجيش العربى بكل ما كانت تحتاج إليه ، غير عابئ بنوايا قادة الجيش العربى . من الإنجليز .. ولا عجب فى هذا فقد كان رحمه الله يعمل جندياً شريفًا يدفعه شرفه العسكرى لمساعدة إخوانه الأبرياء .. إخوانه فى السلاح الذين أرسلوا إلى الميدان ليضحوا بأنفسهم على مذبح الدسائس و الخيانة » .

ثم يتحدث عبد الله التل عن الاجتماع الأول الذى تم بينه وبين البطل أحمد عبد العزيز .. قال :

« حالما أعلنت الهدنة المشئومة ، زارنى للتهنئة فى مقر قيادتى بالروضة قائد قوات جنوب القدس أحمد عبد العزيز وبرفقته مساعده الرئيس كمال الدين حسين قائد المدفعية والملازم الأول حمدى واصف .. وكان لقاؤنا مؤثراً ، إذ لم نجتمع من قبل وإنما كنا نلتقى بروحينا ، ويعيش كلانا فى نشوة أداء الواجب وإرضاء الضمير .. وجلسنا طويلا نتبادل الآراء والمقترحات بعد أن كانت مقتصرة فيما مضى على الرسائل البرقية المختصرة .

ولقد وجدت في زميلي أحمد عبد العزيز جنديًا مؤمنًا مجاهدًا في سبيل الله والشرف والكرامة، اتصف بالصبر والشجاعة وحسن التقدير للمواقف الحربية ، وبعد أن درسنا الموقف كاملا على ضوء التجارب الماضية وإمكانيات كل منا قررنا اتخاذ موقف الدفاع فقط للأسباب التالية :

١- بالنسبة لما كان عنده من قوات خفيفة لا تكفى للقيام بأى عملية هجومية.

٢- عدم إمكان تعزيز قواته بوحدات أخرى من مشاة الجيش المصرى.

٣- موقف حكومة عمان والإنجليز فى الجيش العربى من الكتيبة السادسة بالقدس . واستحالة وضع قوات أخرى تحت قيادتى .

٤- خطة الجيش العربى العامة التى قضت بعدم احتلال القدس كلها .

٥- استحالة القيام بهجوم تشترك فيه الكتيبة السادسة وحدها مع القوات المصرية الخفيفة وحدها ، لأن عدد المحاربين فى هذه القوات يقل

كثيراً عن ربع قوات العدو وعن نصف منازل الأحياء اليهودية المطلوب احتلالها .

٦- وجود المدفعية الثقيلة التى تساند أى هجوم فى أيدى الإنجليز فى الجيش العربى .

وقد اقتصر اتفاقنا على تبادل المعونة فى الحدود الضيقة التى بها ظروف كل منا . فمثلا عندما تتعرض منطقة جنوب القدس لهجوم اليهود تهب الكتيبة السادسة لضرب الأحياء اليهودية بجميع أسلحتها لتخفف الضغط على الجنوب وتكبد اليهود خسائر جسيمة . وبالعكس عندما يقع الهجوم على البلدة القديمة تهب قوات جنوب القدس لمناوشة اليهود وضربهم بجميع أسلحتها .. ثم اتفقنا على تبادل المعونة فيما يتعلق بالذخائر الحربية التى تنفد من جهة وتكون متوفرة فى أخرى .. وقد نفذت هذه الاتفاقية غير المكتوبة فى جميع مراحل النزاع فى فلسطين دون أن يكون لقيادة الجيش العربى أى تدخل فيها أو تأثير » .

كما جاء فى مذكرات التل صفحة أخرى عن البطل الشهيد ، تبين مدى ما كان الاستعمار الإنجليزى يضعه من عقبات وعراقيل ، وكيف كان عملاء الاستعمار وأذناب الإنجليز يتصرفون فى المعركة :

« فى يوم الأحد الموافق ٢٥/ ١٩٤٨/٧ أبرقت قيادة الجيش إلى سرية أبى عبيدة المرابطة فى منطقة بيت لحم باستئجار سيارات لنعود بها إلى عمان ، وهذه صيغة البرقية :

من القيادة الـ ك الرقم ق ٣/ ٢٥٥٧/١٧ بتاريخ ٢٥ /٧/ ٢٩٤٨ (٠) « أرجو أن توعزوا إلى سرية أبى عبيدة لتستأجر سيارات وتعود رأساً إلى معسكر عمان بكامل موجودها حالا » .

وحينما كررنا البرقية إلى سرية أبى عبيدة ووصل علمها إلى القائد أحمد عبد العزيز هاله الأمر فبعث إلىّ بالبرقية التالية :

« من أحـمـد عـبـد العـزيز إلى عـبـد الله التل (٠) مكتـوب بتـاريخ ١٩٥٨/٧/٢٥ (٠) لعدم وجود من يحل محل سرية أبى عبيدة نرجو إبقاءها فى مراكزها لإشعار آخر (٠) أفد قبل الساعة السادسة صباحاً (٠) » .

عندمـا اتصلت بعبد القادر باشا الجندى وكـررت طلب قائد القوات المصرية المبنى على الضرورة الملحـة ، فأصر الباشا على سحب أمر كلوب وأرسل برقية يقول فيها إنه أمر بسحب السرية لأسباب عسكرية ؟ ولم يسعنى إلا إخبـار السرية والقـائد أحمـد عبد العزيز بما جاء فى أوامر عمـان .. وقد سحـبت السـرية فى الوقت المعين بعد أن تدبر أحـمـد عـبد العـزيز الأمـر وسد الفراغ الذى أحدثه انسحاب مائه مجاهد من الخطوط » .

ثم جـاء فى مذكـرات التل فـاصل عن اجـتمـاع المراقبين بالضبـاط العرب واليهود فى دير السريان بالقرب من بـاب العمود وحضره أحمد عبد العزيز ويقول القائد عبد الله التل :

« بعد الانتهاء من الاجتماع دعوت البطل أحمد عبد العزيز وضباطه لتناول طعام الغداء ، فاعتذر لأن الوقت كان متأخراً ، ولأنه مضطر إلى العودة لقيادته مبكراً . وكأنما كانت المنية تدفع القائد إلى الإسراع لملاقاتها فى الوقت المحـدد .. وحينمـا وصـل رحـمـه الله إلى مقر قيادته فى بيت لحم أنهى بعض الأعمـال المسـتعجلة وواصل سيره مـع زميله اليوزباشى صلاح سـالم قاصداً القيادة المصرية فى المجدل .. ولما وصل بالقرب من مواقـع الجيش المصرى فى الفـالوجـة أطلق أحـد الخفراء النار على سيـارته الجيب بعـد أن اشتبـه فى أمـرها، فأصـاب القـائد فى صدره ونـقل إلى غزة ، ثم مـا لبـث أن أسلم الروح

الطاهرة نافضاً عن كاهله حملا ثقيلا يشهد الله بأنه كان يقوم به خير قيام .. وهكذا استشهد أحمد عبد العزيز ودفن فى مقبرة الشهداء فى غزة ، وبوفاته خسر الجيش المصرى ، لابل الجيوش العربية قائداً من خيرة قوادها .. ، وكان استشهاده رحمه الله فى ليلة ٢٢/٨/١٩٤٨ .

وحينما وردتنى أنباء هذه المأساة لم أصدقها فى بادئ الأمر ، وقلت إنه يستحيل أن يذهب أحمد عبد العزيز ضحية رصاصة مصرية طائشة .. ثم تأكد النبأ وشعرت بأننى فقدت أخاً وسنداً .. فأبرقت للقوات المصرية فى جنوب القدس معزياً وجاءنى الرد برسالتين برقية وخطية .

أما البرقية فهى :

« من قائد القوات المصرية فى جنوب القدس إلى عبد الله التل ٢٤/٨/١٩٤٨ (٠) تلقينا بمزيد الشكر تعزيتكم فى فقيدنا الشهيد أحمد عبد العزيز ونحن نعاهد الله أن نستمر فى الطريق الذى رسمه حتى نصل جميعاً إلى غايتنا السامية والله ولى التويق » .

وأما الرسالة الثانية فكانت :

بسم الله الرحمن الرحيم

« بيت لحم فى ٢٤ / ٨ / ١٩٤٨ :

حضرة القائد المبجل عبد الله بك التل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد أبلغنا مندوب الصليب الأحمر الدولى مبلغ تأثركم لفقد قائدنا الشهيد أحمد عبد العزيز ، الذى اختاره الله إلى جواره وهو يؤدى واجبه .

وإنى باسم فكرى بك الموجود الآن بمأمورية، وباسم جميع الضباط والجنود نشكركم على شعوركم النبيل ونرجو من الله أن يعوضنا جميعًا عنه خيراً بأن نصل إلى هدفنا السامى المشترك فى القريب العاجل إن شاء الله .

وتفضلوا عزتكم بقبول فائق الاحترام ،

(يوزباشي)

كمال حسين

وقد برّ الضباط المصريون بوعدهم وساروا فى الطريق الذى رسمه أحمد عبد العزيز وإذا كانت مؤامرات السياسة فى قضية فلسطين قد حالت دون تحقيق أهداف الضباط والجنود الأبرياء فليس الذنب ذنبهم » .

أقوال الصحف

هذا هو البطل

بقلم: توفيق الحكيم

كتب الأستاذ توفيق الحكيم تحت عنوان « هذا هو البطل » يقول :

- رأيت « أحمد عبد العزيز » عندما جاء إلى دار أخبار اليوم فى زيارة خاطفة ليعود بعدئذ إلى حيث يواجه قدره .. رأيته وأصغيت إليه وهو يتحدث ببساطة عن الحياة والموت .. حديثاً لا نستطيع نحن الفنانين أن نعرف له غوراً أو ندرك له قراراً .. يخيل إليك عند سماع حديثه فى هذا الموضوع بأن الحاجز بين العالمين قد انهدم أمام وطنيته المتدفقة وإيمانه العارم .. فهو يتحرك بجهاده فى مناطق غريبة تجهل لغتها كلمة الموت .. وهذا هو البطل.. قلتها فى نفسى وهو إلى جانبى يتكلم بصوته الهادئ النبرات .. من يكون البطل غير الذى استطاع أن يقهر فى نفسه فكرة الموت .. ذلك الذى استطاع أن يقول للموت : « لن تنال منى .. فقد تحولت إلى « معنى » قيام فوق الزمن، يشيع فى الناس حياة .. ويبعث فى النفوس عقيدة ، قال لنا بعض إخوانه أنه كان « مثالياً » فى كل عمل من أعماله وفى كل لحظة من وجوده .. عندئذ آمنت بخلوده .. فالمثالية كاسمها لا ينقطع أثرها بانقطاع أعمالها .. بل تبقى بما تخرجه هذه الأعمال من « مثل » .. يعيش منفصلا ويسعى مستقلا يشحذ الأذهان ويلهب العزمات .. بينما الواقعية أيضاً كاسمها لا يتعدى أثرها العمل الذى وقع والزمن الذى وقعت فيه .. كان « أحمد عبد العزيز » مثالياً فكتب له أن يعيش فى كل زمان .. اختفى منه الجثمان .. ولكن « المثل » فيه حى دائماً كما كان .. يصدر الأوامر ويحفز الهمم ويشعل الحماسة ويحرك الجيوش ..

(توفيق الحيكم)

قائد الكوماندوس المصري يتكلم

لمحمد حسنين هيكل

في عدد أخبار اليوم الصادر في ٢٩ مايو ١٩٤٨ نشر محمد حسنين هيكل أول حديث له مع البطل أحمد عبد العزيز قائد الكوماندوس المصرى ... وكان ذلك فى بيت لحم وإننى أورد هنا نص هذا الحديث :

- نحن الآن على أبواب القدس .. والجيش المصرى يدك حصون مستعمرتى « رامات راحيل » و « تل بيوت » ليقتحم الطريق الجنوبى للقدس ..

لنتأخر الآن بضع خطوات إلى الوراء .. إلى القيادة الأمامية للجيش المصرى الزاحف ..

ولنصعد الطريق الجبلى الشاهق إلى بيت لحم مركز هذا الهجوم الذى تشنه القوات المصرية لتحرير القدس ..

إن أول ما يطالعك من بيت لحم لافتة كتب عليها « بلدية بيت لحم» ..

ثم تتوقف .. وتفرك عينيك لتتأكد أن ما تراه حقيقة واقعة وليس حلماً من الأحلام ..

فى الناحية الأخرى المواجهة للافتة « بلدية بيت لحم » سلم واسع مرتفع يؤدى بك إلى مهد المسيح فى بيت لحم وعلى أول درج من السلم جلس اثنان من الجنود المصريين وحولهم خمسة أو ستة من شباب « بيت لحم ».

جنود مصر يتحدثون عن المعارك التى خاضوها ..

وشبان « بيت لحم » يسمعون فى لهفة ظاهرة .. وينهض أحدهما ويقترب ..

ثم يتساءل فى دهشة :

- من مصر ؟

- أجل .

ويقول وهو يشد قامته :

- أنا من جنود الجيش المصرى ويمد يده .. وتمر سيارة جيب عليها العلم الأخضر ويقول :

- نركب إلى مقر القيادة .. نحن نغير مقر قيادتنا كل يوم ..

وتنطلق السيارة الجيب على الكورنيش الجبلى إلى شمال المدينة ثم تتوقف أمام فندق « وينستون » الصغير الجميل حيث تلتقى بالبكباشى أحمد عبد العزيز قائد الطابور المتحرك السريع الذى يسبق قوات الجيش المصرى الرئيسية .

كل ما حول الفندق الصغير الجميل من مصر .. المدافع الثقيلة المتجهمة ، والمصفحات والدبابات الرابطة تحت الأشجار .. من مصر والجنود الذين تعكس عيونهم أطياف المجد .. من مصر .. والضباط ذوو البسمات المرحة .. والقامات الممشوقة التى أشرفت على صناعة مئات الأساطير فى ميدان القتال .. من مصر .

ثم تدخل الغرفة التى يجلس فيها الرجل الذى يقود أولى الفرق المتقدمة من جيش مصر .. وتطالعك قامته الطويلة وملامحه المتناسقة وشعره الأبيض ثم تسمع صوته الملىء بالحزم والرجولة يخاطب وفداً من أهل بيت لحم فيهم رجال وسيدات من أسرة الجعبرى رئيس بلدية « بيت لحم » :

ـ إنى آسف .. هدايا أهل بيت لحم إلى جنود الجيش المصرى على عينى ورأسى .. وأنا أقدر العاطفة النبيلة التى أوحت بها إليكم ، ولكن الأوامر التى تقليتها من القيادة العليا صريحة فى الاعتذار عن قبول الهدايا بأى شكل من الأشكال .

وتقول إحدى السيدات :

ـ ولكننا نريد أن نظهر شعورنا نحو الجيش المصرى ..

ويبتسم القائد الذى لوحت شمس الصحراء وجهه ثم يقول :

ـ أعرف يا سيدتى ولكن الأوامر تحتم علينا أن ندفع ثمن كل ما يقدم لجنودنا..

ولا تيأس السيدة فتقول :

ـ إذن اقبلوا هدايانا هذه المرة لقد أعددناها وانتهينا .

وللمرة الثانية يبتسم القائد ثم يقول وعيناه تلمعان :

ـ يا سيدتى فى بيت لحم فقراء كثيرون .. أرسليها إليهم وقولى لهم إنها هدايا من جيش مصر .

أول الأبطال:

وتخرج مع القائد لتطوف بالمواقع .. أول مواقع الجيش المصرى فى فلسطين وتكون المدفعية قد بدأت تضرب مستعمرة « رامات راحيل » .

وعلى ربوة عالية تسمع لأول مرة كيف اندفع الطابور الأول من طوابير مصر فى حركة سريعة مفاجئة من بئر سبع إلى بيت لحم ....

ويقول القائد ونحن على ربوة عالية وهو يراقب دانة مدفع تطير إلى مستعمرة « رامات راحيل » ثم يرفع منظاره يراقب آثار ضرب المدفعية في حصون المستعمرة .

وفي منطقة بئر سبع بدأنا هجوماً على مستعمرة « بيت ايشل » وكان ضابط المدفعية أنور الصيحى يدك بمدفعه مواقع العدو ... وفجأة سمع رصاصًا يطلق على جنود من الوراء .. وصعد أنور بنفسه إلى مكان عال ليؤمن مؤخرة جنوده وصاده أحد قناصة الهاجانة ، وقضى ساعات في بئر سبع ثم استشهد رحمه الله .. وقررت أن تكون جنازته عسكرية . وقمنا بعمل ترتيبات الجنازة .. وعند الفجر جاءني نبأ تقدم قوات الجيش التي تزحف على الساحل إلى الخليل .. بأسرع ما يمكن ..

وكان معنى هذا أنه يتعين علينا أن نندفع إلى الخليل بأسرع ما يمكن.

ولم يكن هناك مجال للتردد ، ناديت قائد الحامية التي كنت قررت إبقاءها في « بيت لحم » وقلت :

- أنت تقوم بباقي شعائر الجنازة ..

وأخذت باقي القوات واندفعنا شمالا إلى الخليل ..

وطفت بجنودي حول قبر الخليل .. ثم واصلنا الاندفاع إلى هنا ..

ودوت قنبلة .. ورفع القائد منظاره يتابع دانات المدافع ثم حول المنظار إلى ناحية المستعمرة حيث بدا أحد جدرانها يتهاوى ثم قال :

كان بودي أن أحضر الجنازة العسكرية لهذا البطل .. ولكن خير تحية له أننا ندك الآن رامات راحيل ..

ملحمة رائعة :

وتعرف لأول مرة قصة هذا الطابور المتحرك السريع .. ملحمة رائعة تنتظر شاعراً عبقرياً ..

منذ البداية تحرك هذا الطابور نحو مستعمرة كفارديروم ، وقاومت المستعمرة وتطوع الضابط الحضرى ليدخل المستعمرة بمشقة لنسف الحصون..

وتقدموا أمام الطابور زحفاً والتفت الضابط يقول لجنوه « تقدموا » .. وأصيب برصاصة فى رأسه وكانت قوته – بعد إصابته – مهددة على الأقل بالارتباك ..

وأصدر القائد أمره أن تتقدم مدفعية الميدان لموقع ضرب نار مباشر.. وترجع الجنود تحت حمايتها .. ثم عادت المدفعية تصب نيرانها ولم تمض ساعات حتى اقتحمت المستعمرة ..

واندفع الطابور السريع شمالا وخرجت قوة يقودها اليوزباشى حسن فهمى عبد المجيد تستكشف وعادت ومعها قافلة كاملة من السيارات المدرعة واليهودية استولت عليها وواصل الطابور السريع سيره فدخل غزة ، واقتحم مستعمرة ديروط إسحاق ، واقترحت القيادة العليا أن يستريح هذا الطابور ويعود قليلا إلى الخطوط الخلفية ويقوم بحماية المواصلات .

وتوسل الطابور كله .. قائداً وضباطاً وجنوداً بقوله : لقد كنا فى الخط الأول منذ البداية ، فلماذا الآن نعود إلى الخطوط الخلفية .

ويقول القائد أحمد عبد العزيز :

ـ وقلنا لمجموعة الجيش الرئيسية : حظاً سعيداً .. واندفعنا نحو الهدف التالى بئر سبع .

واقترحت القيادة أن يستريح الطابور ... ولكنه استطاع أن يقتحم الطريق إلى بئر سبع وسط عشرات مستعمرة « بيرة » ويستولى عليها . ثم عاد جنوباً والتف بالليل حول العوجة ثم واصل اندفاعه شمالا فى المستعمرات فى طريق نسفت كل جسوره ... وعند الغروب كان الطابور المتحرك السريع يطرق أبواب بئر سبع .. وفى المساء نفسه لم تنم « بئر سبع » وظلت ساهرة تلوح بالأعلام للطابور المنتصر .

أمام رامات راحيل :

ومن « بئر سبع » اندفع الطابور فجراً إلى الخليل ... ثم بيت لحم .. وبدأ يهاجم مستعمرة « رامات راحيل » .. وفى مواجهة عواصف من النيران تقدم الطابور إلى « دير ماريا الياس » على منتصف الطريق بين بيت لحم «ورامات راحيل » وبدأ يدك المستعمرة ذات الحصون الضخمة الجبارة .

ويسألك القائد أحمد عبد العزيز :

– هل تريد أن تتقدم إلى برج المراقبة فى « دير ماريا الياس » .

– أجل ...

وتركب بجواره سيارة مصفحة تندفع فى الطريق إلى المستعمرة التى بدأت المدفعية الثقيلة تركز عليها نيرانها .

وتندلع من ناحية « رامات راحيل » نيران ودخان .

ويقول أحمد عبد العزيز :

– كانت لى فى حياتى آمال ثلاثة .

الأمل الأول : أن أكون بطل العالم فى الفروسية .. وكنت قريباً من تحقيق هذا الأمل .. ولكن الظروف لم تشأ ..

وكان أملى الثانى : أن أحقق مجداً عسكرياً فى حرب من الحروب...

ثم سكت قليلا وأشار إلى مستعمرة رامات راحيل التى تحترق ثم قال:

– أظن أن هذه الحرب مقدسة ..

واستطرد .. والأمل الثالث : أن أؤلف كتاباً عسكرياً يعيش إلى الأبد كما عاش كتاب « كلازوتيز » المشهور « عن الحرب » .

واندفعت المصفحة إلى « دير ماريا الياس » ورفع القائد منظاره وأمسك جهاز اللاسلكى يخاطب مدفعيته فى بيت لحم :

– إلى الشمال قليلا ...

وإلى « الشمال قليلا » بدأت القنابل تنهال .. ونحى القائد منظاره وهو يقول :

ـ لقد بدأت فعلا أؤلف الكتاب الذى كنت أحلم بتأليفه ..

كتبت منه عدة فصول واخترت اسمه بالفعل ..

وانهار حائط من حصون « رامات راحيل » وقال القائد :

ـ لقد أسميته .. « المفاجأة » ..

حائرة أمامهم لا هى تستطيع ضربهم لأنهم عرب .. ولا هى تستطيع السكوت على السلب والنهب .

سليمان الحكيم:

وأشار القائد إلى « هيبة » وقال :

- كنت أقول إن « هيبة » قام أيضاً بدور « سليمان الحكيم » اختلف بعض الناهبين العرب فيما بينهم على بقرة وتطور الخلاف إلى حد أن كلا منهم بدأ يطلق الرصاص على زميله .. وأنقذ « هيبة » الموقف .. فأطلق الرصاص على البقرة موضوع الخلاف ..

إن كل ما يعثر عليه جنودنا من طعام أو ملابس يرسل إلى أقرب قرية عربية ونقول لعمدة القرية :

- « وزعه على فقراء بلدتكم وقل لهم : هدية من الجيش المصرى » .

ويبدأ طابور مصفح صغير يتحرك إلى الأمام ويجرى أحد الجنود يلحق بإحدى السيارات وهو يحمل مدفع برن وأشار إليه أحمد عبد العزيز وقال:

- الناس كلهم يهربون من الموت إلا « عبد السلام » إن الموت يهرب منه ..

تطوع ست مرات بدء الحملة للتسلل فى الظلام ونسف حصون اليهود بالديناميت . ومرة وهو فى عودته خرج عليه ستة من « الهاجانة » وصادهم «عبد السلام » جميعاً .. وها هو دائماً .. فى مقدمة كل زحف وفى أول خط النار . . .

وسكت أحمد عبد العزيز ثم قال باسماً :

سألته أمس : يا عبد السلام كم من الهاجانة قتلت ؟

وقال لى عبد السلام بعد تردد .

- يجى ميه .

وهز أحمد عبد العزيز رأسه ثم قال : وأنا شخصياً أقول إنهم مائتان .

المعركة:

واقترب أحد الضباط وهز أحمد عبد العزيز رأسه ، وفجأة اجتاحت الميدان موجة من الحركة برزت المدافع من تحت الأشجار ورفعت هاماتها .. وهدرت المصفحات تطل منها مدافع الماكينة القوية .

وهمس أحمد عبد العزيز :

- سنشن الليلة هجوماً قوياً .. إنى أرجو أن أفرغ بسرعة من « رامات راحيل » و « تل بيوت » لأفتح الطريق إلى القدس ..

وخرج من باب الفندق ضابط يجرى مسرعًا إلى الميدان وكان «أبو كمال » ومرت دقائق والساحة الشمالية من بيت لحم تعج بحركات القوات ، ثم فجأة تكلم أبو كمال وبدأت المدافع تدك « رامات راحيل » والدانات المشتعلة للقنابل تتسابق إليها .

وبدأت رامات راحيل ترد ... واندفعت بعض السيارات المصفحة وأشار إليها أحمد عبد العزيز وقال :

- ليساعدهم الله .. إنهم ذاهبون إلى مهمة خطيرة ...

ومرت دقائق وهذا الجزء الشمالى من بيت لحم قد حول إلى قطعة

ـ الآن فقط أصدرت أمراً إلى الجنود أن لا يسيروا مع الأهالى فى أى مكان أنا أعلم أن معظمهم مخلصون ، ولكن فيهم من استطاع العدو أن يشتريهم وكيف أفرق بين هؤلاء وهؤلاء .. ومن هنا لم يكن أمامى إلا إصدار هذا الأمر لجنودى .

ويرفع القائد يده ملوحاً لسيارة مصفحة اندفعت فى رحلة استكشافية ثم يشير إلى ضابط يقترب ويقول ضاحكاً :

ـ وهذا هو طبيبنا : محمد حسين غراب . إنه يتحكم فينا .

ويقول الطبيب : وهل أمامى غير هذا . إنى لا أدع واحداً منهم جنوداً أو ضباطاً يأكل شيئاً لا أراه .. ويشير إلى مستعمرة « رامات راحيل » تحترق :

– من يدرى ؟ إنهم لا يتورعون عن أى شىء .

الأسود السمر:

ونتعرف على باقى الأبطال .. كل منهم له لقب يكفل له مدى الحياة خلودا ومجداً ...

الملازم أول حمدى واصف : أول من اقتحم رامات راحيل وليس الأبطال كلهم ضباطاً على أى حال ..

وينادى القائد أحد الجنود : « مرجان » .

ويقترب « مرجان » بوجهه الذى لوحته أشعة الشمس .. ويقول أحمد عبد العزيز إنه أشهر من نار على علم هنا فى فلسطين لقد تخصص فى اصطياد المصفحات اليهودية بطريقة لا يعرف سرها إلا هو ، ما أن تظهر أمامه مصفحة .. ويناديه ضابط : « مرجان » ..

وينطلق « مـرجـان » بأى شىء فى يده .. قنبلة يدوية . أو مـدفع رشاش ... أو بندقية .. وبعد قلائل تتعطل المصفحة ويعود مرجان يجر ثلاثة أو أربعة من « الهاجانة » كأنهم بط صاده من إحدى برك الصيد .

ويؤدى مرجان التحية لقائدة ثم ينصرف وعلى شفتيه ابتسامة مرحة .. ويشير القائد إلى جندى آخر ثم ينادى :

- يا هيبة ..

ويجىء « هيبة بقامته الطويلة ووجهه العابس .. ويقول أحمد عبد العزيز:

- إن هيبة يستطيع أن يفعل كل شىء يخطر على بال مخلوق . قدم للضباط فى صباح أمس « أكله فول مدمس » لا أحد يدرى كيف أعدها .. وفى الظهر كان بين المهاجمين لرامات راحيل .. وفى الليل كان مع فرقة من الفدائيين تسللت بالديناميت لتنسف أحد أوكار اليهود ...

ثم إن « لهيبة » أيضاً حكمة سليمان الحكيم ..

وخلع القائد غطاء رأسه واقترب من سور الشرفة وهو يشرف على الميدان كله وهبت نسمات من الهواء داعبت شعره الأبيض وبدا وجهه النحاسى كأنه تمثال لأحد الأبطال الإغريق .. ثم قال :

- من حق مصر أن تفخر بجنودها .. كل جنود الدنيا إذا اقتحموا بلداً عجزت أى قوة فى الأرض عن منعهم من سلبه .. وهنا أصدرنا الأمر ولا يستطيع مخلوق أن يقول إن أحدهم سلب قشة ..

ومن سوء الحظ أن كثيرين من العرب يتسللون مع قواتنا خصيصاً من أجل السلب .. وتنشب بينهم معارك على الغنائم .. وتقف قواتنا الضارية

أبو كمال:

ويشتد الضرب فوق المستعمرة وتركز المدفعية نيرانها فوقها ويمسك أحمد عبد العزيز ميكروفونه ويقول : « برافو يا أبو كمال » .

ونظرت إليه فى فضول .. ويقول أحمد عبد العزيز :

- أبو كمال هو قائد مدفعيتى اسمه كمال الدين حسين هو برتبة يوزباشى .

وتستقبل المستعمرة أمطاراً من القنابل ..

ويقول أحمد عبد العزيز :

- كان « أبو كمال » يدى اليمنى دائماً .. عمره ما تردد ..

وعمره ما أخطأ فى إصابة هدف .. كان يجب أن تروه وهو يدك مستعمرة « كفارديروم » ..

وأمسك القائد مرة أخرى بميكروفونه وهمس :

- أبو كمال .. يكفى هذا .. وهدأت المدفعية .. وقال القائد :

- نعود إلى بيت لحم ...

واستطرد :

- فى « كفارديروم » تسلخت أقدامه وهو يزحف ويهدر وراء مدافعه ورجوته أن يستريح ورفض أن يستقر دقيقة واحدة فى مكان واحد ...

ووصلت السيارة إلى فندق وينستون وسأل أحمد عبد العزيز :

- هل عاد « أبو كمال » ..

وقال أحد الضباط :

ـ لقد عاد من دقيقة .. وهو هنا فى الداخل ..

وينادى القائد وهو يدخل :

ـ أبو كمال ..

ولا تسمع رداً على ندائه ..

ويسبقك القائد إلى إحدى الحجرات ويقف أمامه ويبتسم ثم يقول :

ـ هذا هو أبو كمال وتنظر داخل الحجرة وإذا قائد المدفعية راكع على ركبتيه يصلى .

باقي الأبطال:

وتخرج إلى شرفة الفندق حيث جلس الضباط بعد المعركة .

ويقول أحمد عبد العزيز :

ـ هل عرفتم باقى ضباطى ..

هذا هو الصاغ حسن فهمى عبد المجيد .. كان يوزباشياً فقط وصاد لنا قافلة كاملة من مصفحات اليهود .. وكنا وقتها فى قوة المتطوعين .. وقررت ترقيته إلى رتبة الصاغ فى المعركة .

وتنظر إلى الضابط بعيونه الزرق وشواربه الطويلة الشقراء .. وتتأمله وتسأل: أما تقابلنا من قبل .

ويضحك ويقول : كثيراً . فى حمام السباحة بالنادى الأهلى .

ويتدخل أحمد عبد العزيز ويقول :

من الجحيم ودلفت سيارة تحمل قائد الجيش الأردنى الذى كان أول من التقى بالقوات المصرية وهو القائد حكمت المهيار .. .... ورفع منظاره المكبر نحو « رامات راحيل » الملتهبة ثم قال :

- هذا قصف لم يسبق له مثيل ..

ومرت دقائق ... والوادى يردد زئير المدفعية كأنه هزيم الرعد ... وفجأة دوى من ناحية «رامات راحيل » انفجار هائل وبدأ أحد حصونها يتداعى ..

وهتف أحمد عبد العزيز : لقد نجحوا فى مهمتهم .

وبدأت المصفحات تتقدم .. ونزل أحمد عبد العزيز يشترك بنفسه فى المعركة وهز يده ملوحاً وهو يصعد إلى المصفحة ثم قال :

- إن أمامنا الليلة عمل كثير .. ويبدو أننى لن أستطيع أن أكتب شيئًا جديداً فى كتابى : « المفاجأة » .

(محمد حسنين هيكل)

وتحققت الأمنية .. !

كما كتب الأستاذ حسنين هيكل فى الذكرى الأولى كلمة تحت عنوان « ومضى عام .. كانت أمنية أحمد عبد العزيز أن يموت فى الميدان .. وتحققت الأمنية ! » .

كان أحمد عبد العزيز شهاباً .. وكالشهاب لمع أحمد عبد العزيز فى حياة بلده ومر مروراً خاطفاً .. ثم مضى .

ولقد مضى اليوم عام منذ اختفى « الشهاب » ... ومع ذلك ما أكثر الضوء الذى تركه وراءه .

إنه ما زال حتى الآن ينير الطريق لكثيرين ..

وسوف ينير غداً ... وبعد غد ... وإلى الأبد ما بقيت فى حياة مصر مثل عليا ...

البطل يستشهد :

فى الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ سجلت الوثائق الرسمية للقيادة المصرية أول حرف فى قصة استشهاد البطل ...

رسالة بالشفرة من الفالوجة نصها :

« إلى المستشفى العام : جهزوا حجرة عمليات . أحمد عبد العزيز جرح » .

وأحدثت الرسالة ارتباكاً فى القيادة ...

كيف جرح أحمد عبد العزيز .. وما الذى أتى به إلى الفالوجة .. ومن الذى أصابه .. وما مبلغ خطورة الإصابة ؟

ولقد كان تفكيرى عجيبًا فى أعنف لحظات المعركة .. ولم أكن أتصور أن الإنسان يمكن وهو فى أحرج لحظات حياته أن يسمح لنفسه بالتفكير الخيالى ويسبح فى أحلام عديمة القيمة بالنسبة لموقفه ..

كنت واقفاً فى أحرج الدقائق على الطريق من بيت لحم إلى القدس.. وكان المفروض أن يكون هذا الطريق هو الهدف الرئيسى للهجوم علينا .. وكان الطريق ملغوماً بشدة .. وقلت لنفسى :

« حتى لو تمكن العدو من التغلب على حقول الألغام فإنه لن يخترق الجبهة ».

ونظرت حولى فى الخنادق والمراكز المتقدمة ، وكانت تتراءى على مرمى البصر ، وكنت ألمح خوذات الجنود داخل الخنادق .. ويترامى إلىّ فى بعض الأحيان التى تهدأ فيها النيران همساتهم ... وضحكاتهم ...ونظرت إلى السماء وقلت :

ـ « باركهم يارب » .

ورميت بصرى إلى الطريق والمعركة على أعنف ما تكون ، والتليفون يحمل إلىّ كل ثانية أخبار الهجوم على مواقع جديدة .

وتنهدت ولمست الطبنجة المعلقة فى حزامى وقلت لنفسى :

ـ « ماذا لو تقدم اليهود إلى هنا ؟ » .

ودار رأسى وقلت :

ـ « أحارب حتى بطلقات الطبنجة ثم أبقى طلقة منها لنفسى » .

وأجلت النظر فيما حولى ..

دير ماريا الياس الأثرى الجميل أمامى على نهاية الطريق ، والجبل الذى يقع على قمته قرية (بيت جالة) والوادى تحت أقدامنا ، والزهور البرية تتضوع عطراً ، وتبدو كما لو كانت تسبح بألوانها الجميلة المتناسقة فوق موجات من أشعة الشمس السائلة ..

وتقبضت يدى على الطبنجة وقلت :

- « ومع ذلك فهذه هى أحرج لحظاتنا » .

وتذكرت الناس فى الوطن . ماذا يفعلون الآن ، وهل تراهم يعرفون.. ومضت دقيقة أخرى وهمست لنفسى شيئًا ، وسمعنى ضابط الموقع وقال : «أوامر يا افندم » .

وغمغمت كمن يحدث نفسه :

- « كلا .. أعرف أنهم سيتذكرون هذا اليوم .. وسيتذكرون أننا كنا من الشهداء ، وسوف يقولون : كانت هذه أروع لحظات حياتهم » .

وساءلت نفسى : « هل نستشهد ؟ » .

ودار فى ذهنى شريط سريع . ماذا يحدث عندما يرفع ضابط الموقع المجاور لى تليفون الميدان ليتصل بمساعدى ويقول له :

- « حضرة البكباشى استشهد يا افندم » ..

ماذا يحدث لضباطى وجنودى ؟ . والناس فى الوطن ماذا يقولون ؟ . وأسرتى .. كيف يقع النبأ عليها ؟

وألقيت على نفسى أغرب سؤال : « وأنا .. ماذا أقول عندما أستشهد؟ » .

وضحكت وقلت لنفسى : « لن تقول شيئًا يا أخى . إنك ستكون شهيداً.. قتيلا فى عالم آخر لا تستطيع فيه أن تقول شيئاً » ..

وليس سراً الآن أنه كان على وشك أن يجن فى هذه الفترة بسبب ملابس الشتاء اللازمة لقوته .

برد الشتاء:

كان المفروض أن الجامعة - وهى التى تتولى الإنفاق على قوات المتطوعين - ستوفر له هذه الملابس ..

وتأخر وصول الملابس إلى أحمد عبد العزيز فطلب أجازة وعاد إلى القاهرة يباشر المسألة بنفسه .

وفى الجامعة العربية فى القاهرة أحيل أحمد عبد العزيز من قسم إلى آخر ومن مكتب إلى مكتب ومن إدارة إلى إدارة ...

ثم اقترب العيد وأذكر أن أحمد عبد العزيز قال لى فى هذه الفترة :

- إنى مضطر إلى السفر لأقضى العيد مع جنودى ..

قلت : ابق هنا واقض العيد مع أولادك وانتهز الفرصة واحسم مسألة ملابس الشتاء ...

وذهبت أودعه قبل أن يسافر وفجأة أمسك بيدى وقال لى :

- اسمع هناك وصية .. لا تنس أن تهتم بملابس الشتاء لجنودى واذهب إلى عزام باشا وذكره بحديثه معى ...

ودهشت .. وقلت له : لا تقل هذا الكلام .

وقال أحمد عبد العزيز : أنا أعلم أنى سأموت !

مذكرات أحمد عبد العزيز:

وبعد أيام لحقت بأحمد عبد العزيز فى بيت لحم .. وكانت « أخبار اليوم » تريد أن تحصل على مذكراته ..

ووافق أحمد عبد العزيز بعد مجهود عنيف .

وقال لى : سأكتبها على أجزاء .. وسأعطيك بعد غد جزءاً منها ..

وبقيت فى « بيت لحم » حتى يفرغ من هذا الجزء الأول .

وفى صباح اليوم المحدد دخل أحمد عبد العزيز الحجرة التى كنت أنام فيها فى مقر قيادته فى فندق ونستون .. وقال لى وهو يناولنى كراسة صغيرة .. خذ .. واقرأها الآن وقل لى رأيك فيها ..

وبدأت أقرأ المذكرات ..

ثم توقفت عند آخر يوم فيها .

وكان يوم ١٤ يوليه سنة ١٩٤٨ ، وقدم أحمد عبد العزيز لهذا بكلمة «رذرفورد» :

« لا تخافوا ولا تهلعوا .. إنكم على قيد خطوات من السموات العلى » . (رذرفورد)

الأربعاء ١٤ يوليه ١٩٤٨:

لقد كانت الأيام التى مضت هى أصعب الأيام التى مرت بنا ..

وكنا وحدنا نواجه العاصفة .

ومرت بنا لحظات رهيبة .

وفى مقر القيادة العليا فى المجدل جلس اللواء المواوى يتحدث مع هيئة أركان حربه عن الرسالة المثيرة .. وكان القلق يخيم على الغرفة ..

وبعد دقائق ... دخل ضابط الإشارة فى القيادة يبكى وكان يحمل فى يده برقية ناولها للقائد العام ... وأمسك القائد العام بالرسالة وكانت ألفاظها عادية .. ومع ذلك ما كان أقسى النبأ الذى تحمله .. كان نصها :

« إلى المسشفى العام :

لا لزوم لغرفة عمليات . استشهد أحمد عبد الغزيز »

تنفيذ بالأمر:

وتشهد السجلات الرسمية عدة وثائق سجلت فى اللحظات التى تلت هذه البرقية ..

بين هذه الوثائق برقية صادرة من المجدل فى الساعة العاشرة و٤٩ دقيقة إلى قيادة القوات الخفيفة ببيت لحم .

« من القيادة العامة :

يعين البكباشى فكرى محل البكباشى أحمد عبد الغزيز . يتواجد برياسته الجديدة بأول فرصة ممكنة باكر » .

وتصور ضباط أحمد عبد العزيز ـ وكانوا يعلمون أن كل شىء لم يكن يسير على ما يريد أحمد عبد العزيز ـ تصوروا أن الضيق دفعه إلى طلب نقله فإذا مقر القيادة فى المجدل يتسلم من ضباط أحمد عبد العزيز فى الساعة الحادية عشرة و٢٢ دقيقة الرسالة التالية :

« نرجو عدم تغييرك ولانقبله » .

وتضطر القيادة .. ولم تكن تريد أن تذيع النبأ بعد .. أن تعود فتبرق إلى ضباط أحمد عبد العزيز ما نصه :

« من القيادة العامة برقيتنا ١٠,٤٩ نفذ بالأمر » .

القائد الأردني يستفسر:

وفى غمرة الارتباك فى القيادة وصلت برقية جديدة من عبد الله التل بك القائد الأردنى فى القدس :

« من عبد الله التل - ٢٨٥

أرجو إعلامنا عن صحة استشهاد القائد أحمد عبد العزيز الذى أذيع عن استشهاده الآن فى الإذاعة اليهودية » .

وبعد قليل تلقى عبد الله التل بك البرقية التالية :

« إلى عبد الله التل يحزننا أن نؤيد نبأ استشهاد العقيد بنوع الخطأ » . ولم يكن هناك مبرر لإخفاء النبأ بعد ذلك ...

هذه هى قصة استشهاد أحمد عبد العزيز من الوثائق الرسمية .. ولكن هذه الوثائق لا تروى كل القصة .

كان يعلم:

والقصة الحقيقية لاستشهاد أحمد عبد العزيز بدأت قبل ذلك بأسبوعين .. بدأ يتصرف ويتكلم كما لو كان يعلم أنه سيموت ويريد ذلك فعلا.. كان يقضى أجازة فى القاهرة ولم تكن أجازة بالمعنى المفهوم وإنما كانت كفاحاً ..

ورد على شيء في ضميري : « كيف ؟ ألا أعرف حتى تطورات هذه المعركة وإلى أين تنتهي؟ أظن أنه من الضروري أن أعرف » ..

وأجلت حولي نظرة أخرى وقلت : « ياله من مكان رائع يختم فيه القدر مسرحية حياتي » !

ونظرت إلى مقعد حجري جميل على الطريق .. كان معداً ليجلس عليه الناس في أيام السلام عندما يدركهم التعب من المشي في ساعات الأصيل على هذا الطريق الشاعري بين الوادي والجبل ..

وقلت : حسناً . . يجيء الذين يزورون قبري ويجلسون هنا فيما بعد يستريحون بعد صعود الجبل .. وينظرون إلى تمثالي .. تمثالي ؟ أجل .. لابد أنهم سيقيمون لي تمثالا أجل .. لابد أنهم سيقمون لي تمثالا هنا . أو سيضعون على الأقل لوحة يكتبون فيها اسمي ويوم استشهادي .. أجل لوحة بسيطة تكفي ولا ضرورة للتمثال .

وسوف يجيء كثيرون .. سيجيء ابني (خالد) أيضاً ، وسيكون رجلا ... ولن يجلس على المقعد لأنه لن يتعب من الصعود إلى قبري ... وسيقف ويحني رأسه أمام هذا المكان ويقول فخوراً :

ـ « هنا استشهد أبي ، ودخل مع الأبطال » .

ولن يبكي ابني ...

ورنت في خاطري كلمة الأبطال ... وذكرت قول نيتشة : « إن البطل هو الذي يعرف كيف يموت في الوقت المناسب والمكان المناسب » .

ونظرت مرة أخرى فيما حولي ..

الوادى الذى يتضوع بعبير الزهور البرية ذات الألوان البهيجة .. والطريق الجبلى الجميل وأشجار الزيتون على حوافيه .. وقمة الجبل الشامخة .. ودير ماريا الياس المقدس أمامى ..

وورائى (بيت لحم) مهد المسيح ...

ووراؤها (الخليل) .. قبر إبراهيم وحوله أنبياء كثيرون وغمغمت وقلت لنفسى : « أجل ، هذا مكان يرضى عنه نيتشة » ..

ومرت العاصفة بسلام ...

ما رأيك؟!

وفرغت من القراءة وأنا أحس بانقباض عجيب وبادرنى أحمد عبد العزيز :

ـ ما رأيك ؟

قلت : أنت شديد التشاؤم .

وابتسم وقال : إنى أتمنى أن أموت فى الميدان !

الحياة هي الخطر:

وكنت سأغادر بيت لحم فى اليوم التالى ... ثم قام اليهود بهجوم على « صور باهر » ، واستيقظت فى اليوم التالى فلم أجد أحمد عبد العزيز وقال لى جندى الإشارة محمد شعبان :

ـ لقد حدث بالليل أن اتصلت بنا مواقع « صور باهر » تقول إن الذخيرة نفدت وكان جناب البكباشى ـ أحمد عبد العزيز ـ ساهراً .. فأبلغته الإشارة وقلت له :

ـ هل أوقظ أحداً من الضباط ؟

فقال : لا .. لو لم يكونوا متعبين لما استغرقوا فى النوم .

ثم نزل بنفسه إلى المخزن فحمل وحده عربته الجيب بالذخائر ثم انطلق بها بنفسه ـ وحده ـ إلى مواقع صور باهر ..

لا تنس أباك :

وقبل أن أغادره قلت له :

ـ لماذا تخاطر بنفسك إلى هذا الحد ... أما كانَ أحد الضباط يستطيع أن يحمل الذخيرة إلى المواقع فى صور باهر !

وقال أحمد عبد العزيز : إن الحياة هى الخطر .. ثم ألم أقل لك إننى أتمنى أن أستشهد فى الميدان ..

وسألنى أحمد عبد العزيز فجأة :

ـ لقد اشتريت لزوجتى قطعة قماش مشغولة بالقصب فهل تأخذها معك وتسلمها لها فى مصر ؟

قلت له : بالطبع ..

قال : وخذ هذين الخطابين لها أيضاً .. وإذا استطعت أن ترى خالداً ابنى فقبله وقل له : « لا تنس أباك » !

وكالشهاب ولى :

ووصلت إلى القاهرة .. وبعد ثلاثة أيام .. كانت مصر كلها تبكى على الشهاب الذى برق فى سمائها .. وكالشهب ولى مسرعاً !

(هـ)

إحسان عبد القدوس يكتب عن أحمد عبد العزيز

جنودي وضباطي هم كل شيء

أحمد عبد العزيز

كما كتب الأستاذ إحسان عبد القدوس مقالا آخر بعنوان « جنودى وضباطى هم كل شيء » قال فيه :

« قبل أن يشترك الجيش المصرى فى حملة فلسطين ، سألت أحد ضباط سلاح الفرسان الملكى : « ما رأيك فى قومندان الخيالة ؟ » .

فأجاب الضابط باختصار :

- « راجل دغرى !! » .

وكان قومندان الخيالة هو البكباشى أحمد عبد العزيز .

ودخل الجيش المصرى بعد ذلك فلسطين ، وكان أحمد عبد العزيز أول من دخلها على رأس جنوده المتطوعين ، ثم قابلته فى مكان ما بالشرق الأوسط مقابلة خاصة طويلة ، وبعد الدقيقة الأولى حكمت أنه « راجل دغرى!! »

إنه يتكلم فتخرج كلماته متقطعة متتابعة كأنها طلقات مدفع مترليوز، ثم يصمت ريثما يضع على لسانه ذخيرة جديدة من الآراء يقذفها فى خط مستقيم فتصيب الهدف !.

ويخيل إليك عندما تستمع إليه أنك جالس إلى شاب فى العشرين من عمره .. فآراؤه كلها هى آراء الجيل الجديد المتحمس المندفع المقدام ، وهو لا يحاول أن يبدو أمامك عظيما ، ولا يحاول أن يوهمك بأن هناك أسرارا عليا

يقصر عنها فهمك ، أو أن هناك ظروفًا وملابسات لا يتسع لها عقلك .. فكل مشكلة ليس لها فى نظره سوى حل واحد بسيط ، هو : (الحرب) !!

وعندما يذكر كلمة الحرب تلتمع عيناه وتنطبق شفتاه ، ويخيل إليك أنه يشد أنفاسه ليملأ خياشيمه برائحة البارود !

وكل من عمل مع أحمد عبد العزيز أحب فيه قسوته .. فهى قسوة فى الحق .. قسوة تحس أنها من أجلك لا عليك .

وعندما دخل فلسطين أذاع على أهالى المنطقة الجنوبية نداء مطبوعاً بتاريخ ١٥ مايو ،جاء فيه .

« أيها الأهالى :

إن الجهاد طويل الأمد ، وفى سبيل الحصول على النصر الأخير لا يهتم القائد بالمدن ومظاهر النصر .. بل يهتم بالطرق التى تخدع العدو وتؤدى إلى إفنائه فلا يثبط هممكم سقوط أى بلدة أو مدينة ، وثقوا فى أعمال القيادات العسكرية ، وأدوا واحبكم فى محيط أعمالكم فقط .

أيها الإخوان :

إن ندائى إليكم هو أن تقتلوا العدو وتتفننوا فى قتله بأسلحتكم ولا تفكروا إلا فى كيفية قتله ، وليشترك أبناؤكم ونساؤكم فى هذا الجهاد ، ولا تخافوا من انتقام العدو ، ولا تهنوا ولا تحزنوا أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .

إلى الأمام ، إلى القتل والإبادة » .

وفى سطور هذا النداء تستطيع أن ترى صورة أحمد عبد العزيز على حقيقتها . صورة الرجل العسكرى « الدغرى » القاسى !

وهذه الروح العسكرية فى أحمد عبد العزيز ليست مكتسبة بل وراثية، فوالده الأميرالاى محمد بك عبد العزيز . وقد اشترك فى حملة السودان وعاد وعلى صدره سبعة أوسمة . وشقيقه عمر عبد العزيز كان من ضحايا ثورة عام ١٩١٩ ، وقد أصابته رصاصة إنجليزية فى ضلعه الأيسر مات بعدها بأيام وشقيقه الثانى صلاح عبد العزيز ضابط فى الجيش يتبع خطى والده وأخيه .. وهو نفسه ـ أحمد عبد العزيز ـ فدائى منذ أحس أن له روحاً يستطيع أن يقدمها فداء لوطنه ، ولذلك اشترك فى ثورة ١٩١٩ واتهم فى إحدى القضايا الوطنية ، فلما أخطأه الاستشهاد فى الثورة وضع روحه بين كفيه وراح يبحث عن مكان يستشهد فيه !

وقد حدثنى أحمد عبد العزيز عن ـ الموت ـ وهو لا يسميه إلا استشهاد ـ فخيل إلىّ وأنا أستمع إليه أنى أريد الموت . وأنى أحب الموت ! بل أحسست أنى سأقفز من مكانى لأختطف أقرب سلاح وأهجم به على أقرب مستعمرة يهودية وأحسست أنى بهذا السلاح أستطيع أن أفنى المستعمرة ومن فيها ، فإنك عندما لا تخاف الموت تشعر أن كل شىء من حولك يخافك حتى الموت !!

وقال أحمد عبد العزيز :

« كان أحد جنودى قد استشهد فى الميدان ، وحمله زملاؤه إلى الخطوط الخلفية وغطوا وجهه ببطانيته ، فجئت وكشفت عن وجهه الغطاء ، فإذا بى أبهت .. كان وجهه جميلا .. جميلا .. يشع منه نور تكاد ترى الله فى خيوطه ، وكانت عيناه مفتوحتين .. لا كما رأيت عيون الموتى المفتحة ، بل كانتا وكأنهما تنظران إلينا من علو نظرات سمحة هادئة . كان صاحبها قد اعتلى عرش الجنة .. وصدقونى إنه كان يبتسم لنا فابتسمنا من حوله ، ثم دفناه فى الميدان بثيابه العسكرية بلا كفن ولا تغسيل .. فإن الشهيد أطهر من أن يمسه التراب بسوء » .

هكذا وصف لنا أحمد عبد العزيز الموت .. فصحنا من حوله : « يا بخته » ، وصاح بعضنا : « اللهم أوعدنا » ، ونظرت إلى القائد فإذا به يتمتم بالشهادتين .. وتلاوة الشهادتين لازمة من لوازم أحمد عبد العزيز ، فهو يتلوهما فى كل خطوة يخطوها وكأنه يعد نفسه دائماً لا ستقبال الموت .

وكانت مهمة أحمد عبد العزيز فى العمليات الحربية هى أن يكون هو وجنوده دائماً فى المقدمة .. وقد كان الوصول إلى المقدمة هو أمنية أحمد عبد العزيز منذ نشأ ، فقد كان أول دفعته فى الكلية الحربية ، وكان أول فارس مصرى اشترك فى مباراة عامة لقفز السدود .. وكان ذلك عام ١٩٣٣ ، وكانت هذه المباريات قاصرة على فرسان الجيش الإنجليزى وحدهم ، وقد فاز بالجائزة الأولى .. ثم بالجائزة الأولى فى كل مباراة اشترك فيها على ظهر حصانه « فهد » ، وهو حصان لا يزال سلاح الفرسان يحتفظ به إلى اليوم رغم كبر السن الذى أعجزه عن عدم الاشتراك فى أية مباراة .

وأخيراً فاز أحمد عبد العزيز بالجائزة الأولى فى مباراة فاروق الأولى للموضوعات العسكرية ، وكان موضوعها « مصر والسودان » ، وقد كتب فى مقدمة الرسالة التى تقدم بها إلى المباراة :

« ما أطول تاريخ مصر وما أوفر محصوله وأغزرعظاته وإرشاداته ولكن ما أكثر الأيدى العابثة التى شوهت صفحاته ، والنفوس المغرضة التى حرفت معانيه وطمست حقائقه حتى اختفت عنا أصول المعرفة ، والتبس على الكثيرين طريق الحق والرشاد ، وعجزقادة مصر أنفسهم عن رسم الخطوط المستقيمة الصحيحة اللازمة لتوجيه تاريخنا الوطنى » .

هذا هو أحمد عبد العزيز قائد الكوماندوس المصريين ، وقد قال لى فى آخر مرة قابلته فيها :

ـ أرجوك لا تكتب عنى شيئاً ، فإنى لا شىء ، وجنودى وضباطى هم كل شىء ، فاكتب عنهم إن أردت أن تكتب فهؤلاء هم أبطالكم الحقيقيون .

قلت :

ـ إنى عندما أقول أحمد عبد العزيز فإنما أعنى جنوده وضباطه وعندما أمجد أعماله فأنا أمجد أعمال جنوده وضباطه ، فالقائد هو رمز لجيشه لارمز لشخصه ، وعندما كان الإنجليز يهتفون لمونتجمرى إنما كانوا يهتفون للجيوش البريطانية ، وعندما كانت أمريكا تمجد الجيش الأمريكى ، فكل كلمة تكتب عن أحمد عبد العزيز إنما تكتب عن كل رجل عمل تحت قيادة أحمد عبد العزيز .

وأجاب فى هدوء ورجاء :

ـ أفضل أن تكتب عن رجالى فيفهم من ذلك أنك تعنينى ! .. ولكل رجل من رجال أحمد عبد العزيز صفحات هى أوسمة التاريخ على صدر مصر .

وكانت هذه هى آخر مره قابلت فيها أحمد عبد العزيز .. واكتفيت بعد ذلك بتتبع أخبار انتصاراته إلى أن فجعت بخير استشهاده ، استشهد بنفس الطريقة التى استشهد بها أخوه عمر عبد العزيز فى عام ١٩١٩ ، فأصابته ـ كما أصابت أخاه ـ رصاصة .. رصاصة خاطئة !!

واستشهاد أحمد عبد العزيز فجيعة لمصر ، ولكن الاستشهاد فى نظره كان أملا والشهداء ـ كما يقول ـ يعتلون عرش الجنة .. وقد رفع الله أحمد عبد العزيز ليضعه على عرش الجنة ..

(إحسان عبد القدوس)

أحمد عبد العزيز

قذيفة من قذائف الجيل الجديد

كما كتب الأستاذ إحسان عبد القدوس فى مجلة الإثنين فى العدد الصادر فى ٣٠ أغسطس ١٩٤٨ يقول تحت عنوان « أحمد عبد العزيز قذيفة من قذائف الجيل الجديد » :

« مرتان فى حياتى تمنيت فيهما أن أكون ضابطاً فى الجيش : مرة وأنا فى السادسة عشرة من عمرى ، ومرة فى شهر يونيو الماضى عندما قابلت أحمد عبد العزيز ..

وكانت أمنيتى فى المرة الأولى تنحصر فى مجرد التفاخر بالزى العسكرى ، وكانت أمنيتى فى المرة الثانية أن أموت شهيداً ، فقد أقنعنى أحمد عبد العزيز بالموت .. أقنعنى أن مجرد الاستسلام للحياة جبن ، وأن الروح هى سلاح المرء ، والجسد هو طلقة السلاح ، طلقة يجب أن تطلقها فى أول مناسبة وإلا انعدمت قيمة السلاح ..

وكان معنا شاب صديق تقدم إلى أحمد عبد العزيز يطلب التطوع بين جنوده ، ووعده بقبول تطوعه .. فتململ الشاب فى جلسته وكأنه يريد أن يقول شيئًا لا يجب أن يقوله ، ثم تكلم أخيراً فقال إنه برغم تقدمه للتطوع إلا أنه أحياناً يحس بالخوف من الموت ، وأنه أحياناً يفكر فى أن يفر من روحه التى تدعوه للقتال ، وأحياناً يسمع بأذن الوهم صوت طلقات الرصاص فيكاد يصرخ .. وهو ليس جباناً ولكنه لا يستطيع أن ينكر أنه يخاف الموت ..

ورد عليه أحمد عبد العزيز وكأنه كان ينتظر السؤال وأعد الجواب :

- « إنك تخاف من المجهول ، وكلنا يخاف المجهول .. ولكن الاستشهاد ليس مجهولا ، فهو انتقال إلى عالم وصفه الله فى كتابه الكريم » .

وبدأ أحمد عبد العزيز يتلو آيات من القرآن عن نصيب الشهداء فى الآخرة ، ولما انتهى منها قال إنه أحس بالخوف مرة ، وكان ذلك عندما اشترك فى ثورة ١٩١٩ ، ولكنه كان خوفًا لم يدم إلا ريثما أطلق الإنجليز عليه وعلى زملائه الرصاص .. وبعدها فقد تعلقه بالحياة لأنه آمن بأنه لن تكون له الحياة التى يريدها طالما أن هناك عدواً يريد أن يغتصب حياته ..

وأحمد عبد العزيز عندما يتكلم لا يختار ألفاظه ، ولا يتعمد التأثير عليك وبرغم ذلك فإنك تشعر أن كل كلمة من كلماته تدعوك إلى القتال ، فإذا قال لك « ازيك » خيل إليك أنه يقول لك « قف » ، وإذا قال لك « أهلا » خيل إليك أنه يقول لك « تقدم » ، وإذا قال لك « وحشتنا » خيل إليك أنه يقول لك «اضرب» ..

وقد كان لكلماته أثر كبير فى معارك فلسطين ، فقد كان يخطب فى رجاله قبل كل معركة ، وكان فى كل خطبة قاس صارم لا يعد رجاله إلا بالجزاء عند الله .. وكانت هذه الخطب تثير فى رجاله من القوة ما يعوضه عن قوة تحصينات العدو وكثرة عدده ، وكانت قواته كلها غير نظامية وكان يقابل بها قوات نظامية ، وبرغم ذلك فقد كان ينتصر لأن كل رجاله كانوا ينتظمون فى كل خطبة من خطبه ..

وقد كان يصمم على إلقاء الخطب حتى أنه اضطر أن يتنقل بين ستة مواقع فى خلال ثلاث ساعات ليلقى فى كل موقع خطبة .. وكان رجاله خليطًا من المصريين والطرابلسيين والسودانيين والسعوديين ، تختلف لهجاتهم حتى ليكاد كل فريق لا يفقه الآخر ، وبرغم ذلك فقد كانوا جميعًا

يفقهون كلمات أحمد عبد العزيز ، وكانوا جميعًا يحسون بها تدق صدورهم وتشد أعصابهم فيندفعون والإيمان هاد لهم ..

وكان أحمدعبد العزيز عندما يخاطب المتطوعين المصريين يناديهم « يا أبناء الفراعنة » .. ثم تبرق عيناه فترى فيها صورة للمجد القديم ـ وتنطبق شفتاه فى قسوة وكأنه يؤكد لك أن هذا المجد سيعود ، ويضرب بيده فى الهواء وكأنه يبدد جيوش الزمن ليكشف عن الإمبراطورية المصرية ..

وعندما يتكلم أحمد عبد العزيز عن الحرب تحس أنه يتكلم عن الشىء الوحيد الذى يؤمن به .. حدثته مرة عن السودان فأتى بخريطة جغرافية وأخذ يبنى لى النقط الاستراتيجية والمواقع الحربية التى يمكن أن تدور فى السودان ثم قدم لى نسخة من التقرير الذى وضعه عن وحدة مصر والسودان ونال به الجائزة الأولى فى مباراة فاروق الأول للمواضيع العسكرية ، وحدثته عن الجلاء عن مصر فحدثنى عن مستقبل الجيش المصرى .. وحدثته فى أكثر من موضوع هام ..

مواضيع ليس من حقى الآن ـ حتى بعد وفاته ـ أن أسجلها ، وكان حلها الوحيد فى نظره المسدس ..

وأحمد عبد العزيز محارب فنان ، إذ كان لا تنقصه الجرأة وكذلك لا ينقصه الفن . باعتراف اليهود أنفسهم .

وحدث عند أول دخول فلسطين وبينما كان يقود بنفسه إحدى دوريات الاستكشاف أن هاجمته قوة كبيرة من اليهود حتى اضطر أن ينبطح مع رجاله على الأرض ليتجنبوا الرصاص الذى يتناثر من حولهم ويصرخ فى آذانهم ، ثم لم يأمر رجاله بإطلاق النار على العدو بل إطلاقه فى كثبان

الرمال .. وأثارت الطلقات كثبان الرمال وارتفع ستارمن الأتربة بينهم وبين العدو الذى عجز عن تقدير قوة أحمد عبد العزيز وظنها قوة كبيرة ، إذ تثير طلقاتها كل هذه العاصفة الرملية .. ففر ..

وحدث فى معركة دير البلح ، أن قبض رجال أحمد عبد العزيز على جاسوس عربى كان يحمل تليفوناً لاسلكياً ، وجاءوا به إلى قائدهم ، فلم يأمر بضربه بالرصاص طبقاً لقوانين الحرب . بل أخذ يحدثه فى هدوء قائلا إنه لا يؤمن بأن هناك عربياً يخون العرب إلا تحت ضغط شديد ، وأنه يعتقد فيه - أى هذا الجاسوس - أنه لا زال فى قرارة نفسه عربياً مخلصاً ، لأن دم العرب يجرى فى عروقه ، ولذلك فهو يصفح عنه ، بل وأكثر من ذلك ، فهو يضمه إلى قواته ..

وقبل الجاسوس العربى . سواء عن إخلاص أم عن خوف - أن ينضم إلى قوات أحمد عبد العزيز ، ولم تمض دقيقة واحدة حتى صدر إليه الأمر الأول ، وهو أن يتصل بمركز قيادة اليهود ويطلب منها باسم مستعمرة دير البلح - التى تحاصرها قوات المتطوعين - مدداً كبيراً من ذخائر وسيارات وآلات ، ثم يستعلم من مركز القيادة عن موعد قيام القافلة التى ستحمل هذا المدد والطريق الذى ستسلكه ..

وفى صباح اليوم التالى كانت قوات أحمد عبد العزيز قد رابطت للقافلة التى تحمل المدد واستولت عليها وكانت مكونة من خمس عشرة سيارة مصفحة محملة بالذخائر ، وتحرسها دبابة . وقد قاومت القوات هذه الدبابة وتغلبت عليها ببندقية «بويرز» مضادة للدبابات .. وهى بندقية بطل استعمالها فى الحروب منذ عام ١٩٣٩ !

وهذا هو فن أحمد عبد العزيز .. أما جرأته فستنقضى سنوات قبل أن

تكف الأقلام عن ذكر شواهدها .. وأحمد عبد العزيز رغم قسوته على رجاله وعلى نفسه إلا أن كل واحد ممن عملوا تحت قيادته يعلم أن هذه القسوة تخفى تحتها قلبًا وإيماناً عميقًا وإخلاصًا شديداً لكل واحد منهم .. بل إنه أخلص لجواده « فهد » وقد كان أول جواد يشترك به ضابط مصرى فى مباريات قفز السدود ، فلم يتخل عنه بعد أن أعجزه الكبر - أى الجواد - عن القفز ، بل احتفظ به فى سلاح الخيالة مكتفيًا أن يمتطيه فى الحفلات الاستعراضية .. وأخلص أحمد عبد العزيز لمسدسه « الطبنجة » فظل يحمله - حتى وفاته - نفس المسدس الذى منح له عقب تخرجه فى الكلية الحربية وقد قلت له مرة .

- لم لا تحمل مسدسًا أحدث طرازاً وتحمل « تومى جن » وأنت تنتقل فى ميادين القتال وتتعرض فى كل لحظة لهجوم مفاجئ ؟ فضرب بيده على مسدسه وقال البركة فى دى .

إن مصر قد خسرت أحمد عبد العزيز . وخسرت أنا رجلا من القلائل الذين آمنت بهم .. رجلا وجدت فيه صدى لآمال مصر .. وقذيفة من قذائف الجيل الجديد .. وروحاً فدائية فى وطن يعوزه الفداء .. وكل تعزيتى أن أحمد عبد العزيز قد ترك وراءه جيشًا كل جندى فيه تطوع ليكون أحمد عبد العزيز .


المصور
١٢٣٢ - ٢٥ يونيه ١٩٤٨
١٨ شعبان ١٣٦٧
قائد الفدائيين



من أقوال الصحف


ذكرى البطل الشهيد
أحمد عبد العزيز



ومضى عام..
كانت أمنية "أحمد عبد العزيز"

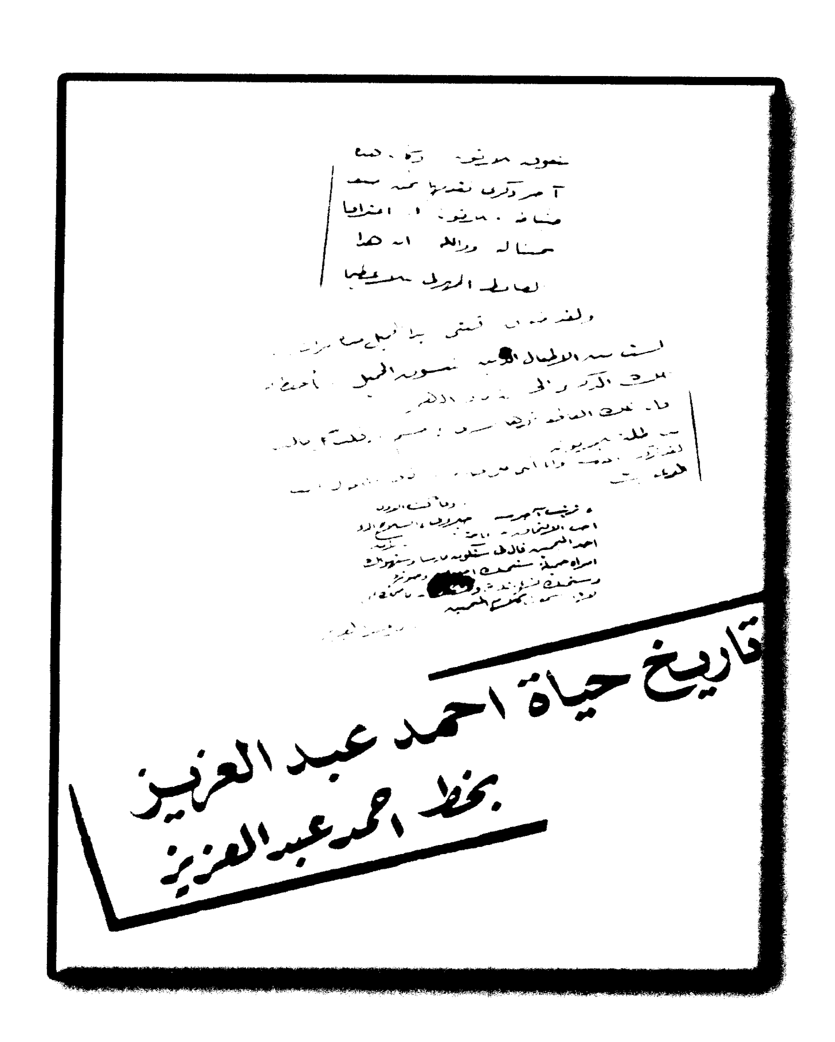


أن يموت في الميدان.. وتحققت الأمنية!






بعد مرور عام ...


تاريخ حياة احمد عبد العزيز
بخط احمد عبد العزيز

أحمد عبد العزيز ينال أمنيته !

كما كتب الأستاذ حلمى سلام فى المصور تحت عنوان أحمد عبد العزيز ينال أمنيته .. فقال :

« كن كريماً مع وطنك ، وثق إنه سيرد لك

ما بذلت ـ حياً أو ميتاً ـ أضعافاً مضاعفة » ..

ـ لكل إنسان فى هذه الدنيا مطامعه وآماله .. وليس لى يا صديقى مطمع سوى أن أموت شهيداً فى ميدان قتال !!

ـ ولماذا هذه الأمنية بالذات ؟ !

ـ لأنها الأمنية التى لا يصح لمن تشرف بحمل السيف أن يتجاوزها إلى غيرها من رخيص الأمانى ، وليس هناك هوان يصيب رجل الحرب أشد من أن يموت راقداً على سريرفى بيته !

وخيل إلىّ عندما سمعت هذه الكلمات ينطلق بها لسان أحمد عبد العزيز ، وأنا أجالسه منذ سنوات خلت أننى أحلم .. ! وفتحت عينى جيداً لأتأكد من أننى لست حالماً ، ولأرى أن الذى يتحدث إلىّ إنما هو ضابط مصرى لا يحمل من علامات الرتب العسكرية سوى تاج صغير يكاد كتفه العريض أن يبتلعه !

وعدت أتأمل وجه أحمد عبد العزيز من جديد ، وأنظر فى عينيه فى عمق !

لم يكن الرجل غريبًا علىّ ، فقد عرفته قبل هذا الحديث بسنوات ، ولكن الذى راعنى منه فى هذه المرة أنى رأيته يخرج عن صمته المألوف ،

فإذا هو كالمدفع الذى يصمت طويلا ثم ينطلق فجأة فيحدث دوياً يهز الأرض هزاً !

وتنبه أحمد عبد العزيز إلى أننى استغربت أمنيته . فانطلق يتكلم فى بساطة رائعة ، وبغير أن تحمل طريقة كلامه قوة الكلام نفسه :

ـ لا تستغرب يا صديقى .. إن أمنيتى طبيعية جداً ، وكل ما أرجوه أن أجد كثيرين يتمنونها مثلى ، فعندئذ تستطيع أن تطمئن إلى أن مصر التى أنامها المستعمرون ٦٥ عاماً قد استيقظت ولن يعاودها النوم مرة أخرى ! .. إننى أشبه مصر بشجرة جف عودها ، ولن يعود إلى هذا العود اخضراره إلا إذا رويناه بدمائنا !

ـ أعتقد أنه ليس بيننا من يضن ببذل دمه من أجل مصر إذا ما طلبت منه مصر ذلك !

ثم تغيرت سحنة أحمد عبد العزيز ؟ وتجهم وجهه ، وقال :

ـ هذا هو الكلام الذى لا يعجبنى .. لا أتردد فى بذل دمى من أجل مصر إذا ما طلبت منى ذلك ! ـ وضغط على العبارة الأخيرة ضغطاً فيه قسوة ـ لا .. يا صديقى أنا لا أرضى لنفسى أن أظل جامداً حتى تهيب بى مصر ، أن أتحرك ، .. بل يجب أن أقدم لها نفسى بنفسى .. فالرجل منا يتصف بالكرم عندما يقدم لضيفه ما يريد قبل أن يطلبه ، أما إذا انتظر على الضيف حتى يطلب هو ما يريد فأنت تعرف الصفة التى ينبغى أن يتصف بها .. فكن كريماً مع وطنك ، وثق أنه سيرد لك ما بذلت ـ حياً أو ميتاً ـ أضعافاً مضاعفة !

وطويت على هذا الحديث « مفكرتى » .. وتركت أحمد عبد العزيز وأنا أردد قوله « كن كريماً مع وطنك وثق أنه سيرد لك ما بذلت أضعافًا مضاعفة »!

ومضت على هذه الجلسة التى لن أنساها مع أحمد عبد العزيز أيام وشهور طويلة ، وكنت كلما لقيته داعبته قائلا :

ـ أما زلت ثائراً ؟

ـ لن أهدأ إلا بواحدة من اثنتين : أن أحقق أهدافى ، أو أن أموت فى سبيلها !

وخيل إلىّ مرة أن الرجل يهول فى تصوير أمانيه ، ودارت هذه الفكرة برأسى حتى دفعتنى إلى أن أسأل أحد الذين يعملون معه هذا السؤال :

ـ ما رأيك فى أحمدعبد العزيز ؟

فأجابنى قائلا :

ـ إنه رجل شجاع جداً .. وجرىء جداً .. وهذه الصفحات كلها تجعل بعض الناس يظنون أنه « ثائر » والحقيقة أنه ليس كما يظنون أبداً ، وكل ما هناك أنه رجل له مثل عليا يؤمن بها إيمانًا لا حد له ، ويعرف الطريق التى توصله إليها . ولا يعنيه إذا كان الموت سيقف له فى منتصف هذا الطريق أم سيخليه له !

ومضت الأيام فى عدوها حتى وقفت عند يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ ، فإذا بى أسمع من بعض أصدقائى الضباط أن أحمد عبد العزيز طلب إحالته إلى الاستيداع ليقود المتطوعين للدفاع عن فلسطين ..

لم أدهش عندما سمعت بهذا الخبر .. فقد كانت المقدمات كلها تدل على وصول أحمد عبد العزيز إلى هذه النتيجة .. أو لم يقل لى : « قدم نفسك لوطنك بنفسك قبل أن يطلبك » ؟

ومضى أحمد عبد العزيز إلى فلسطين . فإذا به يخلع قلوب اليهود خلعًا ، وإذا بالرجل الذى كان فى السفح يصبح على حين غرة فى القمة .. ولم تكن هذه القمة بكثيرة عليه ، فقد صعد إليها ساعياً على قدميه ، ولم يعبأ بالموت الذى كان يتربص به فى كل خطوة وهو فى طريقه إليها !

قابلته مرة ـ وكان عائداً من الميدان لتوه ـ فكان أشعث الشعر مغبر الوجه ، فقلت له :

ـ مالك مغبر الوجه هكذا ؟ !

فضحك وقال :

ـ إننى مغبر الوجه فعلا، ولكننى أشم لهذا الغبار عطراً لا يضارعه إلا عطر التراب الذى ترتاح عليه رؤوس شهدائنا !

يالله من هذا الرجل الذى لا يتحدث إلا عن الموت ، ولا يمل الحديث عنه كأنه أمنية من الأمانى !

وغاب أحمد عبد العزيز عنا غيبة طويلة،كانت أعماله المجيدة تصله بنا خلالها وتدنيه من قلوبنا ، وتجعل اسمه لا يغيب على لسان إلا لينتقل إلى لسان..

وعلى حين غرة منا . وبينما اسم أحمد عبد العزيز أنشودة فى فم الدنيا ، قال النعاة :

« يستشهد أحمد عبد العزيز » . .

لقـد تحـقـقت أمنيـة الضـابط البطل .. ومـات على الصـورة التى لا تنبغى ـ كما قال ـ لمن حمل السيف فى جنبه أن يموت بغيرها .. !

ففى سبيل الله هذا البطل الذى حـرص على الموت فوهبت له الحيـاة سلام عليه يوم جاهد ويوم مات ، ويوم يبعث حياً

(حلمي سلام)

الأديب عبد المنعم الصاوى
استشهد أسد الميدان

وكتب الأستاذ عبد المنعم الصاوى فى ٢٤ أغسطس ١٩٤٨ مقالا تحت عنوان « استشهد أسد الميدان » يقول فيه :

أحمد عبد العزيز .. البطل الأسد ، الذى حطم ببسالته القيود واقتحم بقلب لا يلين الحديد والنار ، فتحطم الحديد ، وانطفأت النار .

هل مضى أحمد عبد العزيز إلى العالم الآخر ، صرعته حقيقة رصاصة طائشة ، فجعلته اليوم خبراً يرويه الرواة ، وسطوراً من نور ، فى صفحات التاريخ ؟

إنه لعزيز علىّ أن أصدق هذا وقد كان آخر ما يخطر بالذهن ، وأن يموت هذا الوحش الكاسر ، الذى خط على كل حبة من حبات الرمال قصة ، وسجل على كل قطعة من الحصى تاريخًا ، وترك فى كل شبر من أرض السلام أثراً لاتمحوه الأيام .

لقد عاشرت هذا البطل وهو يخوض معركة فلسطين ، وكان أول لقاء بينى وبينه فى مقر قيادته .. جلست أنتظره فى فناء القيادة ، وكانت الشمس قد غربت ، وخلفت على منطقة بيت لحم بقاياها ، قطعًا حمراء منثورة بين السحاب .

ودخل رجل أبيض الوجه ، لامع النظرات ، جميل الطلعة ، ثابت الخطوات ، متئد الحركة ، معتد بنفسه إلى أقصى حدود الاعتداد .

وعرفت من أول وهلة أنه أحمد عبد العزيز ، فتقدمت إليه وصافحته، وإذا هو عبد العزيز بعينه .

إن الرجل الفذ النادر لا يمكن أن تخطئه بين آلاف الرجال .

وكانت كفه ، وهى تصافحنى ، تحمل إلى آلاف الذكريات ..

وكانت بسمته الرطبة العذبة ، توقفك على قوة نفسية لا توصف .

وجلس يسألنى عن أخبار القاهرة ، والروح المعنوية بين الشعب المصرى ، فقلت له إن ملايين المصريين معكم هنا فى الميدان ، يرقبون بطولتكم ويباركونها .

فابتسم ابتسامته العذبة وأخذ يقول : إننا نؤدى واجبنا ونحن لا نريد من الشعب المصرى إلا أن يصبر ، فالصبر وحده وسيلة الانتصار .

وانطلقت المدافع تقصف اليهود حول منطقة بيت لحم ، بحمم لا تنتهى ، فقال البطل :

- أتسمع .. إن حى القطامون وميكور حاييم تئن تحت هذه الطلقات.. لابد لنا من تحطيم قوى اليهود المقيمين فى القدس الجديدة .

وعض الرجل شفته السفلى وهو يقول :

- آه لو أحكمنا حصارها قبل أن تصلها إمدادات ، إذن لسلمت لنا من غير قيد ولا شرط .

وسألته عن الحالة بصفة عامة فصاح يقول :

- لن يكون من نصيبنا شيء إلا النصر .. إننا مؤمنون بحقنا ، واثقون من انتصارنا ، ولن يفل عزمنا شيء فى الوجود . ورجوته أن يحدثنى كيف دخل فلسطين هو وقواته من فرقة الكوماندوز ، قبل أن تدخل الجيوش بحوالى شهر ، فسرد على قصة نادرة ، لا يلجأ إليها إلا كل طاغية جبار .

قال : لقد قدمنا إلى العريش ، فإذا القوات الإنجليزية تقف حائلا بيننا

وبين الأرض الفلسطينية ، وإذا نحن أمام أمرين : إما أن نقف ، وإما أن نحارب القوات الإنجليزية ، وعز عليَّ أن نرحل من القاهرة لدخول فلسطين ، ثم نقف عند العريش .

وكنت قد دبرت أمراً فى نفسى وأزمعت أن أنفذه عندما يلقى الليل أستاره على المكان .

وما أن انتصف الليل ، حتى أمرت قواتى بالتقدم ، وتقدمنا .

وما أن أصبح الصباح حتى كنا قد نصبنا معسكراً خاصًا قرب غزة ، وكتبنا على منافذه « معسكر حربى ، ممنوع الدخول » .

وما أن أصبح الصباح ، حتى كان البطل الشجاع ، يقود سيارته الجيب بنفسه ، وقدجلست أنا بجواره ، وخلفنا جلس الحارس بمدفعه الرشاش، والسائق بمسدسه .

وحينما وصلنا إلى منطقة « صور باهر » وقف أحمد عبد العزيز عن القيادة ثم قال : « هذه مدفعيتنا تقصف بهم » .

ومضى يقول : « سننزل هنا لنسير على أقدامنا . البس هذه الخوذة » .

ولبس خوذته ، ولبست خوذة أخرى ولبس الحارس كذلك خوذة ونزل الرجل يعدو فى خطوط ملتوية ، وهو يصيح بى :

« اتبعنى خطوة خطوة ، فإذا أحنيت رأسى فقلدنى تماماً . إن الحركة الملتوية تجعلك فى غير مواطن الخطر لأنك لا تكون فى هذه الحالة هدفًا صالحاً للعدو » .

وفى حركة ميكانيكية فقدت فيها التفكير ، أخذت أقلد وحش

الصحراء. ولم أدرك كم قطعنا ، ولا كم مر من الوقت . وكل ما أدركته هو أنه حينما وصل إلى منخفض من المنخفضات ، استلقى هو وأمرنى بالاستلقاء بجواره ، وخلفنا الحارس بمدفعه الصغير .

كنت ألهث فقال فى صوت حنون : « لقد تعبت . أترى إذن أضرار التدخين ؟ » .

وأعطانى منظاراً مكبراً ، وأمسك هو بمنظاره ، وطلب من الحارس تليفون الميدان ، ووضعه بجواره ووجه منظاره إلى المعركة .

وأصبحنا بين المدفعية المصرية واليهود القابعين فى مستعمرات القدس الجديدة قنابل المدفعية تمر من فوق رؤسنا ، ورصاص الأعداء يطير من فوقنا .

اليوم يختم أحمد عبد العزيز طوافه بعد أن روى أرض السلام بدم سيكتب به يوماً التاريخ الأبيض الناصع .

بل اليوم ينتقل أحمد عبد العزيز إلى عالم الخلود بعد أن خلد فى سجل الزمن ، أقوى نشيد ، وأبرع أغنية ترتلها الأجيال .. جيلا بعد جيل .

(عبد المنعم الصاوي)

معروف الحضرى

البطل الذي فقدناه

كما كتب الأستاذ معروف الحضرى فى الذكرى الأولى لوفاة البطل مقالا عن ذكرياته ، قال فيه :

أول أغسطس سنة ١٩٤٨ :

هجم اليهود اليوم هجوما عنيفًا فى منطقة جبل المكبر وكلية الزراعة اليهودية ودار الحكومة على الحدود التى تفصل بيننا وبين القدس القديمة للوصول إلى الطريق الذى يفصل بين قواتنا والقوات الأردنية داخل المدينة القديمة .

إن اختراق هذه الثغرة معناه وضع إسفين قوى بيننا وبين الجيش العربى وفشل أى حركة نقوم بها مستقبلا بالتعاون بين قواتنا وجنود الجيش العربى الأردنى .

وقد استيقظت من نومى على صوت المدفعية المصرية وهى تضرب مواقع الأعداء تحت قيادة زميلنا الضابط كمال حسين (أبو كمال) ..لقد أخذت مدافعنا تضرب اليهود طول اليوم ضربات قاصمة بينما أخذت الأسلحة الصغيرة تستعد لتقوم بجولتها التالية .. لم تكن هذه المنطقة تحت قيادتى وإن كانت تحد من جانبى الأيمن ، ولذا اتصلت بالقيادة العليا بالتليفون لأستفسر من البكباشى أحمد عبد العزيز عن موقفى من هذه العمليات التى بدأها الصهيونيون رغم الهدنة ..وقد حذرنى القائد من أن يقوموا بهجوم فعلى على مواقعى وأمرنى بألا أبارح مواقعى وإن أستعد استعداداً كاملا .. وقال إنه يخشى أن تكون المعركة الدائرة فى منطقة جبل المكبر هى « كوموفلاج » لهجوم يهودى مخادع يوجهون فيه جميع قواتهم الرئيسية على قواتى .

٢ أغسطس ١٩٤٨

ما زالت قوات المدفعية فى صراع رهيب مع اليهود فى منطقة جبل صور باهر وجبل المكبر .. وقد اشتدت رحى المعركة . وعانت بيت لحم - حيث تقع القيادة العامة - من نتائج هذا الهجوم اليهودى العنيف .

وقد دهشت عندما لم يقدم الجيش العربى الأردنى أيه معاونة لقواتنا بحجة احترام الهدنة بالرغم من أن المسافة بين مواقعنا ومواقعه لا تزيد على الكيلو مترين بحيث تستطيع مدفعيته مساعدة مدفعيتنا .. هذا فضلا عن أن تحقيق اليهود للأغراض التى شنوا هجومهم من أجلها تهدد مواقع الأردنيين تهديداً مباشراً .

ولا يجب أن ننسى فى هذا المقام أن منطقة جبل المكبر هى الناحية التى نفذت منها قوات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى القدس فهى منطقة مرتفعة للغاية وتشرف على مختلف نواحى القدس بقسميها الجديدة والقديمة . إن واجبنا لحماية مقدسات المدينة يدعونا إلى الدفاع عنها دفاع المستميت وعدم وقوعها فى أيدى اليهود بأية تضحية .

قصدت اليوم إلى المكان الذى يشرف منه أبو كمال على معركته فوجدته محتمياً بإحدى الغرف بالدور الأعلى من أحد المنازل العربية بمنطقة صور باهر .. وكان من هذه الغرفة يحدد أهدافه للمدفعية ويبلغها إليها تليفونياً أولا بأول .. إن أبو كمال يرى المعركة كلها تدور من أسفله كما أن نظراته الحديدية كفيله بأن تكشف جميع حركات اليهود واحتشاداتهم ومتابعتها بسيل من القنابل التى تفرق شملها وتبث الذعر بين صفوفها . وكان أبو كمال بين الآونة والأخرى ينادى خالداً شاويش المدفعية فى بوقه ليحدد له هدفه وسرعان ما تندفع القذائف المصرية لتدك أوكار الصهيونيين .

وجاءنا القائد البطل أحمد عبد العزيز وظل واقفاً بجوار أبو كمال فى انتظار نتيجة ما تتمخض عنه المعركة .. كان يرجو أن تكون هزيمتهم عاملا على احترامهم الهدنة التى فرضت علينا وما رغبنا فيها .

كان يقول لنا : إن الوقت هو عامل أساسى من عوامل كسب المعركة، وهاهو العالم يتألب علينا فيعطى اليهود وقتاً كافياً يستعدون فيه للانقضاض علينا فى أية لحظة وبدون سابق إنذار . وبين الآونة والأخرى يتمتم بقوله : لعنة الله على الهدنة .

إن عينى أحمد عبد العزيز احمرتا نتيجة لسهر الليلتين السابقتين وقد تبعثر شعره وعفر التراب وجنتيه وملابسه .

وأخيراً تمكنت مشاتنا بفضل نشاط مدفعيتنا من تكبيد الصهيونيين نحو ٢٠٠٠ رجل من بينهم نحو ألف قتلتهم المدفعية وحدها .

عرف أحمد عبد العزيز نتيجة المعركة وإذا بالقائد الوقور ينهال على « أبو كمال » يقبله .. وعلى حين غرة شد قائدنا قامته ورفع يديه يحيى أبو كمال ثم صافحه مهنئاً .. وقال : إن قبلاتى هى كل ما لدى لأهنئك على إخلاصك وتفانيك فى تأدية واجبك .

وجاءت أنباء أخرى بأن قواتنا أسرت من الصهيونيين كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة الأوتوماتيكية وأنها وجدت بأكملها صالحة للاستعمال وفى حالة جيدة ، وأن أغلبها صنعت فى ألمانيا أو الولايات المتحدة .

اضطر اليهود للانسحاب أمام مواقعنا الحصينة على منطقة جبل

المكبر وصور باهر وتحصنوا فى مستعمرة تل بيوت والكلية الزراعية اليهودية المواجهة لمواقعنا انتظاراً لهجوم قواتنا عليهم .. ولكن أحمد عبد العزيز لم يكن بالرجل الذى يقع فى الشرك فتركهم يحصون خسائرهم الفادحة ..

٤ أغسطس ١٩٤٨:

قدم اليوم إلى مركز القيادة العليا عدد كبير من مراقبى الهدنة وقد استقبلهم البكباشى أحمد عبد العزيز باحتقار مقرون بعتابه على إهمالهم فى تسجيل حوادث خرق اليهود للهدنة وقال لهم : أهكذا يحترم اليهود الهدنة .. أو هكذا تكبلوننا بالأغلال وتتركونهم يضربوننا وكانت جميع إجاباتهم تملصاً ووعداً .

ووصف أحمد عبد العزيز لمراقبى الهدنة وعودهم قائلا : إنه لم يعد يثق بوعودهم وكل ما يستطيع أن يقوله رداً عليها أنه وجميع قواته مستعدون فى أية لحظة لاستئناف القتال . ثم ذكر لهم بعض تفصيلات المعركة الأخيرة على سبيل المثال قائلا : هكذا كانت نتيجة المعركة التى خسرها اليهود وهم البادئون بالهجوم .

وقبل أن يغادر رجال الهدنة مركز القيادة اتفقوا مع القائد على عقد مؤتمر غداً بدار الحكومة على أن يحضره مندوبون عن كل من القوات المصرية والأردنية واليهودية ومندبون عن هيئة رقابة الهدنة ، وذلك للعمل على تخطيط منطقة جبل المكبر حتى يتبين مستقبلا الطرف الذى يبدأ فى العدوان ونقض الهدنة .

عدت مساء اليوم إلى مقر القيادة حيث عقد القائد اجتماعًا حضره

جميع ضباطه .. ثم أخذنا فى وضع تقرير وضعنا فيه تفصيلات المعركة ونتائجها لنبعث به إلى رئاسة القوات .

٥أغسطس١٩٤٨ :

وصل اليوم إلى بيت لحم البكباشى إسماعيل شيرين (القائم مقام إسماعيل شيرين بك) ومعه اليوزباشى صلاح سالم موفدين من القيادة العليا للاشتراك مع القائد فى المناقشة التى ستدور بين الجنرال رايلى والكولونيل كوكس مندوبى لجنة الهدنة وبين ممثلى القوات العسكرية الثلاثة من مصرية وأردنية ويهودية .. وبعد أن اجتمع بهما القائد فترة من الوقت صحبهما معه إلى دار الحكومة حيث عقد الاجتماع فى مقر الصليب الأحمر الدولى .

٦أغسطس١٩٤٨ :

جاء اليوم البكباشى أحمد عبد العزيز إلى مركز قيادتى وبصحبته أحد مندوبى الهدنة ثم صحبانى إلى مواقعنا الأمامية حيث سمع مراقب الهدنة بنفسه بعض الطلقات السريعة التى كان اليهود يطلقونها بين كل لحظة وأخرى وكان القائد يصف لمراقب الهدنة خرق اليهود للهدنة قائلا إنهم جبناء ولم يحاول القائد أن ينبطح أو يختفى من نيران اليهود بالرغم من أن وجهه وشكله قد أصبح مألوفا لديهم لا أعلم ماذا يكون موقفى وأنا أتخيل القائد وهو بجوارى يسقط جريحاً أو قتيلا .. ولهذا حذرته مراراً وحاولت أن أرهبه فقال لى : إننى أشجع منك يا معروف ، ومهما كان الفارق فى سننا كبيراً إلا أننى مازلت أكرر أننى أشجع منك فاتركنى وشأنى ،إننى أريد أن أرى بعينى جنودى وهم فى خطوط النار الأمامية .

وليعطنى القائد درسًا ذهب إليهم فى الخط .. وهنالك وجد بعض

أخطاء وقعت فيها تحصينات الدفاع فأنبنى كثيراً قائلا إنه يريد دفاعات أحسن وأعظم مما هى عليه .. فسكت صاغراً ولم يكن بيدى من حيلة .

وفى الخطوط الأمامية قال لى أنه اتفق مع مراقبى الهدنة على أن يجتمع مع مندوبى اليهود عند آخر منزل من مواقع دفاعنا أمام القدس الجديدة .. لقد وعد القائد فلم أستطع أن أحول دون تقدمه فى وضح النهار إلى هذا المنزل ومعنا أحد مراقبى الهدنة . لقد كنت أنا شخصيًا أصل إلى هذا المنزل متسللا أثناء الليل وإذا بأحمد عبد العزيز يضطرنى إلى أن أتقدم إليه فى أوضح ساعات النهار ..

كنت أسير وأنا أبتهل إلى الله حتى لا يفاجئنا اليهود بنيران كثيفة يصلون بها هذا المنزل أو يعمدون إلى هجوم غادر لقتل نمر الجنوب أو أسره .

ذهب القائد تحرسه عناية الله إلى هذا المنزل .. وهنالك تقابلنا على الحدود الفاصلة بين المنازل ومن حولنا كانت المنطقة ملغمة بآلاف الألغام !

كان المنظر رهيبًا .. نمر الجنوب ينظر لمندوبى اليهود وقد وقف معهم أحد مراقبى الهدنة نظرة كلها جبروت وقسوة .. إنه يضع يديه فى وسطه ويتحدث إليهم بكل احتقار .

وبعد أن حددنا الحدود بيننا وبينهم التفت إلى قائلا : هيا بنا ياولدى لكى نعود .. لقد أدى واجبه فلم يعد هنالك حاجة للبقاء .

وقبل أن نمرح عائدين صافح أحمد عبد العزيز مراقب الهدنة فى الجانب اليهودى ثم استدار عائداً فما كان من المراقب إلا أن قال له : « ألا تصافح المندوب اليهودى » .

ويبدو أن مراقب الهدنة استفزه بهذه الكلمة واحمرت وجنتا أحمد عبد

العزيز فى الحال . سرعان ما وضع يديه فى خاصرته قائلا ماتعودت أصافح أعداء بلادى بينما قواتنا فى حرب معهم .

٢٠ أغسطس ١٩٤٨ :

عقد اليوم أحمد عبد العزيز اجتماعًا فى مقر قيادته فى بيت لحم وقال لنا : « لقد نجح مندوبو الهدنة بالاشتراك مع اليهود فى أن يشغلونا منذ يوم معركة جبل المكبر التى خسرها الصهيونيون بتخطيط خطوط الهدنة الفاصلة بيننا وبين اليهود .. وقد علمت اليوم من مصدر وثيق أنهم سيشنون هجومًا على مواقعنا فى اللحظات الأخيرة قبل الانتهاء من تخطيط الحدود ، فإياكم والارتداد شبراً وإياكم والتواكل وإياكم والنوم هذه الأيام . فإذا هاجمونا فوصيتى لكم أن تقاتلوهم واصمدوا فى مواقعكم ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

٢١ أغسطس ١٩٤٨ :

قدمنا اليوم اليوزباشى صلاح سالم موفداً من رئاسة القوات ، وقال لأحمد عبد العزيز إن القيادة تلقت إشارة بأن اجتماعًا أخيراً سيعقد بدار الحكومة اليوم للانتهاء من عملية تخطيط الخطوط ثم صحب اليوزباشى صلاح سالم القائد ومعه اليوزباشى حسن فهمى إلى مقر الاجتماع .

وعدت كعادتى بعد أن تفقدت مواقعى إلى مقر القيادة ساعة الغروب لأرفع تقريرى إلى القائد وأتلقى منه إرشاداته فعلمت أنه لم يعد بعد من دار الحكومة .

وفى الساعة العاشرة مساء طلبنى القائد بنفسه تليفونيًا من مركز

قيادته وقال لى : « رغبت أن أحذرك من اليهود مرة أخرى فاحذرهم يا معروف لأنى أتوقع منهم اليوم أو غد هجوماً غادراً » .

٢٢أغسطس١٩٤٨ :

قصد القائد فى ساعة مبكرة من صباح اليوم إلى دار الحكومة وبصحبته اليوزباشى صلاح سالم فاجتمعا بالجنرال رايلى . ثم عادا ساعة الظهيرة بعد أن انتهت مباحثاتهم .

انتهيت من عملى متأخراً اليوم فقررت العودة إلى مركز القيادة لأرى القائد وأعرف منه آخر تطورات الموقف . وفى بيت لحم وجدته واقفًا فى الشارع المؤدى إلى مركز القيادة وبجواره اليوزباشى صلاح سالم وكان القائد يقف وبيده ساندوتش يأكله .

أوقفت سيارتى وقلت له : إلى أين ؟ فقال : إلى المجدل .. فسألته عما يحمله على الذهاب إليها فى مثل هذه الساعة ؟ فقال لإنهاء موضوع التخطيط ولمسائل متعلقة بمراقبى الهدنة وبعض الشكايات الأخرى . وأضاف قائلا : ربما طلبت فى هذه المرة إعفائى من منصبى فقد ضقت ذرعًا بعدم إجابة مطالبى .. إننى حريص عليكم وأود لكم النصر ولكن هذه متاعبى سأسردها للقيادة العامة .

كان ما يزال يأكل الساندوتش بينما التف حوله جميع ضباطه تقريباً قائلين له إن الليل قريب ولا داعى لسفرك الآن ولتسافرفى ساعة مبكرة من صباح الغد فرفض قائلا إنه يرغب فى كسب الوقت ليتمكن من العودة فى الصباح الباكر . وأضاف : لا تعب فى سبيل الله وفى سبيل الوطن والملك وفى سبيلكم ولكى أطمئن وأستريح !

وقبل أن يستقل سيارة الجيب قال موجهًا الكلام إلينا : كونوا على حذر الليلة . وكونوا رجالا فى غيبتى فإذا هاجم اليهود مراكزكم صدوهم . إنى أتوقع منهم غدراً قبل توقيع تخطيطات الهدنة .. إنى أتوقعها الليلة أعتمد على الله وعلى شجاعتكم !

وحينئذ تذكرت الأوامر التى صدرت إلينا بإرسال إحدى وحدات المشاة إلى منطقة بئر سبع فذكرته بها فقال لى : يجب أن ترسلها فى الصباح الباكر وأنا أعلم احتياجك إلى هذه الوحدة ، ولكن تأكد أن جماعة من المتطوعين سيصلون إليك . وقد طالت مناقشتنا فى هذا الموضوع فقال : ثق أن هنالك متطوعين من ذوى القلوب الحديدية سيصلون إليك حالا .

ثم ودعناه فسار على بركة الله ومعه اليوزباشى صلاح سالم وسائق سيارة الجيب .

٢٣أغسطس١٩٤٨:

لم أنم هذه الليلة وكنت ساهماً قلقاً ، فهل كان شعوراً بالحادث الرهيب الذى ذهب ضحيته قائدنا العزيز . كنت أميناً على نصائحه الأخيرة فتفقدت جميع مراكزى الأمامية وفى الصباح الباكر ذهبت إلى مركز قيادة السرية التى ستسافر إلى بئر سبع حيث ودعت جنودها وقلت لهم : إن هذا يوم أغبر ويوم أسود فى حياتى لأننى أفارق وحداتى التى أعزها وأحبها لبسالتها فى الجهاد .

لا أدرى لم قلت هذه الكلمة .. ولكنى ما كدت أعود لعربتى لأتوجه بها إلى منطقة شرفات حتى فوجئت بأحد المجاهدين العرب وهو الحاج أبو

زيدان وكان مغبر الوجه مكلوم الجسد ويتجلى الحزن على جميع جوارحه فقال لى : عوضنا على الله وإلى اللقاء يا أحمد !

قلت له : من هذا الأحمد ؟

ولو كان والدى حقاً الذى مات لما بكيته ولما تأثرت بأكثر مما شعرت به لفقد قائدنا أحمد عبد العزيز .

قصدت إلى مركز القيادة العامة حيث عقدنا مؤتمراً عسكرياً كان يسوده الوجوم .

وتكلم البكباشى وليم عبد المسيح بصفته أقدم ضابط فعزانا وهو يبكى وقال : « احجزوا هذا الخبر عن الجنود حتى لا يصدموا بمثل ما صدمنا » .

لقد كنا جميعاً مستعدين لتحمل نبأ فقد قائدنا فكيف لجنودنا أن نخفى عنهم نبأ استشهاده وماذا ستكون النتيجة لو انتهز اليهود المناسبة وشنوا علينا هجوماً مركزاً !

بالرغم من ذلك فقد صارحت قواتى بالحقيقة الأليمة وقلت لهم : «إن اليهود سينتهزون هذه الفرصة فلنقضى عليهم تخليداً لذكرى أحمد عبد العزيز. وإننى لأقسم ولم أجفف دمعى على أحمد عبد العزيز إنه لو هجمت علينا اليوم شياطين الدنيا والآخرة لقضينا عليهم قضاء مبرماً » .

عدت إلى نفسى بعد ذلك أتذكر اللحظة الأخيرة فى حياة أحمد عبد العزيز . وكيف ذكرنى بواجبى فاضطررت أن أرضخ .

رجل عاشت التضحية في قلبه

كما صدرت فى الذكرى الأولى الصحف تقول :

« كم من المصريين - والعرب - يذكر اليوم هذا الاسم ، ويذكر صاحبه الذى مرّ على استشهاده الرائع عام كامل ؟ !.

رجل عاشت التضحية النبيلة فى قلبه ، وانطلق الفداء الكريم فى عروقه مع دمائه الأبية .. رجل عرف أن التضحية أخت الصمت والتواضع ، وأدرك أن الفداء أبو المكرمات ، فحمل رأسه على كفه ، فى أخطر ساعة من ساعات التاريخ المصرى الحديث ، وانطلق كالشهاب فى ميدان البطولة ، رائداً فى ساحة الجهاد ، وبطلا فى ساعة الشدة . رجل نمته مصر ، أرض المعجزات، ومشى - وقد دقت الساعة - إلى أشرف غاية وأجل قصد ، على رأس عصبة من الشباب مرفوعة هاماتهم بفضله ، متقدة قلوبهم بنار غيرته .. شباب ألهمهم إيمانه ، وألهبتهم حماسته يرونه صانع معجزة ، فيصنعون المعجزات ، ويبنون كما يبنى الباقيات الخالدات ، ويكتب ويكتبون على رمال فلسطين أنضر الصفحات .

أتذكره وقد مرّ العام ، أم نسيناه ..؟ !

أتذكر تلك الربوة البعيدة فى ثرى فلسطين ، وذلك القبر البسيط القائم وسط عشرات القبور ، فى كل قبر بطل ، وعلى كل قبر سحابة من رضوان الله..؟ !

وكيف تنسى مصر ابنها العظيم ، طليعة المجد الطريف ، وعنوان البعث الكبير ، وكاتب تلك الصفحة الخالدة المشرقة فى كتاب الوعى المصرى المجيد؟

إننا نذكر أحمد عبد العزيز ولا ننساه ..

نذكر جهاده فى سبيل الله ، وكفاحه فى سبيل الوطن ، واستشهاده فى ساحة الفخار .. نذكره شهاباً ساطعاً ، وفدائياً صامتاً وبطلا رائداً .. نتذكره ونذكر القبر المتواضع الجاثم على تلك الربوة البعيدة فى ظل من رحمة الله ورضوانه .. القبر الذى يضم رفات شهيد صنع لأمته المجد ثم لحق راضياً بالأبرار الأطهار من بناة التاريخ .

حية هى ذكراه العاطرة ..

حية فى قلوبنا إلى آخر الزمان ! » .

البطل الشهيد

كما كتب الأستاذ محمود عيسى مقالا فى مجلة الجيش قال فيه :

« فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ ، صار أحمد عبد العزيز فى عداد التاريخ ! ..

ولكن بعد أن ترك من خلفه تراثاً من الذكرى والقدوة والتضحية ، فى دنيا الأثرة والنفاق والمجون .

وبذل دمه وقلبه وروحه رخيصة ، ليقيم مجداً لجيشه ، وشهرة لأمته، وتاريخاً لوطنه ،وسمعة لمواطنيه .

فلا شىء كان يملأ بصره غير الكفاح المنزه ، ولا شىء يستهوى حياته سوى ميتة الشهيد .

فدورة الزمن ينبغى أن تعاد ، والإمبراطورية الموعودة يتعين أن تقام، والراية المصرية يقتضى أن تتألق .

ولا يتطلب هذا كله إلا أن تملأ القلوب ب « الإيمان » وتحشد الرءوس بـ« العلم » ، ويستفز الشبيبة ب « الحماس » ، وترسم الخطوط فى « القيادة » .

أما الكلام فى عصر « العمل » ، والضعف فى عالم « القوة » ، والتملل فى دنيا « السرعة » فمعناه الخذلان والانهيار والموت الذى لا يرجى بعده بعث .

على مثل هذا الضوء هيأ خطته ، ومن مراجعة الماضى كون فكرته، وفى الطريق الموعود شق خطواته ..

وبدأ يعمل لا لينتظر الرجل الذى يقود شبابه ، وإنما لكى يكون الشاب

الذى يقود الرجال .. فلم لا يكون هو « المعجزة » التى تحول السيل ، وتحطم القيود ، وتنقذ الوطن . لم لا يتغلب على القدر الجاثم على ضفاف الوادى . لم لا يكون رجل الحرب هو المنظم لمستقبل الوطن طالما فشل الآخرون .

إذن فليستوعب حركات التاريخ الكبرى ، ويستذكر مأساة مصر ، ويستلهم كبار القادة ، ويعيش على تجارب المؤلفين ، يتلقى إيحاء الفلاسفة .

أما القرآن فينبغى أن يحفظه ويجيد قراءته ، ويفهم تفسيراته ، ويهضم مثله وليكن له أسلوب فى الحديث فيضغط على كلماته بعنف ويصور معانيه بقوة ويغير ملامحه بتغير موضوع حديثه ، وليقل عنه الناس ما يقولون، وليتخذ لنفسه طريقة فى العمل تنزهه عن السفاسف ، وسبيلا فى المعاملة يرفعه بين المتعاملين .

أما إذا مشى على الأرض فليدق على صدرها ، وليسع فى جنباتها ليكن وقع خطواته منتظماً أشبه بألحان الموسيقى ، سواء أكان فى فترات فراغه أم وسط جنده ، وليرفع هامته نحو السماء ليتذكر الله ، وليحدق فى أغوار الفضاء ليبحث عن نجوم الأمل ، وليتسامى عن الإطراء حتى لا تتريه روح المذلة .

وتطمح نفسه فى الارتواء من مناهل المعرفة ، فيطرق أبواب كلية أركان قراءاته ، ويفهم تفسيراته ، ويهضم مثله . وليكن له أسلوب فى الحديث فيضغط على كلماته بعنف ، ويصور الحرب ، ويتخرج فيها فى طليعة الخريجين ، ويكبر فيه أساتذته روح الابتكار ، كما يشيدون بامتياز المثالية .

ويعكف على الكتابة والتأليف ، ويمسك بالقلم ليكتب من أغوار قلبه، وينتزع الأفكار من رأسه ، وينشر على القراء حديثه .

ويتطلع الناس إلى الضابط الكاتب ويرمونا بنوع من الزهو ، فلا يعبأ بما يرمى به ولا يكترث طالما هو نفسه يعرف دخيلته ويؤمن برسالته . وعلى صحفات « مجلة الجيش » نشر مقالاته وأبحاثه التى اتسمت بالأفكار المدروسة، والأسلوب الأدبى الرصين ، وحرارة الوطنية الخالصة .

واشترك فى مسابقتين اثنتين من مسابقات الموضوعات العسكرية ، فلم يستطع واحد من الراسخين فى الكتابة والصحافة أن يزحزحه عن الجائزة ويحرمه منها ،فقد نالها بتفوق فى المرتين . وكانت الأولى موضوعًا عسكريًا صرفًا اسمه «المفاجأة » ، والثانية عن مصر والسودان . وفى هذه المباراة الأخيرة استطاع الكاتب البارز أن يبرز شخصية الضابط ويتكلم بلغة المؤمن بحق بلاده - شمالها وجنوبها - فى الوحدة استنادا لروابط الطبيعة والجنس واللغة والدين .

ومن رسائل الثقافة العسكرية التى تحمل اسمه « رجال السيف ورجال القلم » و « التربية العسكرية » . وقد شاركته فى كتاب غريب من نوعه أطلقنا عليه « النجاة من الموت » .

وظل فى منصبه العسكرى يتحرق شوقًا إلى معمعة القتال . لكى يجرد السيف الذى علاه الصدأ ، ويختبر الأفكار التى طالعها فى الكتب .

ولكن مثل هذه الأمنية لم تتحقق إلا يوم فارق البريطانيون فلسطين والتقت كلمة العرب على إنقاذها من اليهود !

فكان أول ضابط يعلن عن رغبته لمقاومة الخطر اليهودى ويتنحى عن منصبه الرسمى ، ويتقدم لكى يقود الفدائيين العرب لمناهضة العصاة !

ولم يفكر في زوجته الشابة ، ولا أولاده الصغار ، إنما فكر في الواجب الذى يستحثه ، والدم المراق الذى ينبغى أن يثار له .

واستطاع القائد الشاب أن ينال حب رجاله وإعجابهم ، فوضعوا أرواحهم بين كفيه .. وقالوا له : « ولو ألقيت بنا إلى جهنم فإنك ستجدنا صاغرين ! » .

وتقدم بهم وسط النيران يمهد الطريق ، ويطهر الأوكار ، ويفترس الأعداء ..

وتعرض للموت أكثر من مرة ، ولكن في كل مرة كان الموت يخطئ الهدف ويصيب سواه . ويتقدم القائد كما لو يتقدم في نزهة على شاطئ النيل !

وقاد الفدائيين إلى النصر . معركة واحدة لم يفقدها ، وهدف واحد لم يتحول عنه . فالإصرار على التقدم من خطته ، والقضاء على الغريم آية نفسه ..

واستغاث اليهود من قادة الحرب الألمان ليواجهوا القائد المصرى الشاب .. ولكن لم يستطيعوا أمامه سوى العجز .ورصد اليهود آلاف الجنيهات مقابل رأس القائد المصرى لكى يتخلصوا من جبروته ..

ورقد البطل تحت الثرى في إحدى مقابر غزة بين عشرات الضحايا، ورحل أحمد عبد العزيز الذى قال يوماً :

« نحن نريد أن نتحدى الموت .. لا لكى نعيش وترصع صدورنا بالأوسمة أو تكلل رؤوسنا بأكاليل الغار ، بل لكى نحقق الهدف الذى هجرنا بلادنا وأولادنا من أجله ، أما بعد ذلك فمرحباً بالموت في أى ساعة يجىء .. بل لعل الموت في هذه الساحة ـ وبعد بلوغ الهدف ـ هو أشرف وسام يمكن أن يطمع فيه الواحد منا » .

في الذكرى الرابعة

كما كتب الأستاذ عبد المنعم الصاوى فى الذكرى الرابعة يقول :

« فى مثل هذه الأيام منذ أربع سنوات استشهد البطل المصرى أحمد عبد العزيز فى الساحة المقدسة بأرض السلام .

وتاريخ أحمد عبد العزيز لا يمكن أن يكتب كما تكتب تواريخ العظماء الآخرين .

لا يمكن أن يؤرخ تاريخ الرجل بأنه ولد فى تاريخ معين ، ودخل الكلية الحربية فى تاريخ معين ، وترقى إلى رتب معينة فى تواريخ معينة .

إن هذا الأسلوب فى التاريخ لا يتفق مع طبيعة البطل المصرى الشجاع الذى طلب أن يحال إلى الاستيداع ثم كون فرقة الفدائيين اقتحم بها أرض فلسطين مصمماً على أن يخلصها بدمه من العار .

وعلى أبواب فلسطين عسكر الرجل بقوته ، يتحين الفرصة للدخول وكانت القوات البريطانية قبل منتصف مايو ١٩٤٨ ، وفجأة يفتح أفراد المعسكر البريطانى الضخم عيونهم ذات صباح ، ليجدوا أحمد عبد العزيز وقواته ، قد وثبوا من أمامهم إلى خلفهم ، فى خفة الطائر ، وسرعة الفدائى المدرب .

لقد قاد الرجل بنفسه أول سيارة من سياراته المصفحة المعدودة ومشى بها على شريط سكة حديد فلسطين ، وما كان يخطر بذهن بشر أن فدائياً من الفدائين يفكر فى هذا ، ليفلت من الحصار .

ونجح أحمد عبد العزيز ، فأخذ ينتقل من تبة إلى تبة ، ومن جبل إلى جبل ومن بلد إلى بلد ، رأسه فوق كفه ، وكتاب الله فوق قلبه .

كانت مهمته شاقة ، وكان طريقه وعراً مليئاً بالأشواك ، ولكن أقدام أحمد عبد العزيز كانت تتحمل هذه الأشواك .

حارب وكافح ، وألحق بالإسرائيليين خسائر فادحة ، و ظل يثب من مكان إلى مكان بقوته الصغيرة المحدودة ، وسلاحة الخفيف السريع حتى وصل إلى بيت لحم ، وكانت قوات الجيش المصرى قد دخلت غزة .

وهناك فى بيت لحم عسكر بجنده ، وأخذ يكيل للقدس الجديدة ضربات قاصمات ، خيلت لقوات إسرائيل أن الرجل قادم بجيش جرار ولم يكن الجيش الجرار سوى قلب من حديد .

حتى قضى الحظ العاثر أن يستشهد أحمد عبد العزيز على الأرض التى حارب فيها واستبسل واستمات وكانت آخر كلمات لفظها : « أوصيكم بجنودى ، أوصيكم بأولادى » .. وأطبق جفنيه إلى الأبد .

ولكنه ترك وراءه مجداً وفخاراً .

وترك قبل هذا وذاك مثلا للبطل .. مثلا يحتذيه الأبطال .وما أحوجنا إلى الأمثال » .

(عبد المنعم الصاوي)

قصة استشهاد بطل

كما كتبت المصور قصة استشهاده فقالت :

« فى مثل هذه الأيام من أربع سنوات فقدت مصر بطلا من أكرم أبطالها ، ومجاهداً من خيرة مجاهديها ، هو القائد الشهيد « أحمد عبد العزيز » الذى لقى حتفه فى معركة فلسطين فى ظروف غامضة .

ولعل هذا المقال الذى استقينا معلوماته من أحد رفاق الشهيد يكشف للقارئ كيف استشهد البطل .

معركة صور باهر :

كانت معركة «صور باهر » هى آخر معركة خاضها البطل الشهيد «أحمد عبد العزيز » . وقد أدمت هذه المعركة قلب اليهود ،وأدارت رؤوسهم وتركتهم يتخبطون كالسكارى ، بعد أن ظلوا أكثر من شهر يجاهدون جهاد المستميت لاستعادة « صور باهر » التى تسيطر على مستعمراتهم المحيطة بالقدس الجديدة ، والتى تهدد الطريق المؤدى إلى القدس من الجنوب .

وكان - رحمه الله - يوزع جهوده بين قطاعات مواقعه ، ويدير دفة النيران التى أذابت الهجوم الصهيونى بعد أن زادت ضحايا العدو على مائتى قتيل بخلاف الجرحى الذين سحبهم العدو إلى قواعده كما هى عادته .وحتى بعد أن هدأت وانتهت المعركة بارتداد اليهود ظل أحمد عبد العزيز مستيقظاً ، وقضى الهزيع الأخير من الليل يمر على مواقع رجاله مطمئناً ومشجعاً .

يوم ٢٠ أغسطس :

فلما أصبح الصباح ، تسلم القائد البطل إشارة عن طريق مندوب الهدنة الأمريكى المرافق له ، بأن هناك فكرة ترمى إلى عقد اجتماع يضم

القائد المصرى والقائد اليهودى ، ومندوب الهدنة الجنرال « رايلى » رئيس المراقبين بمنطقة القدس ومندوبى الصليب الأحمر الدولى ،للنظر فى المشاكل التى نجمت عن احتلال اليهود للمنطقة المحرمة الخاضعة لهيئة الصليب الأحمر الدولية ، وأنه قد تحدد لهذا الاجتماع موعد هو يوم الجمعة الموافق ٢٠ أغسطس فى الساعة العاشرة صباحاً بمدينة القدس .. فوافق الرجل ، فقد كان يتسلح بالحق والقوة معاً ، لم يخامره أى شك فى أن من المصلحة العامة أن يحضر هذا الاجتماع ليبسط حجته ويدافع عن سلامة موقفه ، ويشرح اعتداءات اليهود فى الحوادث التى خرقوا بها الهدنة .. حتى إذا ما حان موعد رحيله لحضور الاجتماع أعد عدته وجمع خرائطه ويمم شطر القدس . لكنه لم يستطع مواصلة سيره إذ أطلق اليهود النيران عليه رغم وجود علامة الأمان على سيارته ووضع العلم الأبيض فى مقدمتها ، ورغم إخطارهم عن طريق مندوب الهدنة بكف الضرب فى هذا الموعد ، فاضطر إلى العودة وأرسل إشارة احتجاج واعتذار عن عدم استطاعته حضور هذا المؤتمر ، وقضى يومه فى المرور على مواقعه دون أن يعطى لبدنه لحظة واحدة يستريح فيها من عناء المعركة الأخيرة التى استمرت ثلاثة أيام .

البطل يحضر المؤتمر !

وفى يوم الأحد ٢٣ أغسطس استطاع - رحمه الله - أن يحضر هذا المؤتمر وقد كان هناك كل من عبد الله التل قائد منطقة القدس العربية ، ومندوبى الهدنة المرافقين للقوات المصرية والقوات العربية والقوات اليهودية وهم جميعاً برئاسة الجنرال « رايل » وكان معهم أيضاً الدكتور « لينهر » مندوب الهيئة الدولية للصليب الأحمر .... وكان مقرراً أن ينعقد الاجتماع فى الساعة العاشرة صباحاً من نفس اليوم ، فى دار القنصلية البريطانية وهناك دار

البحث فى اعتداء اليهود على هذه المنطقة المحرمة ونهب أثاث وأدوات الكلية العربية التى تقدر بعدة ملايين من الجنيهات واحتلالهم لعدة مبان أخرى ..

وكان قائد قوات الهاجانة الذى شهد المؤتمر هو الكولونيل «بابيم هالبين» . البولندى . وقد استمرت المناقشات والمجادلات حتى قدم الجنرال «رايلى» اقتراحه الخاص بعدم إطلاق النيران من الجانبين فى هذه المنطقة المحرمة لحين صدور إجابة الطرفين على النقط التى دار البحث حولها فى المؤتمر .

اعتداء اليهود :

وقد طلب الفقيد أن يسجل المؤتمر اعتداء اليهود على الأموال العربية بجانب اعتدائهم من الناحية العسكرية ، فقال الجنرال رايلى إن مسئولية ضياع مهمات وأثاثات الكلية العربية التى كانت فى عهدة الصليب الأحمر الدولى تقع على عاتق اليهود .. وأيده الدكتور «لينهر» مندوب الصليب الأحمر فى ذلك قائلا إنه يحمل اليهود مسئولية ضياع كل هذه الأموال والمهمات .

انتهى الاجتماع وكان مفروضا أن يبقى البطل فى مركز رئاسته، وأن يرسل بنتيجة هذا المؤتمر إلى الرئاسة العامة للقوات المصرية بفلسطين .. ولكنه فضل أن يذهب بها بنفسه رغم اقتراب المساء ورغم خطورة المرور فى الظلام .. وكان رحمه الله يهدف من وراء مخاطرته أن يشرح وجهة نظره بجانب ما يشرحه من تطورات المؤتمر على أن يعود فى صباح اليوم التالى حاملا معه رأى القائد العام، ليحدد موقفه على ضوء ما يتفق معه عليه .

في الطريق إلى مركز القيادة :

وغادر «أحمد عبد العزيز» قاعة المؤتمر بدار القنصلية البريطانية

فى الساعة الرابعة مساء قاصداً إلى « بيت لحم» فوصلها فى الساعة السادسة مساء ، إذ كان عليه أن يتخذ طريقاً غير الطريق الذى يخترق القدس الجديدة والذى يشرف عليه اليهود .. ثم غادر « بيت لحم » إلى مركز القيادة العامة .. فلم يكد يصل إلى منطقة « عراق المنشية » حتى كان بعض اليهود قد سبقوه إليها متنكرين فى زى الأعراب فنشبت بينهم وبين المدافعين معركة قصيرة ، انتهت قبل وصول القائد بقليل .

طلق ناري :

وفجأة دوى فى الفضاء طلق نارى خرج من اتجاه مستعمرة « جات» التى لا تبعد عن الطريق أكثر من ١٢٠٠ ياردة ، وإذا بالرصاصة تستقر فى كبد الفقيد ، وإذا به يسقط من العربة بعد أن أمسك بسلاحه ليستعد للدفاع عن نفسه وعمن معه من إخوانه الذين انتشروا حول العربة ، إذ كان وحده المصاب دونهم ..!

واستمر جرحه ينزف وهو يقوم تارة ويرقد تارة أخرى .. إلا أن هذا الألم لم ينسه أن يوجه زملاءه إلى المكان المستتر الذى يمكنهم الاختفاء فيه من النيران الطائشة التى كانت تنهال عليهم من مواقع المناضلين المدافعين ، إلى أن استطاع أحد زملائه أن يتسلل إلى مواقع هؤلاء المناضلين ليكشف لهم عن شخصية القائد وليأمرهم بإيقاف إطلاق النار ! ..

وقد تعلل المدافعون يومئذ بأنهم لم يكونوا وحدهم الذين يطلقون النار، وأنهم سمعوا طلقات آتية من يمين الطريق فاضطروا لإطلاق النيران فى اتجاهها رداً عليها ، إذ ظنوا أنها موجهة إليهم !

ولم يستطع زملاء الفقيد عمل شىء سوى ربط الجرح برباط الغيار

الميداني .. ولكن النزيف كان من السرعة والقوة بحيث ضاع كل أمل في نجاة القائد الجريح ، حتى صعدت روحه الكريمة إلى بارئها وهو على صدر أحد زملائه ، يوصيه بالمتطوعين أولا ، وبأولاده ثانياً ! ..

عجائب المصادفات:

ولعل من أعجب المصادفات أن القائد اليهودي الذي اشترك مع الفقيد في مؤتمر القدس ، لقي حتفه هو الآخر في نفس الوقت الذي مات فيه بطلنا الشهيد !

وهكذا قدر للقائدين أن يغادرا المؤتمر السالف الذكر ليلقى كل منهما حتفه ويذهب إلى عالمه الآخر .. فعجباً للأقدار ! ! ، .

أتمنى أن تكون نهايتى فى معركة ..

وفى الذكرى الرابعة كتبت مجلة الإذاعة :

الشهيد :

« ... سأموت الآن وكنت أتمنى أن تكون نهايتى فى معركة .. أوصيكم جميعاً بأولادى » .

تلك كانت آخر كلمات البطل أحمد عبد العزيز .. قالها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ودماؤه الزكية تنزف منه غزيرة تخضب رمال الصحراء ، وتروى شجرة الحرية التى تظل مصر اليوم .

ومات أحمد عبد العزيز لا فى إحدى المعارك التى خاض غمارها . لأنه كان دائماً منتصراً ، لا برصاص اليهود لأنهم لم يستطيعوا أبداً أن ينالوه . ولكنه مات شهيداً برصاصة طائشة ! !

كان ذلك فى مثل هذا اليوم منذ أربع سنوات خلت . حيث كان عائداً من مؤتمر بالقدس حضره مندوباً عن القوات المصرية لبحث المشاكل الخاصة بخطوط الهدنة .

وانقضى الاجتماع والشمس تميل وراء الأفق ، وظلمة الليل تزحف وئيدة تنشر ستاراً قاتماً على الصحراء ، والبطل يقود سيارته الجيب وإلى جانبه الصاغ صلاح سالم أحد أركان حربه ، وكان أحمد عبد العزيز فى طريقه إلى القيادة العامة ليخطرها بما دار فى الاجتماع فطلب إليه مرافقه أن يؤجل ذلك لليوم التالى لأنهما لا يعلمان كلمة « سر الليل » ، ولكن شجاعته أبت عليه أن

ينتظر للغد . فدفعت به إلى مصيره المحتوم ، إذ أطلق عليه أحد الحراس طلقة إنذارية ، ولكنها أصابت الشهيد واستقرت فى الكبد ، وورى جثمانه الطاهر فى المنطقة المجاورة لمقبرة شمشون الجبار فى غزة .

واليوم .. يحتفل ركن الجيش بذكراه الثالثة ، فيقدم الأستاذ محمود عيسى فى الخامسة والنصف حديثاً بعنوان « قصة بطل » ، ثم يقدم الأستاذ صالح جودت والبكباشى كمال عبد الحميد زيارة للميكرفون لمقبرة الشهيد .

رحم الله البطل أحمد العزيز ، وأنزله مكانة الصديقين والشهداء ، فقد وافاه الأجل المحتوم بعد أن سطر صفحة مجيدة فى تاريخ الجيش المصرى الباسل ، وضرب أروع الأمثلة فى البطولة والشجاعة والتضحية .



أحمد عبد العزيز ينال أمنية!



البطل الشهيد ... آخر صورة له. !



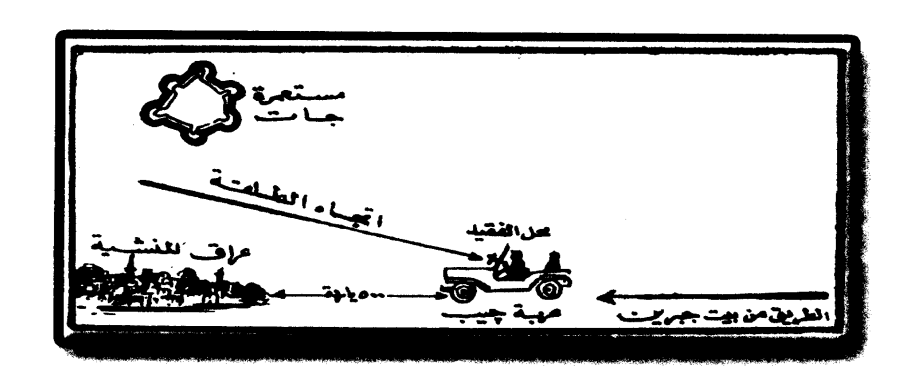
جثمانه الطاهر يحمله جنوده الأوفياء إلى مقره الأخير



صلاح سالم يكشف أسرار مقتل أحمد عبد العزيز

قائد الكوماندوس المصري

ما نشرته الصحف



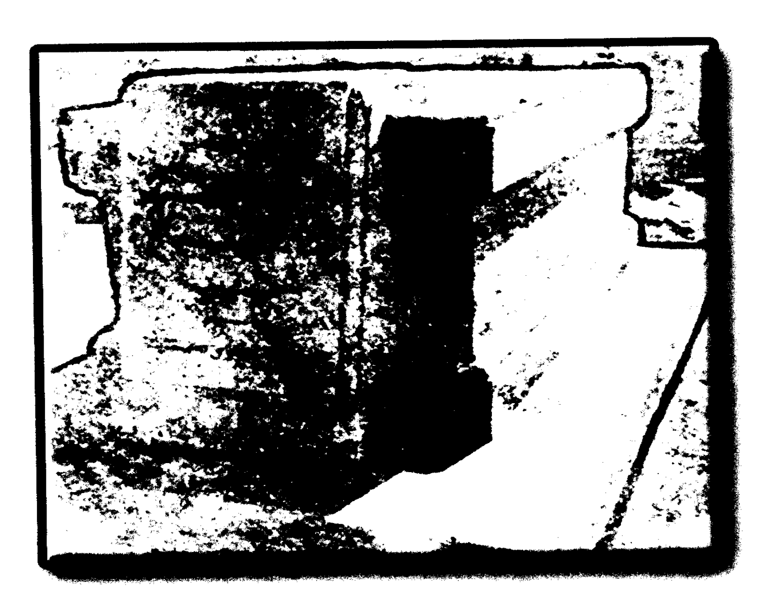
رسم يبين كيف أصيب البطل الشهيد برصاصة طائشة ..

أغسطس ١٩٤٨
كيف استشهد أحمد عبد العزيز





شهيد فلسطين ينقل إلى داخل سيارة الإسعاف التى حملته إلى مستشفى غزة



مقبرة أحمد عبد العزيز

هنا يرقد قبل نقل جثمانه إلى القاهرة

ابن أحمد عبد العزيز
يريد أن يكون بطلاً كأبيه

وفى الذكر الخامسة لاستشهاد البطل كتبت آخر ساعة تحقيقاً صحفياً تحت عنوان : « ابن أحمد عبد العزيز يريد أن يكون ضابطاً كأبيه » :

« تحتفل أسرة القائمام أحمد عبد العزيز بالذكرى الخامسة لاستشهاده فى يوم ٢٣ أغسطس الجارى .

وعند فجر هذا اليوم سيذهب أخوه الصاغ صلاح الدين شريف بسيارته الجيب ليضع باقة من الزهور على قبر أخيه البطل بمقبرة الشهداء فى الخفير .

ثم يعود بعد أن يقرأ الفاتحة على روحه .

وفى نفس اليوم ستزور مقبرة الشهداء ثلاث سيدات متشحات بالسواد لتضع كل منهن باقة من الزهور على قبر أخيهن البطل .

وفى هدوء ستحتفل الأسرة بذكرى أحمد عبد العزيز دون أن يشعر بها أحد.

ولكن ، أين مصر التى هللت للبطل فى كل موقعة من مواقعه .

أين مصر ، التى لبست الحداد يوم استشهاده .. أليس من حقها أن تساهم فى هذه الذكرى ؟

خمس سنوات تمر على استشهاد أحمد عبد العزيز ، وفى كل عام تحتفل الأسرة وحدها بذكرى البطل فى هدوء ، وكان أخوه يذهب إلى غزة لينوب عن أهله من الترحم على الفقيد العزيز .

ولكن اليوم .. فى ذكراه الخامسه .. وفى عهد الثورة .. أليس من حق مصر أن تساهم فى الاحتفال بهذه الذكرى لتقدم إلى جيش الفدائيين أروع أمثلة التضحية وإنكار الذات من قائد الفدائيين فى حرب فلسطين !

لقد كان أول ضابط أعلن عن رغبته فى مقاومة الخطر الصهيونى وتنحى عن منصبه فى الجيش .. ثم تقدم فى فلسطين ليقود جيش الفدائيين .

ولم يفكر أحمد عبد العزيز فى زوجته الشابة ، ولا فى طفليه الصغيرين ، وكان أحدهما رضيعاً لم يتجاوز الثانية من عمره .

وذهب .. وهو يفكر فى الواجب الذى يستحثه ويناديه .

وفى عزيمة وإيمان شق طريقه .. واستطاع أن ينال ثقة رجاله وإعجابهم ، وقالوا له : « سنكون طوع أوامرك ولو ألقيت بنا فى جهنم » ..

آخر رسالة إلى زوجته :

وفى القاهرة .. كانت زوجته على أحر من الجمر .. تنتظر فى كل لحظة خبراً جديداً عن زوجها الذى تتناقل الصحف أنباء مخاطراته على رأس الفدائيين .

وكانت الزوجة البارة فى قلق مستمر ..وضاعف من قلقها مرض والدتها التى كانت فى النزع الأخير ..

وكان أحمد عبد العزيز يعرف مقدار القلق الذى يساور زوجته فكان يبعث إليها برسالة فى كل أسبوع من بيت لحم ..

وتلقت الزوجه فجيعتها فى زوجها الحبيب بثبات عجيب .. وتقول

بعض سيدات أسرتها .. أنها بكت كثيراً .. ولكنها كانت تعرف أن البكاء لن يعيد إليها أحمد عبد العزيز ..

وفى اليوم التالى لنبأ الفجيعة .. وكانت سيدات الأسرة مجتمعات حولها يقمن بمواساتها .. حمل البريد إلى السيدة «حوروم» زوجة الشهيد رسالة منه وكانت آخر رسائله من بيت لحم ..

يوصيها بولديه :

وكان أحمد عبدالعزيز يوصى زوجته فى هذه الرسالة بولديه خالد الذى تركه فى السابعه من عمره «وليد .. وكان فى الثانية يحبو على قدميه.

بعد ٣ أسابيع ماتت حماته :

وبعد ثلاثة أسابيع من استشهاد أحمد عبد العزيز أصيبت الزوجة البارة بفجيعة أخرى فى والدتها .. وهى سيدة تركية تزوجت فى مصر من حفيد على باشا مبارك وأنجبت زوجة أحمد عبد العزيز وثلاثة من أشقائها .

ولا يعرف كثيرون أن السيدة والدة زوجة الشهيد كانت تعارض فى زواج ابنتها من أحمد عبد العزيز .

وأصر الشهيد .. وأصرت زوجته .. بل إنها اختارته من بين أكثر من خمسة تقدموا لخطبتها .. وتغلب الاثنان فى النهاية على عناد والدتها فقبلته زوجاً لابنتها .

وكان قلب السيدة العجوز قد تفتح للشهيد بعد زواجه من ابنتها لما لمسته من رجولته ومتانة خصاله .. وخشيت الأسرة أن يتسرب نبأ استشهاده إليها وهى فى فراش مرضها ..

ولكنها عرفت بالفجيعة من خادمة فى منزلها .. ولم تتحمل النبأ فأصيبت بأزمة قلبية .. ثم ساءت حالتها وماتت بعد ثلاثة أسابيع .

وعاشت الزوجة بعد ذلك .. وقد اتخذت من رسالة زوجها الأخيرة وصية خالدة تتحكم فى كل خلجة من تصرفاتها .

فهى تعيش اليوم من أجل ولديها .. بعد أن أصبحا كل شىء فى حياتها .

خالد يريد أن يصبح ضابطا :

وتقول أسرة الشهيد .. إن خالدا الابن الأكبر للشهيد عرف بفجيعته فى والده فى نفس اليوم الذى عرفته فيه والدته .

فقد كان فى السابعة .. وأدرك أن والده لن يعود ثانية .

ويشبه خالد والده إلى حد كبير .. ويقول عمه الصاغ صلاح شريف.. إنه يريد أن يصبح ضابطاً كوالده ..

وقبل حركة الجيش .. حاول عمه أن يثنيه عن رأيه .. وكان يعمل على أن يحببه فى أن يكون طبيباً .

ولكن خالد كان عنيداً ... وكان يصر على أن يصبح ضابطاً كأبيه بعد أن يشب ويكبر ..

أما وليد .. فهو يقلد أخاه فى كل شىء .. ويريد أن يصبح مثله حتى فى مستقبله .

الفدائيون فى الزمالك :

وفى منزل الأسرة بالزمالك .. يحتفظ خالد فى حجرة نومه بالحزام

الذى كان يرتديه والده يوم مصرعه .. وهو حزام من القماش السميك وقد تلطخ ببقع من دم الشهيد .

وحاول عمه أن يأخذ منه الحزام ليحتفظ به كذكرى لأخيه .

وعده بأن يحتفظ به ثم يعطيه إياه عندما يكبر ويصبح ضابطاً ..

ولكن خالدا رفض .. وأصر على أن يبقى الحزام فى حجرته .. وقال لعمه :

- أريد هذا الحزام حتى ألبسه عندما أصبح ضابطاً فى الجيش ..

ويتكلم خالد الفرنسية والتركية والعربية بطلاقة .. وقد تعلم التركية عن والدته وجدته .. والعربية عن أبيه .

أما الفرنسية فقد تعلمها فى المدرسة حيث يدرس فى مدرسة الليسيه.. وقد نجح هذا العام ليتقدم للحصول على شهادة الابتدائية من القسم الفرنسى فى العام المقبل .

وأمام المنزل فى شارع حشمت بالزمالك يلعب خالد وأخوه وليد مع أبناء الجيران ...

وفى العام الماضى نجح خالد فى أن ينظم من أبناء الجيران جيشًا يتكون من عشرين طفلا ..

وفى هذا العام قبل أن يسافر إلى تركيا سمع عن الفدائيين فأطلق على جيشه اسم « جيش الفدائيين » ونصب نفسه قائداً أعلى لهذا الجيش ..

وكان عمه يزور بيت أخيه .. وإذا به يفاجأ بخالد وهو يقول له :

- ياعمى .. الجيش بتاعى أصبح مستعداً ..عاوزنا نحارب فين !

وضحك الصاغ صلاح شريف وقال لزوجة أخيه : « إن خالدا يشبه والده إلى حد كبير .. ومن شابه أباه فما ظلم » !

وسمع خالد ما قاله عمه .. فقال له :

ـ بابا كان بطل .. مفيش حد يشبهه !

وسكتت والدته .. ثم خرجت من الحجرة لتمسح دمعة ترقرقت فى عينها .

لقد أثارتها الذكرى .. هى التى ترفض أن تتزوج ووهبت نفسها لتربى ولديها من أحب عزيز إليها وهو أحمد عبد العزيز » .

قصة عمرها عشر سنوات

كما كتب الأستاذ حلمى سلام فى مجلة الإذاعة المقالة التالية تحت عنوان : « قصة عمرها عشر سنوات ..شهيد يكتب عن شهيد وتظل القصة ناقصة » :

« عندما كانت حرب فلسطين دائرة ، كان من حظى كإنسان ، وكمصرى ، أننى عشتها .. عشتها معركة معركة ..وطلقة طلقة .. .وبلاغاً بلاغا .. لم أحارب مع المقاتلين فى ميدانها ، ولكنى حاربت من ورائهم .. وحاربت من أجلهم ، وحاربت لحسابهم .. كانت انتصاراتهم تهزنى ، وتهز معى قلمى .. وكانت هزائمهم تستثيرنى ، وتستثير معى قلمى بل الحق أن قلمى لم يكن يملك أن يثور مثلما كانت تثور نفسى .. وربما يكون من الخير أن أعترف لك الآن أننى كثيراً ما كذبت .. كذبت وأنا أكتب عن حرب فلسطين ومقاتلينا فى حرب بفلسطين .. ولم يكن معقولا حينذاك أن لا أكذب . ولقد كان الصدق فى مثل تلك الظروف شيئًا أقرب ما يكون إلى الخيانة .. خيانة الوطن .. وخيانة القضية التى ذهب جيشنا إلى أرض فلسطين ليحارب من أجلها ، بغض النظر عن الظروف التى ذهب فيها الجيش إلى هناك .. وبغض النظر كذلك عن مدى قوته ،وعن مدى استعداده للمعركة التى صدرت إليه الأوامر فجأة .. وبلا أى إعداد ولا مقدمات ، بأن يخوضها !

ولكن .. لماذا كذبت ؟ !

الآن أستطيع أن أقول لكم ..

المؤكد أننى لم أكذب لكى أخون .. وإنما كذبت لكى أقوم بدورى فى المحافظة على معنويات المقاتلين فى أول معركة يخوضونها ، ولكى أقوم

بدورى فى المحافظة على معنويات الشعب الذى كان المقاتلون ..... يعتبرون قطعة من قلبه ، وكانوا زهرة أمانيه وآماله .

وكذبت لأحمى المقاتلين أنفسهم من أن يفقدوا الأمل بالشعب الذى كانوا يقاتلون وقد أحاطت بهم هالة كبيرة من مؤازرته وحماسه .

كنت أعرف أخبار الذخيرة الفاسدة ، والاستعداد الفاسد ، والقيادات الفاسدة .

كنت أعرفها حرفاً حرفًا ، وتفصيلا من ورائه تفصيل ، لكننى - والمعركة دائرة - لم أكن لأسمح لنفسى بأن ألمّح إلى شىء من كل ذلك ، حتى ولا مجرد تلميح ، وإنما استطعت أن أنتصر على نفسى .. استطعت أن أنتظر ، وعندما سكت دوى المدافع ، وتوقفت تماماً طلقات الرصاص .. تكلمت..

قلت - فى سلسلة من المقالات تجاوزت العشرين مقالا - كل ما لم يكن جائزاً قوله والقتال دائر ، وشرف جيشنا يتأرجح فى مهب الريح !

كفرت عن كذبى الذى شاء الله له ألا يطول ،ونفثت عن صمتى الذى كان قد أوشك أن يحرقنى .

فأخرجت إلى النور كل الحقائق التى كنت قد حبستها ، عامداً ، داخل صدرى ، ورضيت لنفسى فى وقت ما أن أسير بها بين مواطنى كما يسير حامل الميكروب بين الناس ، يحسبونه صحيحاً ،وليس به ، فى الحقيقة ، من شبهات الصحة قليل ولا كثير !!

لقد كانت حرب فلسطين درسًا ، وكانت تجربة ، واستطاعت بعد ذلك أن تكون - وهذا هو الأهم - نقطة تحول خطيرة فى تاريخنا ، فبين نيرانها، ولدت فكرة الثورة .. الثورة على الطغيان ، والفساد ، والظلم .

وبين نيرانها ، ورمادها ، كبرت هذه الفكرة ، ونضجت ، وتبلورت .

وعادت من أرض القتال وقد أصبحت حقيقة .. حقيقة قوية كبيرة تعرف كيف تستفيد من كل يوم ، ومن كل ساعة .. من كل خطأ يقع فيه الحكام ومن كل خطيئه يرتكبونها ، لتفرض نفسها على من كان بهم شىء من التردد فى تقبلها أو شىء من التردد فى الاستجابة إلى ما تريد أن تلقيه على أكتافهم من تبعات جسام !

وكما تشق السكين طريقها فى قالب الزبد .. شقت الفكرة .. فكرة الثورة التى ولدت بين النار والرماد فى أرض فلسطين ، طريقها إلى قلوب الأحرار فى جيشنا . الضباط الذين اكتوت نفوسهم هناك بالذخيرة الفاسدة ، والقيادات الفاسدة ، والاستعداد الفاسد !!

وكل ما حدث بعد ذلك .. أنت تعرفه .

* * * *

لكن الذى لا تعرفه ، هو أننى عدت فى الأسبوع الماضى ، وبمناسبة مرور عشر سنوات على حرب فلسطين ، فعشت المعركة مرة ثانية ، عشتها ذكريات قديمة ، وأوراقاً قديمة كالذكريات .

إن بعض ما فى هذه الأوراق نشرته فى زمن مضى ، وبعضه أستطيع الآن أن أنشره ، وبضعه الآخر لا أستطيع أن أنشره قبل أن تمر على هذه الحرب عشرون سنة أخرى ، وربما ثلاثون ، وربما لا يؤذن ، على الإطلاق ، أوان نشره ! !

وبين هذه الأوراق التى رجعت إليها لأقلب بمناسبة مرور عشر سنوات على تلك المعركة .

وجدتها .. ورقة صغيرة جداً . كتب فيها ، وبالقلم الرصاص بضعة سطور قليلة ، كتبها صاحبها لتكون - فيما أظن - بداية لقصة .

قصة عن شهيد من أبطالنا .. عن أحمد عبد العزيز .

ثم شاء القدر ألا يتم الكاتب قصته .

لقد استدعاه الواجب إلى ميدان القتال ، فذهب إليه .

وكأحمد عبد العزيز .. لم يعد من هناك ! !

وأمسكت بالورقة الصغيرة التى شاءت الصدف الغريبة أن تحملها سطوراً دامية .

سطوراً كتبها شهيد هو البطل أحمد فهيم بيومى ، عن شهيد آخر هو البطل أحمد عبد العزيز ، وتركها ناقصة تحتاج لمن يكملها !

أمسكت بهذه الورقة الصغيرة الغريبة ، ومضيت أتأمل ما كتبه فيها البطل الشهيد .

لقد جعل عنوانها : « الراحة الكبرى » ، وتحت هذا العنوان الغريب الذى كتبه أحمد فهيم بيومى دون أن يحس إنه هو نفسه كان مقدماً على هذه « الراحة الكبرى » مضى يقول :

« كان صاحبنا يطالع جرائد الصباح كعادته يوميًا ، وإذا به يبصر بين قرارات مجلس الوزراء قراراً بتعليم أبناء فقيد الوطن مجاناً حتى التعليم الجامعى . فتمتمت شفتاه رغماً عنه مناجيه هذا الشهيد الراحل قائلا : « لتنم الآن هادى البال يا أحمد فقد رعى الله أولادك » .

« والحق .. لقد كان صاحبنا حائرا طوال أيامه السابقة كانت كلمات

الفقيد الأخيرة لا تزال ترن فى أذنيه ، إنه ليذكر ذلك اليوم العصيب الذى قضاه وإياه فى القدس فى إحدى المؤتمرات مع مندوبى الهدنة ، من أجل إقرار بعض المطالب . لكم أصر الفقيد على مطالبه ، وألح فى سرعة البت فيها، رغم أنه لم يكن لديه الوقت الكافى ليتصل برئاسته ، فاضطر وقد أسدل الليل ستاره أن يأخذ العربة وإياه ليصلا إلى الرئاسة قبل منتصف الليل ، كى يطلعا القائد العام على كل ما هو مطلوب ، ولم يكن هذا الشهيد يعرف إنه يسعى لحتفه !» .

لقد ركب بجوار صاحبنا ، ومرقا - ومن معهما بالعربة - مروق السهم، لا تخيفهم ظلمة الليل ، ولا وعورة الطريق .

لقد أمنا من كل خوف ، لأنهما فى الأراضى التى تحتلها قواتنا المصرية ، ولكن .. يؤتى الحذر من مأمنه ، فما كادا يقطعان نصف الطريق حتى سددت إليهما طلقة واحدة .. نفذت فى قلب الفقيد !!

لكم حار صاحبنا فى تصاريف القدر ، فقد كان « أحمد » يميل عليه ليحادثه ، ولو أنه كان معتدلا فى جلسته لمرت الطلقة دون أن تصيبه !!

وسرعان ما أوقف صاحبنا العربة ، إذ توالت - بعد ذلك - الطلقات المذرة ، ونزلوا جميعًا منها ليحتموا خلفها ، لقد همس « أحمد » فى أذنه : «لتعمل لى شيئاً يا صلاح ، من أجل أولادى » !!

إنها آخر كلمات فاه بها الفقيد ، وما زالت ترن فى أذنيه .. ولكم حار وقتئذ فى أمره ، إنه لا يقوى على عمل أى شىء ، فالرصاص منهمر عليهم انهمار الغيث ، ولكن هذه الكلمات .. كلمات الشهيد ، دفعته إلى النهوض والتقدم تحت وابل هذه الطلقات ، ليصيح فى الجنود :

« إننا ضباطكم » ولكن ، أنى لهم أن يستمعوا إليه ، لقد ضاع صوته وسط أصوات الرصاص !!

وظل صاحبنا يقترب من مراكز الجنود ، وهو دهش من أمره إن أول طلقة أطلقها هؤلاء الجنود قد أصابت زميله ، ثم هاهى ذى الطلقات تتوالى عليه فلا يصيبه منها شىء !! إنها تصاريف القدر وأحكامه التى لا تخيب !!

وظلت كلمات الفقيد ترن فى أذنيه « .. من أجل أولادى من أجل أولادى » فصارت تدفعه دفعاً حتى تمكن من إفهام الجنود أنهم من ضباطهم ، وأن أحدهم قد أصيب !!

وعندما سكن المكان ، وصمتت المدافع والبنادق ، علا صراخ الأمة المصرية المكتوم .. لقد فجعت فى فلذة كبدها ، وأعز أبنائها .لقد فاضت روحه إلى خالقها !

وهناك .. فى أحد المواقع النائية الهادئة ، ظل جثمانه مسجى ، وكلماته ترن فى أذن صاحبنا « من أجل أولادى .. »

لقد تخيل هذين الشبلين وقد تناهى إلى أسماعهما نبأ استشهاد والدهما، ورآهما وهما ...

* * * *

وعند هذا الحد توقف فهيم بيومى فلم يكمل .. لم يكمل ما أراد أن يقوله عن أولاد زميله البطل أحمد عبد العزيز .

فلماذ ا لم يكمل فهيم القصة .. ؟ !

لا أدرى .

هل ناداه الواجب العسكرى ساعة أن كان ماضيًا فى كتابتها فنحى قلمه جانباً ، وقام مسرعاً فارتدى ملابس الميدان ، ثم ذهب إلى هناك ليصبح - خلال أيام قصار - كأحمد عبد العزيز شهيداً لا يعود ؟

ربما ..

ولكن .. ما الذى جاء إلى أنا بهذه السطور الناقصة الباقية من حرب فلسطين ، وفى أى الظروف أخذتها من كاتبها ؟!

لقد كان فهيم بيومى من هواة الكتابة ، والأدب ، والصحافة .وكثيراً ما أعطانى ما كان يكتبه لأقول له رأيى فيه .

ولكنه لم يكن يعطينى إنتاجه ناقصًا أبدا ، كان دائمًا ينتظر إلى أن يكمله ثم يعطيه لى ، وهذه القصة ، قصة الظروف التى استشهد فيها البطل أحمد عبد العزيز ، ليست كاملة ، إنها ناقصة كما قد رأيت وستظل إلى الأبد ناقصة ، فلماذا دفع بها بيومى إلى قبل أن تكمل ، وفى أى الظروف دفع بها إلى ؟

لا أدرى ..!

لكن الأغراب من هذا كله ، الأغرب من هذه القصة التى كتبها شهيد عن شهيد ، ثم تركها ناقصة لاتجد من يكملها ، ولا تجد من يستطيع حتى أن يستنتج ماذا كان يريد أن يقول فيها .

الأغرب من هذا ، هو ذلك التوافق العجيب فى الظروف التى جمعت بين الشهيدين فى حياتهما ، وفى استشهادهما .

فأحمد عبد العزيز كان يحمل رتبة البكباشى عندما استشهد فى

ميدان القتال ، ثم أنعم على اسمه برتبة القائمقام بعد استشهاده . ونفس الشىء حدث لفهيم بيومى

وأحمد عبد العزيز كان خريج كلية أركان الحرب وأستاذاً بالكلية الحربيه ، وكذلك كان فهيم بيومى . كان خريج كلية أركان الحرب وكان أستاذاً بها عندما استدعاه الواجب إلى ميدان القتال .

وأحمد عبد العزيز استشهد بينما كان يستقل عربة « جيب » وهو فى طريقه إلى قائد عام القوات ، وكذلك استشهد فهيم بيومى ،كل الفرق أن أحمد عبد العزيز قتل خطأ برصاص جنودنا ، وفهيم بيومى قتل عمداً برصاص اليهود الذين انقضوا على سيارته عندما كان فى طريقة من رفح إلى غزة تلبية لدعوة لاسلكية تلقاها من قائد عام القوات !!

وأحمد عبد العزيز تستطيع أن تقرأ اسمه فى لوحة الشرف بالكلية الحربية بوصفه طالبًا متفوقًا فيها ، وفى نفس اللوحة .. لوحة الشرف ، سوف تجد اسم الشهيد الآخر أحمد فهيم بيومى .

إن أحمد عبد العزيز لم يكن من دفعة فهيم بيومى ولم يكن من سلاحه ، ولم يكونا صديقين .

فما الذى حرك قلمه ليكتب عن أحمد عبد العزيز ، ثم لا يكمل القصة ..؟

لقد كان يجب أن أكون أنا أكثر من يعرف .

فقد كنت صديقًا للشهيدين ، وبين أوراقى وجدت القصة الناقصة التى فكر أحدهما فى أن يكتبها عن الآخر ، ثم بدأها ولم يتمها ! ومع ذلك ، أنت ترى أننى لا أكاد أعرف من كل ذلك شيئاً !

وبعد....

فإنها ليست أول ورقة صغيرة عمرها عشر سنوات احتفظت بها بين أوراقى ، فبين هذه الأوراق .. أوراقى ، ما يعتبر أقل من هذه قيمة ، وأصغر منها شأناً ، ولكننى ، مع ذلك احتفظت به ، فمن يدرى ماذا ستصنع الظروف غداً بهذه الأوراق الصغيرة التى قد لا يكون لها اليوم قيمة ولا تحرك فى الإنسان خاطراً ولا توحى إليه بمعنى كبير أو صغير !!

لقد علمتنى التجربة أن لكل ورقة ، لكل سطر ، لكل حرف قيمته .. قيمته التى إن لم تنفعنى اليوم .. فلابد أن تنفعنى غداً .

وكثيراً ما كدت أتمزق غيظاً لأن ظروفاً معينة ذكرتنى بأوراق كنت أعرف أننى محتفظ بها . فلما عدت أبحث عنها وجدتنى قد مزقتها .

ولعله من حسن الحظ أننى لم أمزق ، فيما مزقت ، هذه القصة الناقصة التى كتبها بطل عن بطل .. وشهيدعن شهيد ، !

(حلمي سلام)

كما كتب السيد محمد عبد العزيز التبشتى الواعظ بالجيش عن البطل أحمد عبد العزيز قائلا :

« اسم سيظل مع الزمن .. ويذكر كلما ذكرت حملة فلسطين .. طلب إحالته إلى الاستيداع قبل تحرك الجيش إلى فلسطين .

قاد المتطوعين الفدائيين ، وهجم بهم على مستعمرة دير البلح ،ثم تقدم إلى غزة وسار بهم حتى اقتحم مستعمرة كفار عصيون ومستعمرة رامات راحيل ثم استرجعها اليهود ، فعاود الهجوم عليها من جديد .

وصل فى زحفه إلى الخليل وبئر سبع وبيت لحم فربض فيها يكيل للصهيونية فى القدس الجديدة ما أثار إعجاب العرب وفزع اليهود .

صاحب فلسفة فى الحرب والجهاد .. كان يتحدث إلى جنوده عن الموت فوصلوا إلى حد الرغبة فيه ، واعتمد فى عملياته الحربية على خفة الحركة والمفاجأة فكان قبسًا من روح الحق يصرع الباطل فيهوى به إلى العدم، بل كان المثال الحى الذى تضربه الإنسانية الناهضة لتعلم الناس كيف يكون الجهاد الحق فى سبيل الذود عن حمى الأوطان . كان إيمانه قوياً ملأ قلبه واستحوذ على مشاعره ، وكان المصحف الشريف لا يفارق ملابسه العسكرية، يتلو آيات الله قبل نومه وعند يقظته ووقت فراغه .. إذا ابتدأت عملياته الحربية تقدم جنوده بهذا الإيمان القوى .

فى أثناء المعارك التى دارت فى عين كارم والملحة تقدم بسيارته (الجيب) ومعه مساعده نحو الخطوط الأمامية ، ثم والى المسير تاركاً جنوده

وراءه غير عابئ بالرصاص الذى كان يتطاير حوله ، ولما نبهه مساعده إلى الخطر نظر إليه مبتسماً وهو يقول : ﴿ قل لَن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .

جاءه خبر بأن الأعداء وضعوا الألغام فى طريق إحدى السرايا التى بعثها للهجوم على إحدى المستعمرات اليهودية ، وخشى منها على أفراد السرية فذهب بنفسه من طريق آخر ومعه مفجر الألغام فطهر الطريق قبل وصول السرية ، ولما حدثوه عن خطورة عمله قال : « أتستكثرون على أن أطهر موضع أقدامكم مرحباً بالموت فى سبيل نصركم ؟ »

كان عليه أن يعرض أمراً هامّا على القائد العام للقوات المصرية بفلسطين فى المجدل ، فغادر بيت لحم عصر يوم ١٩٤٨/٨/٢٢ . لم يصغ لنصيحة ضباطه بتأجيل سفره إلى صباح الغد .. فالأمر فى نظره هام يتطلب حتى المغامرة ، وفى المساء كانت العربة التى تقله تسير على مقربة من عراق المنشية ـ المنطقة التى دأب اليهود فيها دائماً على خرق الهدنة ـ وكانت أوامر قائد المنطقة (البطل السيد بك طه) صريحة بضرب كل عربة تمر على الطريق فى ظلام الليل ، وهكذا استشهد البطل أحمد عبد العزيز بطلقة طائشة اخترقت الكبد .

حزنت عليه الأمة المصرية ، والشعوب العربية ، والعالم الإسلامى ورثاه الحلفاء بعبارات الأسف البالغة ، ونعاه الأعداء بعبارات التقدير والاحترام.

****

كان البطل أحمد عبد العزيز عظيماً فى كل نواحيه .. كان مدرسة .

يحتاج إلى كتاب عنوانه : « البطولة الحية » تحاك فيه قصصه ومغامراته ليكون نبراساً للشباب الحر الجرىء .

ولازال قبره فى غزة يحج إليه الألوف من المجاهدين وغيرهم ينثرون فوقه الورود والرياحين ، ويتمثلون عنده أروع أمثلة البطولة وقد كتبها بدمه الزكى الطاهر لأجيال العروبة المقبلة . فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم مات ويوم يبعث مع الشهداء حياً .

تكريم أحمد عبد العزيز

تمثال للبطل يتسلمه نائب المشير عامر

وفى كل عام وفى ذكرى استشهاد البطل العربى تقام حفلات لتكريمه وكانت آخر هذه الحفلات قبيل إصدار هذا الكتاب ، تلك التى أقيمت بقاعة الغرفة التجارية فى مساء السبت ١٧/٩/١٩٦٠ وحضرها اللواء عبد الله الغزولى، نائبًا عن المشير أركان حرب عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة وأزاح فيها الستار عن تمثال نصفى للبطل الشهيد وهو بملابس الفدائيين .

وقد تقرر أن يتسلم سيادته هذا التمثال لتحتفظ به القوات المسلحة بعد أن رفض قادة الجيش فى عهود الظلم والطغيان والملكية العمياء أن يتسلموه .

لقد خافوا من تمثاله ..

وقد تحدث في هذا الحفل الدكتور محمد مندور قائلا :

« ما من شك فى أن أحمد عبد العزيز قد ضرب مثلا رائعًا فى البطولة والفدائية وأنه لحبيب إلى نفس كل مواطن أن لا ينسى مثل هذا الشهيد وأن يحقق رجاءه فى أن يقام هذا التمثال فى قلب فلسطين ونلتقى حوله بعد أن نحرر فلسطين ..

ثم قال :

وإذا كان تاريخ هذا الشهيد العظيم لم تكتب تفاصيله حتى اليوم فإنى استطعت أن أستشف روحه العالية وإدراكه الناضج الغزير » .

ثم تحدث السيد عبد المجيد صالح مدير عام الغرفة التجارية بالنيابة عن مجلس إدارتها وموظفيها عن دور البطل فى معركة فلسطين .

وألقى الشاعر على الجمبلاطى كلمة الشبان المسلمين محدثاً عن أحمد عبد العزيز عبقرى الشجاعة والوجدان

ثم تحدث اللواء طبيب أحمد توفيق عن ذكرياته مع الشهيد منذ أن كان طالباً فى الكلية الحربية قائلا :

« إن أحمد عبد العزيز كان عدوا للصهيونية ، مؤمنا تمام الإيمان بقوميته العربية ، وكان مجرد ذكر اسم أحمد عبد العزيز يلقى الرعب فى قلوب اليهود ، وإنهم يوم استشهاده أقاموا فى نيويورك احتفالا كبيراً أقيم مثله فى فلسطين »

ثم تحدث الدكتور محمد غنيم الأستاذ بجامعة القاهرة عن بطولة أحمد عبد العزيز الإنسانية قائلا :

« إن أحمد عبد العزيز لم يذهب إلى ميدان المعركة إلا عن اقتناع ذهب مؤمناً بقضيته إيماناً ثابتاً لا يتزعزع ولا تؤثر فيه الأحداث ، وهذا الإيمان بالعقيدة هو الذى يكسب الحياة معنى » .

ثم تحدث السيد جميل عرفة ، مستشار حكومة فلسطين وسكرتير جيش الكفاح عن معركة فلسطين ودور البطل أحمد عبد العزيز قائلا :

« فلسطين الأرض الطيبة التى استأثرت بدماء الأبطال لتظل صيحاتها داوية من تلك الربوع التى تئن الآن تحت أقدام الصهيونية الغادرة .

ثم تحدث المجاهد الليبى صالح بوصيرى وربط بين استشهاد أحمد عبد العزيز واستشهاد عمر المختار ، فقد كان أحرار ليبيا يحتفلون فى نفس

اليوم الذى استشهد فيه أحمد عبد العزيز ، بالشهيد العربى عمر المختار عندما وصلهم خبر استشهاد أحمد عبد العزيز .

وقال :

« إننى مؤمن تمامًا أن فلسطين عائدة لا محالة إلى العرين العربى قطراً عربياً قوياً » .

وبعد ذلك ألقى العقيد صلاح الشريف كلمة أسرة البطل قائلا

« إن البطل أحمد عبد العزيز كان يؤمن بأن حياة العرب فى الوحدة» .



خالد مع والده البطل أحمد عبد العزيز



هدايا من ميدان القتال !

[illegible] شبلان هما « خالد » و « وليد » [illegible]
قائد « الكومندور » . [illegible] الهدايا التي [illegible]
[illegible] والدهما في ميدان القتال .. ولم [illegible] خالد أن [illegible]
[illegible] يقبل والده عندما يعود الى ميدان القتال .. [illegible]



خالد ابن الشهيد - يريد أن يصبح ظابطاً
وقائداً للفدائيين تماماً كما كان والده



خالد و وليد

ولدا الشهيد يلعبان فى حديقة المنزل



خالد وابن عمه

الإستعداد منذ الصغر لكى يصبحا فدائيين



قائد الكوماندوس المصرى

البكباشى أحمد عبد العزيز قائد الطابور المصرى السريع الحركة، والذى يكون طليعة القوات المصرية فى بيت لحم يصدر أوامره بالهجوم على القدس

النمر ... قائد الكوماندوس

استكمال المسيرة
اللواء أركان حرب صلاح شريف
شقيق البطل أحمد عبد العزيز

بقلم نجله رجال الأعمال العقيد مهندس بالمعاش/يحيى يونس شريف صلاح شريف .

لقد انطبعت صفات النبل والبطولة فى أفراد هذه الأسرة المصرية .

فالوالد الأميرالاى محمد عبد العزيز بطل المواجهة مع الاحتلال البريطانى أثناء ثورة ١٩١٩ وشقيقه عمر عبد العزيز الشهيد فى مظاهرات ثورة ١٩١٩ وأحمد عبد العزيز بطل حرب فلسطين .

أما هو فقد سار فى طريق خدمة الوطن حتى أصبح قائداً لسلاح المدرعات المصرية حتى آخر لحظة فى حياته يوم ٢١ يوليو ١٩٧٢ ، حيث فارق الحياة فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، لإصابته بمرض خبيث من أثر كدمة فى فخذة الأيسر أثناء وجوده بجبهة القنال ، ولم يمهلة المرض سوى عدة اشهر كان يسابق الموت خلالها لإنجاز أكثر ما يستطيع لإعداد القوات المدرعة لحرب تحرير سيناء .

لقد صعدت روحه إلى بارئها وسط أسرته وزملائه من قادة القوات المسلحة وعلى رأسهم نائبه اللواء أركان حرب كمال حسن على الذى اصبح فيما بعد قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للدفاع ثم رئيسا للوزراء .

وقبل وفاته حضر لزيارته الفريق محمد صادق القائد العام ومعه رئيس الأركان سعد الدين الشاذلى وقال له ، يا صلاح لقد قمت بإعادة بناء المدرعات من الصفر بعد يونيو ٦٧ كما أعدت الثقة إلى الضباط وأطقم

الدبابات وقمت بتدريبهم وتجهيزهم حتى أصبحوا على أتم استعداد للمعركة ، لقد أديت ما عليك ، إلا أن فقدانك خسارة جسيمة للقوات المسلحة المصرية .

بطولته أثناء حرب فلسطين

لأنه لم يكن يحب التحدث عن نفسه فلم أعرف عن مآثره سوى ما سمعته عن طريق زملائه وتلامذته من ضباط القوات المسلحة .

ويوم الوفاة وبعد الجنازة العسكرية المهيبة ، أصر الفريق محمد صادق وقادة القوات المسلحة على الحضور إلى المنزل لتلقى العزاء من الضباط الذين لم يتمكنوا من الوصول فى موعد الجنازة لبعد وحداتهم عن القاهرة .

وبينما أتلقى العزاء وصل السيد اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية السابق ، و عانقنى بشدة وهو يبكى ويعتذر لعدم تمكنه من الوقوف على قبر أبى ، لأنه يسكن فى ضاحية المرج وتصله الجرائد الصباحية متأخرة ، واستغربت من ترديده عدة مرات (ياليتنى كنت أستطيع أن أفديك بروحى يا صلاح حتى أرد لك جميلك على) .

وحين جلس فى البهو وسط الحاضرين قال ... لقد ضحى صلاح بحياته مختارا ليهبنى الحياة ومع ذلك لم يقبل منى حتى الشكر .

عندما كنت قائدا للقوة المصرية فى الفالوجة بحرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكان صلاح فى مستشفى القبة بالقاهرة حيث يعالج من إصابة فى الرئة ولم يكتمل شفائه بعد ، وفور علمه باستشهاد شقيقه البطل أحمد عبد العزيز ترك المستشفى واتجه للجبهة بدون تصريح .

ولحالة الإعياء الشديد البادية عليه أبلغته بؤنه لا يمكننى أن أدفع به

إلى الخطوط مع العدو ولكنى سأعينه قائدا لحملة سيارات المستشفى الميدانى فى الفالوجة ليكون تحت الرعاية الشخصية للدكتور مظهر عاشور قائد المستشفى .

وأثناء القتال قامت القوات الإسرائيلية بحصار الفالوجة نتيجة لتقاعس القوات العربية عن القتال وتركها للجيش المصرى وحده لمواجهة قوات تتفوق عليه بعدة مرات .

وأثناء قيامى بالاستطلاع على خط المواجهة ، تم تبادل لإطلاق النار وأصبت فى صدرى ، وتم نقلى إلى المستشفى والدم ينزف منى بغزارة ، وكنت فى حالة أشبه بالإغماء ولا أدرى كثيرا مما يدور حولى ، ثم سمعت صوتا يقول أين الأميرالاى محمد نجيب .

وأحسست بقطرات من الماء تقع على وجهى ، ففتحت عينى ، وإذا بصلاح ينظر إلى وهو يبكى .

وبمجرد أن رأى عيناى تفتحان أسرع يستدعى الطبيب ليقوم بإسعافى ، وسمعته يشتبك معه ويعنفه بشدة ، كيف كتب فى تقريره أنه لا يوجد نبض ، ثم وضعنى مع القتلى ؟ ورد الطبيب بأنى فى حكم الميت فلا توجد إمكانيات بالمستشفى أو بلازما لعمل جراحة لاستخراج الرصاصة ، كما أن المستشفى محاصر ولا يمكنه عمل أى شىء ، وخلال ساعتين أو ثلاث أكون قد توفيت .

وانطلق صلاح وأحضر عربة إسعاف ، وأبلغ قائد المستشفى بأنه سيقودها وحده و سيخترق الحصار على مسئوليته ، وعندما حاول أن يثنيه لاستحالة المرور وسط العدو ، أجاب بأنه مستعد للتضحية بحياته لإنقاذ قائده ،

أما بالنسبة إلى الأميرالاى محمد نجيب فإن لم يخرج به من الحصار فورا فسيموت .

ووافق قائد المستشفى ، فانطلق بالسيارة فى وضح النهار وسط أزيز الطلقات وانفجارات قذائف المدفعية من حوله ، حيث قامت جميع المواقع الإسرائيلية بفتح نيرانها عليها ، وبفضل الله تمكن بأعجوبة من اختراق الحصار حتى عبر القنال ووصل إلى مدينة الإسماعيلية ، وكنت قد فقدت الوعى تماما نتيجة للنزيف .

وفى الإسماعيلية أدرك بأننى لن أستطيع الصمود حتى القاهرة ويجب دخولى فورا مستشفى بها إمكانيات لإنقاذى ، لهذا توجه إلى مستشفى هيئة قناة السويس الفرنسية ، وعندما رفضوا استقبالى بحجة كونها هيئة أجنبية ، دخل على مديرها ووجه المسدس إليه وهدده ، إن لم يأمر بدخولى إلى غرفة العمليات فورا سيطلق عليه النار ثم يطلق على نفسه .

وأدخلونى غرفة العمليات تحت التهديد ، وبعد أن انتهت العملية وتم إخراج الرصاصة من صدرى واطمأن أنهم قاموا بالواجب ، أعطى سلاحه إلى المدير الفرنسى وقال له إننى استسلم لك فافعل بى ما شئت ، لكن الرجل تأثر بشجاعته ووطنيته وإخلاصه لقائده وأعاد إليه المسدس قائلا (إننى أحنى رأسى لمن بمثل رجولتك وشجاعتك ووطنيتك) .

وشفانى الله ، وعاد صلاح إلى سلاح الفرسان ، وكلما حاولت الاتصال به لشكره كان يتهرب منى ، إلا أن القيادة العامة قامت بتكريمه والإنعام عليه بأعلى وسام للشجاعة وقتها وهو نجمة محمد على القرمزية .

وقامت ثورة ٢٣ يوليو وأصبحت رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا

للجمهورية ، و أصدرت تعليمات بإحضار صلاح إلى مكتبى ، وعاتبته على تهربه منى وقلت له إننى أحتل أعلى مركز فى البلد ، ولأننى مدين لك بحياتى فاطلب ما شئت منى أحققه لك .

فظهر الغضب على وجهه ورد قائلا ، إننى كنت أقوم بواجبى لإنقاذ قائدى فى الميدان ، وما أرجوه من سيادتك الآن هو أن تتركنى فى حالى ولا تقوم بمساعدتى بأى صورة كانت إذ أرى فى ذلك أهانه لى .

وبالفعل خشيت أن أقوم بمساعدته بأى صورة حتى لا يغضب ، ثم تبدلت الأحوال وتم اعتقالى واحتجازى لسنوات بفيلا بالمرج ، وعلمت أنه تعرض للمضايقة والاضطهاد ، فقد ظنوا أنه من رجالى ... لقد أنقذ حياتى ورفض أن أجازيه على صنيعه ثم تعرض للضرر بسببى فياليتى أفديه الآن بروحى ...

هذا ما قاله المرحوم اللواء محمد نجيب عن صلاح شريف أمام جميع الحاضرين ولم أكن قد سمعته منه طوال حياتى معه .

موقفه من الضباط الأحرار وثورة ٢٣ يوليو

لأنه شقيق البطل أحمد عبد العزيز ومن الضباط البارزين والمحبوبين فى سلاح الفرسان كما استطاع الحصول على شهادة الأركان حرب وهى أعلى دراسة فى الجيش وكان برتبة اليوزباشى (النقيب) فقد سعى الضباط الأحرار لضمه لصفوفهم ، وخاطبه فى ذلك عبد الحكيم عامر ، إلا أنه اعتذر لأنه يفضل البقاء فى عمله ، حيث يعتقد بأن القسم الذى أداه عند التخرج من الكلية الحربية للولاء للملك لا يمكن الرجوع عنه إلا فى حالة الاستقالة وترك الخدمة كضابط عامل .

ورغم عدم انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار كانوا على ثقة بشرفه وأنه لن يقوم بالوشاية بهم والتبليغ عن نشاطهم .

وهذا الموقف كان سببا فى إنقاذه من السجن فيما بعد ، ففى عام ١٩٥٧ تم اعتقاله بتهمة الاشتراك فى محاولة انقلاب فى المدرعات ضد عبد الناصر ، وكانت التهمة أنه علم ولم يبلغ .

وأثناء المحاكمة طلب شهادة المشير عبد الحكيم عامر ، الذى استجاب لطلبه وحضر للمحكمة ، وبين للقاضى بأن المتهمين عرضوا عليه الفكرة ولكنه عارضهم كما حدث قبل فى ثورة ٢٣ يوليو ... فلو كان من الوشاة كان المشير قد ذهب للمشنقة ولم يصبح القائد العام ، وتمت براءته والإفراج عنه ، إلا أن هذا الحادث لم يمر ببساطة .

في العدوان الثلاثي ١٩٥٦

كان الجيش المصرى عام ٥٦ لا يمتلك سوى آلاى واحد (٦٠ دبابة) من المدرعات الثقيلة المسماة جوزيف استالين وهى تعد أقوى المدرعات فى الاتحاد السوفيتى ، وكانت قد وصلت قبل الحرب بفترة قصيرة .

وكان برتبة (البكباشى) أى المقدم عندما تم تعيينه قائدا لهذه الوحدة ، فهو الوحيد الذى يستطيع القيادة وتدريب الضباط والجنود على هذا الطراز وفى وقت قياسى .

وعندما بدأت إسرائيل العدوان فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٦ تم دفع وحدته لعبور قناة السويس كقوة ضاربة للجيش ، وبمجرد دخوله لسيناء حدث التدخل الفرنسى البريطانى ، وأخذت الطائرات القاذفة الفرنسية والبريطانية تضرب

القوات المصرية شرق وغرب القناة ، وتم استدعائه للعودة فورا وبأى ثمن وباى قدر من الخسائر للدفاع عن القاهرة .

ولأن الطائرات المغيرة كانت تبحث بإصرار عن هذه الدبابات لتدميرها وعدم تمكينها من العودة والرجوع للقاهرة والاحتماء داخل الكتل السكانية ، فليس لديها سوى طريق واحد للعودة هو طريق المعاهدة (القاهرة الإسماعيلية) والذى تحده الأشجار من الجانبين ، ولهذا كانت الطائرات المعادية تحوم فوقه نهارا وتسقط قنابل الإضاءة ليلا لتدمير أى مركبة تتحرك على هذا الطريق .

ولخداع العدو أمر أطقم الدبابات بقطع أشجار من الحدائق بالضفة الغربية من القناة وتثبيت الجزع داخل فتحة برج الدبابة حتى تقوم الأفرع والأوراق بحجب الرؤية من أعلى ، وسار فى الطريق حتى وصل للقاهرة ، وعجزت الطائرات المعادية أن تكتشف دباباته حيث ظنتها أشجار على الطريق ، وبهذه الحيلة استطاع أن يعود بدون خسارة دبابة واحدة .

الإقصاء عن القيادة

فى عام ١٩٥٧ اتهم زورا بالاشتراك فى محاولة انقلاب بالمدرعات وبعد اعتقاله لمدة ثلاث أشهر ومحاكمته ثم الإفراج عنه للبراءة . ونقله من منصب مدير مدرسة المدرعات إلى مكتب تجنيد طنطا والذى كان يديره نقيب شرف واعتقد الحاقدين عليه فى القيادة أنه سيعتبر ذلك إهانة ويتقدم بنفسه بطلب إعفائه من الخدمة ، إلا أن ذلك لم يثبط همته ، حيث اتخذت مجهوداته منحا آخر ، لقد كان يؤمن بأنه يعمل للوطن ، وعاهد نفسه ببذل أقصى طاقته للرفع من شأن العمل الذى كلف به مهما كان يبدو متواضعا ولا يلائمة ، ولأن القيادة العامة كانت لا تستغنى عن خدماته ، قررت إن تستفيد

منه مع منعه من تولى الوظائف القيادية ، حيث خلصت إلى أنه رجل خطير يستطيع يكتسب حب من تحت قيادته من الضباط والجنود مما يشكل تهديدا للنظام ، فقد كان الولاء و المحسوبية هى الأساس لاختيار القيادات فى ذلك الوقت .

ولهذا لم يحال إلى المعاش عند ترقيته لرتبة العقيد عام ١٩٥٩ وتم نقله إلى منصب أركان حرب إدارة التجنيد بالقاهرة ، وخلال عمله شعر أن قانون التجنيد كان غير متزن وجائر وبه العديد من الثغرات فاتصل بعدد من القضاة وأساتذة الجامعة والتشريعيين لعمل مسودة لقانون جديد للتجنيد ، وظل يعمل نهارا فى مكتبه وليلا فى بيته حتى أنجزه فى وقت قياسى ورفعه للقيادة وتم اعتماده وهو القانون الذى لا يزال ساريا حتى الآن .

وعام ٦١ كانت القوات المسلحة تقوم بإنشاء أول فرقة مدرعة (الفرقة الرابعة) وتم اختيار اللواء طلعت حسن قائدا لها .

وطلب من صلاح أن يساعده فى تأسيس هذه الفرقة ، وبدلا من أن يكون قائدا للواء مدرع تم تعيينه رئيسا للشؤون الإدارية بالفرقة ، وكان ذلك مفروضا على اللواء طلعت حسن نتيجة للتقارير الأمنية .

موقفه من حرب اليمن

عندما نشبت حرب اليمن تنافس كثير من الضباط للذهاب هناك نظرا للعائد المادى والعلاوات إلخ ، إلا أنه رغم احتياجه كان يرى أن الاشتراك فى قتال مسلمين لا يكون حلالا فى حالة طلبه من أجل تحسين الحالة المادية، إلا أن يكون بأمر من القيادة ، ولهذا لم يشترك فى حرب اليمن وكان رأيه أن دفع الجيش النظامى فى مقابل شراذم وعصابات من المقاتلين

فى الجبال هو إخراجه عن وظيفته القتالية وتحطيم لمعنوياته سيعود بالضرر الجسيم مستقبلا .

تدريب القوات ما قبل هزيمة ٦٧

عندما ترقى لرتبة العميد تم نقله إلى هيئة تدريب القوات المسلحة ليعد البرامج وليشرف على تدريب القوات البرية .

وكان كثير الشكوى من عدم استكمال الوحدات للبرامج التدريبية والمناورات لتذرع القادة بحجة عدم صلاحية المعدات والتى وصلت أحيانا إلى ستون بالمائة ، أو للاعتبارات الأمنية حيث تخاف القيادة من وجود ذخيرة حيه لدى الوحدات وإن كانت لأغراض التدريب .

وكان يحكى أحد النوادر ، بأنه استطاع أن يعتمد جائزة مادية لأحسن طاقم فى المدفعية على التعامل مع الطائرات المعادية .

وكان التدريب بأن تصوب المدافع على طائرة مروحية صغيرة معدة لهذا الغرض ويقودها لاسلكيا طيار من الأرض ، ورغم أن هذا الهدف قليل السرعة والمناورة ، إلا أنه لم تستطع أى وحدة إصابته ، فقام بإعطاء الجائزة للطيار الذى يحركه .

فى جبهة سيناء مايو ١٩٦٧

بعد إعلان الطوارئ وسحب قوات الأمم المتحدة واندفاع القوات المصرية لسيناء تم تعيينه مفتشا للقوات المصرية من هيئة التدريب تحت قيادة الفريق كامل المرتجى قائد الجبهة ، وكنت فى ذلك الوقت نقيب مهندس صيانة الطائرات فى اللواء ٦٥ للقاذفات الثقيلة بقيادة العقيد طيار أركان حرب محمد حسنى مبارك والذى كان متمركزا بقاعدة بنى سويف الجوية .

وعندما التقيت بوالدى صدفة أثناء مرورى بالمنزل فى مأمورية بالقاهرة أخبرنى بأننا سنتورط فى حرب لسنا مستعدين لها وعندما حاولت مجادلته حسب معلوماتى المحدودة وما نسمعه من الدعاية ، أظهر لى خطابا وطلب منى قراءته .

وقد كان تقريرا موجها منه للمشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بواسطة الفريق أول كامل المرتجى قائد الجبهة ، والخطاب يذكر فيه موقف القوات بسيناء وعدم استعدادها للقتال والنقص فى كل شىء حتى أن هناك العديد من الجنود يلبسون الجلاليب لعدم وجود الملابس العسكرية ، وهناك و حدات بدون ذخيرة ، وأخرى وصلت لها ذخيرة من نوع مخالف ، والخلاصة أن ما يوجد فى سيناء هو مظاهرة سياسية وليست جيشا للقتال ، ولاحظت أن أغلب الفقرات تحتها خط بالحبر الأحمر وتعقيب أسفل الخطاب بخط الفريق المرتجى ، هل يعقل رفع هذا التقرير للسيد المشير يا صلاح ثم توقيعه ، وأعطانى الخطاب وقال لى أخفيه بعيدا عن منزلى فإذا حدثت الحرب فستكون هزيمة مريرة .

وسيسعون لتقديم كبش فداء ، فلو قتلت أو قبض على ثم حاولوا اتهامى بالمسؤولية لما سيحدث فاظهر هذا الجواب .

الهزيمة في ٥ يونية وحرب الاستنزاف

فى يوم الخامس من يونية الساعة الثامنه صباحا قامت الطائرات الإسرائيلية بالهجوم على القواعد الجوية ومنها قاعدة بنى سويف وتدمير جميع الطائرات على الأرض ، حدث ذلك بالرغم من تأكيد الفريق أول

صدقى محمود قائد القوات الجوية لنا فى اجتماع بالقاعدة قبلها بيومين ، بأن مدى الطائرات الإسرائيلية لا يصل لبنى سويف ، ويوم ٩ يونيه تلقيت تعليمات بالذهاب إلى مطار القاهرة الجوى لانتظار طائرات قد تصل من روسيا ، ومررت على المنزل فى طريقى للمطار ، وكان عندى أمل بأن القوات البرية ستستطيع الصمود رغم تدمير القوات الجوية على الأرض ، وإذا بوالدى يدخل المنزل ووجهه وملابسه ملطخة بالهباب ، ولم يلق على السلام وجلس على كرسى ووضع وجهه بين يديه ، فلأول مرة فى حياتى أراه يجهش بالبكاء ، وهو يقول غضب الله .. غضب الله ده انتقام ربنا من اللى عملناه فى اليمن .

فسألته ألم يبق لدينا قوات تحارب ؟ فرد بأن معظم جيشنا قد دمر ، ولو عبر اليهود القناة لن يجدوا قوات تصدهم ، وأبلغنى بأنه سيغير ملابسه ويعود للجبهة ، ولم التق به بعدها لمدة شهرين .

إعادة بناء القوات المدرعة المصرية غرب القناة

بعد استقالة المشير عبد الحكيم عامر من منصبه وتعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة ، صدرت فى شهر يولية ١٩٦٧ نشرة الترقيات والمعاشات ، وفيها تم إحالة جميع قادة الجيش برتبة فريق أول وفريق والغالبية من رتبة اللواء والعميد للمعاش ، ولم تتم الترقية لرتبة اللواء إلا لشخص واحد هو العميد صلاح شريف .

وتم تعيينه قائدا لمدرعات الجبهة ليقوم بإعادة بناء هذه القوات وجمع ما تبقى من شراذم متفرقة بعد الانسحاب من سيناء ، ثم إنشاء خط دفاعى غرب القناة ، وقد نجح فى وقت قياسى فى إنشاء قوة مدرعة قامت بقصف الضفة الشرقية مما أثنى الإسرائيليين عن فكرة عبور القناة .

قيادة القطاع الشمالي للجبهة في بورسعيد

عندمـا أدركت القيـادة أن مـدينة بور سـعيـد أصبـحت فى مـوضـع خطير، طلبت من الاتحاد السوفيتى إرسال قطع بحرية للوقوف فى الميناء لمنع الإسرائيليين من اقتحامها ، وقبل وصولها حاولت القوات الإسرائيلية استغلال الفرصة والتقدم شرق القناة إلى مدينة بور فؤاد عن طريق منطقة رأس العش جنوبا والهجوم شمالا على الطريق الساحلى للاستيلاء عليها ثم عزل وحصار مدينة بور سعيد لعدم تمكين القطع البحرية السوفيتية من الرسو .

وعندها قامت القيادة بتكليفه بقيادة المنطقة الشمالية فى بور سعيد لصد هذا الهجوم ، وكان أول عمل قام به هو نقل مقر قيادته من داخل مدينة بور سـعيـد إلى خط المواجهـة فى بور فؤاد مما رفع الروح المعنوية للجنود لوجود القائد بجوارهم ، وتم صد الهجوم وانسحاب القوات الإسرائيلية من هذا القطاع .

وفى إحدى مقابلاتى معه قال لى إن الروح المعنوية العالية والثقة فى القيادة هى مفتاح النصر وعلى سبيل المثال موقفه مع كتيبة الصواريخ التى تقوم بالدفاع الجوى عن مدينة بور سعيد ، فلم يكن لها تأثير يذكر على الطيران الإسرائيلى لدرجة إن اليهود اعتادوا قصفها على ارتفاع منخفض فى ساعة محددة يوميا وهى حوالى الثانية عشر ظهرا ، واتصل بقائد الكتيبة وأبلغه بأنه سيزور وحدته قبل الظهر ، فطلب القائد تقديم أو تأخير الموعد لأن هذا هو موعد الغارة اليومية .

ووصل بالفعل إلى الكتيبة قبل موعد الغارة بفترة وجيزة ، وكان الجو

لطيفا ، فاختار موضع مكشوف وسط الكتيبة ، وطلب إحضار كرسى ومنضدة وكوب قهوة ، ثم أخرج صحيفة وبدأ يقرأ فيها .

وأخذ القائد والضباط يتوسلون إليه أن يدخل إلى المخبأ لأنه بهذا الشكل معرض للإصابة ، فقال لهم أنه لن يموت إلا إذا انتهى أجله ، وليذهبوا إلى أعمالهم ولا يلتفتوا له ، وعندما يئس القائد من زحزحته عن مكانه جمع الضباط والجنود وقال لهم ، أن قائد القطاع فى كتيبتهم و ويجلس مكشوفا وأنه وعار عليهم جميعا إذا حدث له مكروه ، ومع اقتراب موعد الغارة أسرع الجميع إلي مدافعهم وصواريخهم ، وأقبلت الطائرات المغيرة ، فلم يغادر أى جندى موقعه واستقبلوها بوابل من النيران الكثيفة فاشتعلت النيران فى اثنتين منها وفر الباقى .

إنطلق الجنود بالتهليل والتكبير ، فلم يسبق لهم إسقاط أى طائرة للعدو، وأقبلوا عليه يهنئونه ، وقال له القائد إن أفراد الوحدة اعتادوا الاحتماء عند الغارة إلا أنهم استماتوا فى قتال الطائرات من أجل حمايته ، فقد ضرب لهم المثل فى الشجاعة حيث يرتشف القهوة ويقرأ الصحيفة والعدو فوق رأسه والقذائف تتطاير من حوله ، فرد عليه بأنه كان خائفا فعلا ، لكن الواجب ألزمه البقاء فى مكانه وكذلك فعل الجنود فأسقطوا طائرات العدو ، وبعد هذا الموقف أصدر تعليمات لكافة الوحدات التى تمر أمام موقع الكتيبة أن تؤدى لهم التحية العسكرية ، ومن وقتها أصبحت كتيبه الدفاع الجوى ببور سعيد تمثل رعبا للطائرات الإسرائيلية حتى نهاية الحرب عام ٧٣ .

إنشاء الفرقة ٢١ المدرعة

بعد انتهاء الخطر على مدينة بور سعيد تم تكليفه بتشكيل الفرقة المدرعة الثانيه للجيش المصرى ، وقد أطلق عليها اسم ٢١ تيمنا بالفرقة المدرعة التى كانت تحت قيادة الفريق روميل ثعلب الصحراء فى الحرب العالمية الثانية والذى أرعب البريطانيين ، وكانت مهمة فى غاية الصعوبة لتكوين هذه الفرقة تحت النيران أثناء حرب الاستنزاف مع الانتشار فى رقعة كبيرة من الصحراء غرب القناة .

وأذكر واقعة فى هذه الفترة عندما كان يشتكى من كسر طاقم أسنانه الصناعى لوجود حصوات رمال فى الأرز الذى يأكل منه فى الجبهة ، فقلت له كيف وأنت قائد الفرقة ولديك طباخ خاص ، فقال أنه قام بالاستغناء عنه ويأكل حاليا فى الخنادق مع الجنود .. وذلك بسبب حادث أثناء مروره وتفقده للوحدات المتطرفة بالفرقة مع هيئة قيادته ، حيث خرج أحد الجنود من الخندق وهو يسأل عن قائد الفرقة ، فلما أقبل إليه ، وإذا بالجندى يعلو صوته بالسباب ، وأسرع الحراس و انقضوا عليه ، فقال لهم اتركوه وأحضروه إلى ، وسأله هل تعرفنى من قبل ؟ فقال له لا ، فقال ولماذا تسبنى ، فبكى الجندى وهو يقول إنه منذ أيام ولم يصل طعام طازج إلى موقعة ، فقال له يا بنى لك حق أن تسبنى لهذا التقصير ، وبدلا من معاقبته كافأه بترقيته إلى رتبه الرقيب ، ثم أصدر تعليمات بغلق كافة المطاعم للضباط وهو أولهم وأن يأكل جميع القادة مع الجنود فى المواقع وبذلك يضمن أن لا يتكرر هذا الخطأ .

قائد سلاح المدرعات

بعد الانتهاء من بناء الفرقة ٢١ المدرعة وقيامها بواجباتها على الوجه الأكمل أثناء حرب الاستنزاف ، ومع وقف القتال على الجبهة بعد

مبادرة (روجرز) عام ١٩٧٠ رأت القيادة ترقيته لمنصب قائد سلاح المدرعات وذلك للإعداد للعبور وتحرير سيناء .

وظل يعمل بلا كلل حتى أثناء إصابته ومرضه ، وقبل وفاته بساعات كان يؤدى عمله وكأنه فى مكتبه ، وقام بتوصية نائبه اللواء كمال حسن على باستكمال المسيرة حتى النصر ، والتفت إلى أسرته يودعها ، وقال لى أنه كان يتمنى إن يترك لنا بعض المال ، فقط لو كان تجاوز قليلا عن مبادئه ، إلا أنه لم يطعم أسرته يوما لقمة من مال حرام ، كما أنه وحتى آخر حياتنا ، لن نجد من يقوم بذمه أو يشكك فى أمانته وحسن قيادته ممن عرفهم طوال حياته.

أبناء البطل أحمد عبد العزيز

خالد ومحمد (وليد) أبناء البطل عملا لفترة فى المجال الفندقى . ثم تركاه للعمل فى مجال كتب التراث الإسلامى . وهما الأن من الخبراء المعروفين على المستوى العربى فى هذا المجال .

وقد رزقوا بأنجال وأحفاد ويقيم خالد فى نفس منزل البطل شارع أحمد حشمت بالزمالك .

وأما الوالدة فلم تتزوج ونذرت نفسها لتربية أبنائها وتوفيت إلى رحمة الله بعد حياة مديدة .

ولقد قامت القوات المسلحة مشكورة بدعوتها وابنها خالد لأداء فريضة الحج على نفقة الدولة تكريماً للبطل .

خـــاتمـة

ومع مرور عدة عقود منذ وفاته ، فكل كلمة قالها كانت فى محلها ، وفى عدة مناسبات وعندما التقيت ببعض القادة الكبار والذين كانوا ضباطا صغارا أثناء قيادته ، فرحوا بلقائي ، وأجمعوا بأنهم اتخذوا منه مثلا أعلى يسيرون على خطاه وأن صورته لن تبرح ذاكرتهم مهما طال الزمن ، وفى مقابلة حديثة مع الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر ٧٣ ، قال لى ، إن صلاح شريف كان من آخر القادة العظماء الذين حظيت بهم مصر ، رحمه الله ورحم والده وأخويه .



اللواء أركان حرب - صلاح شريف عبد العزيز
قائد سلاح المدرعات المصرى



اللواء صلاح شريف أثناء تفقد الوحدات



اللواء صلاح شريف

حرب الإستنزاف

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة